ABBYY PDF Transformer 2.0
Click here to buy
www.ABBYY.com

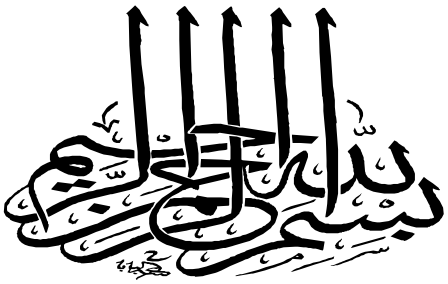

سيرة الإسلام

اعداد

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

في ٢٥ – ١١ – ٢٠٠٨ م

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بلاد العرب شبه جزيرة، تقع جنوبى غربى قارة آسيا، يحدها البحر الأحمر من الغرب، والخليج العربى من الشرق، و بحر العرب و المحيط الهندى من الجنوب، وبادية الشام من الشمال، و تبلغ مساحتها أكثر من مليونى كيلو متر مربع، و يقسمها الجغرافيون إلى خمسة أقاليم رئيسية هى - إقليم تِهامَة: وهو شريط ساحلى يطل على البحر الأحمر، وسمى بتهامة لارتفاع درجة حرارته، وركود هوائه - إقليم الحجاز: ويقع شرقى تهامة، ويمتد من الشام شمالاً إلى اليمن جنوبًا، وتقع عليه سلسلة جبال السراة، وسُمِّى بالحجاز؛ لأنه يحجز بين تهامة فى الغرب ونجد فى الشرق. وتقع فى هذا الإقليم مكة المكرمة، والمدينة المنورة - إقليم نجد: ويقع شرقى الحجاز ويمتد من صحراء بادية السماوة شمالاً حتى قرب حدود اليمن جنوبًا، وسُمِّى نجدًا؛ لارتفاع أرضه - إقليم العروض: وهو الجزء الشرقى من شبه الجزيرة العربية، ويطل على الخليج العربى - إقليم اليمن : و هو الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية .وهذه المساحة الكبيرة ذات طبيعة صحراوية، لا يجرى فيها نهر واحد، ولا تسقط الأمطار إلا نادرًا، باستثناء إقليم اليمن الذى تسقط فيه بعض الأمطار الموسمية، وبخاصة فى فصل الصيف، مما يسَّر لأهلها حياة مستقرة نتيجة اشتغالهم بالزراعة، وساعدهم على إقامة حكومات منظمة، وإقامة حضارة راقية، وقد اشتهر هذا الإقليم باليمن السعيد أما بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية فقد قلَّت فيها الزراعة أو كادت تنعدم؛ لندرة المياه عدا بعض الواحات التى بها عيون للمياه، ساعدت على نمو الحشائش التى ترعاها الماشية، وزراعة بعض المحاصيل كالشعير والقمح.

مكة المكرمة

تقع مكة المكرمة فى إقليم الحجاز، شرقى مدينة جدة بنحو سبعين كيلو مترًا، وترتبط نشأتها بقصة إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، حيث أمر الله تعالى نبيَّه إبراهيم أن يذهب بابنه إسماعيل إلى الوادى الذى نشأت فيه مكة؛ وأن يسكنه فيه، فامتثل إبراهيم لأمر الله، وارتحل إلى ذلك الوادى و كان قفرًا ليس به زرع أو ماء، خاليًا من السكان، وترك زوجه هاجر وابنها الطفل إسماعيل، وفى هذا يقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام :ربنا إنى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرعٍ عند بيتك المحرم . إبراهيم : ٣٧ .

وإكرامًا لإسماعيل فجَّر الله – تعالى – بئر زمزم، بعد أن يئست أمه هاجر من وجود الماء، وهى تسعى باحثة عنه بين صخرتى الصفا و المروة، وقد أصبح السعى بينهما ركنًا من أركان الحج كان وجود الماء فى هذا المكان عجبًا، فجذب القبائل التى كانت تسكن بالقرب منه، وهى قبائل جُرهم فجاءوا إلى هاجر، و طلبوا منها السماح لهم بأن ينتفعوا بماء زمزم، فأذنت لهم ورحَّبت بهم؛ ليؤنسوا وحدتها هى و ابنها، وبدءوا يقيمون بيوتهم حول بئر زمزم، ومن هنا كانت نشأة مكة المكرمة، وفيها عاشت هاجر وابنها إسماعيل بين قبائل جرهم، ولما كبر تزوج منهم، وأنجب أولاده الذين هم أجداد العرب المستعربة. واتسعت مكة شيئًا فشيئًا، وزحف إليها العمران، وذاعت شهرتها بين المدن، بعد أن أمر الله – تعالى– إبراهيم – عليه السلام – فى إحدى زياراته لابنه إسماعيل ببناء الكعبة المشرفة، فأصبحت مكة مكانًا مقدسًا، وزادها الله تشريفًا بهذا البناء والكعبة التى بناها نبى الله إبراهيم – عليه السلام – بناء مربع الشكل تقريبًا، يبلغ ارتفاعه نحو خمسة عشر مترًا، وعرض جداريه الشمالى والجنوبى نحو عشرة أمتار، والشرقى والغربى اثنا عشر مترًا ويقع باب الكعبة فى الجدار الشرقى، وفى الطرف الجنوبى منه يقع الحجر الأسود، وهى منذ بنائها مثابة للناس وأمن، كما أخبر بذلك الله – تعالى – فى القرآن

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ريم، وظلت قبائل جُرهُم تقوم على خدمة الكعبة، و رعاية حجاجها، إلى أن ضعفت، فحلَّ مكانها فى تلك المه قبائل خزاعة، التى ضعفت هى الأخرى بعد فترة، فخلفتها قبيلة قريش بزعامة قصى بن كلاب الجد الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم فأسس دار الندوة فى مكة، وهى أشبه ما يكون ببرلمان صغير، يتشاور فيه زعماء قريش حول شئونها، و نظَّم قُصيَّ بن كلاب السقاية، وهى جلب الماء للحجاج من آبار بعيدة، بعد أن ردمت قبائل جُرهُم بئر زمزم عندما غلبتها خزاعة على أمرها وتركت مكة، واهتم بالسدانة، و بالرفادة و هى إطعام الحجاج، و بالحجابة وهى خدمة الكعبة وتولى مفاتيحها، وباللواء وهو راية الحرب، وكان ذلك كله فى يد قصى، ولكن بعد وفاته قُسمت هذه المناصب بين أحفاده.

أحوال العرب قبل الإسلام

يُقسم علماء الأنساب العرب إلى -عرب بائدة؛ وهم الذين هلكوا ولم يبق من نسلهم أحد، مثل: عاد، و ثمود و طُسُم، و غيرهم

-عرب باقية، وهم قسمان

أ – عرب عاربة، وهم أهل اليمن الذين ينسبون إلى يعرب ابن قحطان

ب – وعرب مستعربة، وهم الذين ينسبون إلى عدنان الذى يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وسُمُّوا مستعربة؛ لأن أباهم غير عربى وهو إسماعيل – عليه السلام – وأمهم عربية من جُرهُم.

أحوال العرب السياسية

عرفت بلاد العرب الحياة السياسية المنظمة قبل الإسلام، وبخاصة فى اليمن، حيث الزراعة والاستقرار، فقامت فيها دول كثيرة متعاقبة،مثل: دولة معين، ودولة قُتبان، ودولة سبأ التى سُميت بها سورة من سور القرآن الكريم، ودولة حمير التى ظلت قائمة حتى احتلتها الحبشة فى بداية القرن السادس الميلادى، ثم استولى عليها الفرس، وظلت كذلك إلى أن حررها الإسلام من الاحتلال الفارسي، و أسلم أهلهاوقامت فى اليمن حضارة عظيمة، فاشتهرت ببناء السدود كسد مأرب، لخزن مياه الأمطار لاستخدامها فى الزراعة، وازدهرت فيها التجارة؛ بسبب موقعها الجغرافى المتميز على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر؛ مما جعلها مركزًا تجاريّاً كبيرًا بين الشرق الأقصى و شرقى إفريقيا بل وأورباوبعد انهيار سد مأرب وتدهور الحياة الاقتصادية هاجر العرب من اليمن إلى أطراف شبه الجزيرة العربية فى الشمال، وأقاموا إمارات عربية، ظلت قائمة إلى ما بعد ظهور الإسلام، فنشأت إمارة المناذرة فى العراق، وكانت عاصمتها مدينة الحيرة، وإمارة الغساسنة فى جنوب الشام. وكانت هناك إمارات عربية أخرى فى شرقى شبه الجزيرة العربية، فى البحرين و اليمن، و فى جنوبها الشرقى فى عمان، و كلها أسلمت فى عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، و أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية وأما بقية شبه الجزيرة فكان يعيش أهلها حياة قبلية، حيث يحكم كل قبيلة شيخ، هو صاحب الكلمة النافذة، والأمر والنهى فيها.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

اختلفت الحياة الاجتماعية فى بلاد العرب من مكان إلى آخر باختلاف حياة الحضر و البدو، فالأجزاء الحضرية التى تتمتع بحياة مستقرة و بنظم سياسية يُقسم المجتمع فيها إلى طبقات: طبقة الملوك والحكام والأمراء، وهم يمثلون قمة الهرم الاجتماعى، وينعمون بحياة الترف والنعيم، تليهم طبقة التجار والأثرياء، ثم تأتى طبقة الفقراء فى أدنى الهرم الاجتماعى أما البدو فيتألفون من طبقتين -طبقة السادة، وهم فى الواقع كل العرب البدو، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء، فالفقر لم يكن يحد من حرية الإنسان العربى و سيادته، فمهما يكن فقيرًا فهو مالك لزمام نفسه، معتز بحريته -وطبقة العبيد والخدم، وكان يمتلكهم الأغنياء، وعلى عاتق هذه الطبقة قامت الحياة الاقتصادية

واتسمت حياة البداوة بعادات بعضها جميل محمود، أبقى عليه الإسلام و شجَّعه، كالكرم والنجدة وإغاثة الملهوف، وبعضها الآخر قبيح مرذول حاربه الإسلام حتى قضى عليه، كوأد البنات خوفًا من العار، وهذه العادة كانت – فى واقع الأمر – فى قبائل معينة ولا تمثل نظرة العرب كلهم إلى المرأة، لأنها كانت عندهم محل اعتزاز وتقدير بصفة عامة.

الحياة الدينية

عرفت بلاد العرب التوحيد قبل الإسلام بزمن طويل، فقد نزلت فيها رسالات سماوية،كرسالة هود– عليه السلام – فى جنوبى شرقى الجزيرة العربية، ورسالة صالح – عليه السلام – فى شماليها الغربى، كما عرفوا التوحيد من رسالة إسماعيل –عليه السلام –، و لكن بمرور الزمن نسوا هذه الرسالات، وتحولوا إلى الوثنية وعبادة الأصنام، وأصبح لهم آلهة كثيرة مثل: هُبل و اللات و العزى وعلى الرغم من انتشار عبادة الأصنام انتشارًا واسعًا فى بلاد العرب، فإن هناك ما يدلُّ على أنهم لم يكونوا يعتقدون اعتقادًا حقيقيّاً فيها، فيحكى القرآن الكريم على لسانهم قولهم [ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى] الزمر : ٣

وكان منهم من رفض عبادة الأصنام رفضًا قاطعًا، وهم الذين سُمُّوا بالحنفاء، كورقة بن نوفل، و زيد بن عمرو بن نُفيل، وعثمان بن الحويرث، و عبيد الله بن جحش، وقس بن ساعدة الإيادى، و هؤلاء لم تقبل أذهانهم عبادة الأصنام، فاعتنق بعضهم المسيحية، و ترقب بعضهم الآخر ظهور الدين الحق وإذا كانت الوثنية قد سادت بلاد العرب، فإن اليهودية و المسيحية عرفت طريقها إليها فتركزت المسيحية فى نجران التى كانت وقتئذٍ من أرض اليمن، فى حين استقرت اليهودية شمال الحجاز، فى يثرب و خيبر، و وادى القرى و تيماء ومن العجيب أن اليهودية والنصرانية لم تنتشرا على نطاق واسع فى بلاد العرب، ولعل ذلك راجع إلى أن اليهودية تُعدُّ ديانة مغلقة، فأهلها كانوا يعتبرونها ديانة خاصة بهم، فلم يدعوا أحدًا إليها، ولم يرحِّبوا باعتناق غيرهم لها، أما المسيحية، فعلى الرغم من أنها ديانة تبشيرية، وأهلها يرغبون فى نشرها فى العالم فإنه يبدو أنها حين و صلت إلى بلاد العرب كانت قد بلغت درجة من التعقيدات و الخلافات لم تستسغها عقول العرب.

الحياة الثقافية

كان العرب قبل الإسلام أمة أمية، لا تعرف القراءة والكتابة إلا فى نطاق ضيق، ولم يكن الذين يعرفونها فى مكة مثلاً يزيدون على عشرين شخصًا، ومع ذلك فإنهم امتلكوا قدرًا لا بأس به من المعرفة، و اتصلوا بالعالم الخارجى من خلال

علاقهم التجارية، فعرفوا الثقافة الفارسية عن طريق إمارة الحيرة العربية، والثقافة اليونانية عن طريق الإمارات العربية الشام واكتسب العرب أيضًا قدرًا كبيرًا من المعارف العلمية بالخبرة والتجربة و بدافع الحاجة كالمعلومات الفلكية والجغرافية، دفعهم إلى معرفتهاتنقلاقم الكثيرة، وارتحالهم من مكان إلى آخر، وحاجتهم إلى معرفة مواسم نزول الأمطار وهبوب الرياح وتفوق العرب على غيرهم من الأمم في مجال علم الأنساب، وذلك لاعتزازهم بانتسابهم إلى قبائلهم، وبلغ من شدة اهتمامهم بعلم الأنساب أن اعتنوا بأنساب الخيل، غير مكتفين بأنساب البشر أما الميدان الثقافي الذى برع فيه العرب فهو البلاغة والفصاحة، فالعربى كان فصيحًا بطبعه، بليغًا بفطرته، ودليل ذلك فهمهم للقرآن الكريم، الذى نزل بلغتهم وهو ذروة البلاغة والفصاحة وبرع العرب في ميدان الشعر براعة واضحة، فهو ديوان حياقم، و شعراؤهم يُعدُّون بالمئات، والشعر العربى إلى جانب كونه لونًا راقيًا من ألوان الأدب يُعدُّ بعد القرآن الكريم مصدرًا من مصادر معرفة الحياة العربية بكل خصائصها ومظاهرها وكما تفوّق العرب في الشعر تفوقوا في الخطابة، وكانوا يقيمون الأسواق الأدبية التى تشبه مهرجانات المسابقات الأدبية فى الوقت الحاضر، و من أشهر تلك الأسواق سوق عكاظ، وكانت تعقد فيها لجان للتحكيم بين الشعراء والخطباء، و القصيدة أو الخطبة التى يفوز صاحبها يتناقلها الناس ويحفظونها، ويشيدون بقائلها، و من القصائد الرائعة ما كان يعلق في الكعبة، وهى التى عرفت باسم المعلقات، مثل معلقة امرئ القيس وزهير بن أبى سلمى.

نسب الرسول صلى الله عليه وسلم

الرسول هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام –وكان جده عبد المطلب قد نذر وهو يعيد حفر بئر زمزم – بناءً على رؤية رآها – أنه إن رزقه الله بعشرة من الأولاد ليذبحن أحدهم قربانًا للآلهة، فلما تحقّق له ذلك أراد أن يفي بنذره، فضرب الأقداح عند الكعبة كما كانت عادقم على أولاده جميعًا، ومن يخرج عليه السهم يكن هو الذى ارتضته الآلهة قربانًا لها، فخرج السهم على عبد الله فعزم عبد المطلب على ذبحه.ولما ذاع خبر عبد المطلب مع ابنه في مكة فزع أهلها من هذا الحدث، وذهبوا إليه يثنونه عن أمره، فلمَّا لم يجدوا منه استجابة لرجائهم، اقترحوا عليه الذهاب إلى عرَّافة مشهورة، لعلهم يجدون عندها لهذه المشكلة حلاً، فوافقهم على ذلك.فلما ذهبوا إلى العرَّافة وقصُّوا عليها ما حدث، اقترحت عليهم أن يضربوا القداح عند آلهتهم، على عبد الله و على عشرة من الإبل، فإن خرجت على عبد الله زادوا عشرة من الإبل، حتى ترضى الآلهة وتخرج القداح على الإبل، ففعل ذلك عبد المطلب، حتى وصل العدد إلى مائة، وعندئذٍ خرج السهم مشيرًا إلى الإبل، ففرح عبد المطلب، وفرحت معه مكة، ونحر الإبل، وأطعم الناس ابتهاجًا بنجاة ابنه الحبيب من الذبح.

زواج عبد الله من آمنة بنت وهب

بعد نجاة عبد الله بن عبد المطلب من الذبح زوَّجه من آمنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زُهرة.وبعد أيام من العرس خرج عبد الله فى رحلة تجارية إلى الشام، فخرج مع قافلة قرشية وباع واشترى، وفى عودته مر بيثرب؛ ليزور أخوال أبيه من بنى النجار، لكنه مرض فى أثناء زيارته، فلما بلغ عبد المطلب خبر مرض ابنه، أرسل على الفور أكبر أبنائه الحارث بن عبد المطلب إلى يثرب ليعود بأخيه، لكن عبد الله تُوفِّى قبل أن يصل أخوه إلى يثرب، فحزن عبد المطلب حزنًا شديدًا على موت ابنه عبد الله الذى لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، و لم يمضِ على زواجه سوى شهور قليلة.ولما خفَّت موجة الحزن

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

على آمنة، بدأت تحس بجنين يتحرك في أحشائها، فتعلَّق به أملُها، عسى أن يعوضها فقد زوجها الحبيب، وأخبرت عبد المطلب بحملها، ففرح لذلك فرحًا شديدًا، وامتلأ قلبه أملاً ورجاءً في أن يأتي هذا الحمل بولد يعوضه عن ابنه الفقيد.

حادثة الفيل

بعد أن حكم أبرهة اليمن تملكته الغيرة من الكعبة المشرفة، وأراد أن يصرف العرب عن زيارتها، فبنى كنيسة ضخمة بالغة الروعة، تُسمَّى القُلَّيس، وساق أهل اليمن إلى التوجه إليها والتعبد فيها، لكنه لم يفلح في ذلك، وزاد من غضبه أن أحد الأعراب عبث بالكنيسة وقذَّرها، فأقسم أبرهة ليهدمن الكعبة، ويطأن مكة، وجهَّز لذلك جيشًا جرارًا، تصاحبه الفيلة، وفي مقدمتها فيل عظيم، ذو شهرة خاصة عندهم.وحينما علمت العرب بنية أبرهة تصدَّوا له، لكنهم لم يفلحوا في وقف زحفه، حتى إذا بلغ جيش أبرهة المغمَّس – وهو مكان بين الطائف ومكة– ساق إليه أموال ثمامة من قريش وغيرها، وكان فيها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم، فهمَّت قريش وقبائل العرب بقتال أبرهة، ولكنهم وجدوا أنفسهم لا طاقة لهم بحربه، فتفرقوا عنه دون قتال.أرسل أبرهة إلى عبد المطلب يُبلغه أنه لم يأتِ لحربهم، وإنما جاء لهدم البيت، فإن تركوه وما أراد فلا حاجة له في دمائهم، فذهب عبد المطلب إليه،فلما دخل نزل أبرهة من سريره، وجلس على البساط، وأجلس عبد المطلب إلى جانبه، و أكرمه وأجلَّه، فطلب عبد المطلب منه أن يرد عليه إبله التي أخذوها، فقال أبرهة: أعجبتني حين رأيتك، وزهدتُ فيك حين كلمتني، تترك بيتًا هو دينك و دين آبائك، جئتُ لأهدمه، وتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك؟فقال: عبد المطلب: إني رب الإبل أي صاحبها وإن للبيت ربًا سيحميه. قال أبرهة: ما كان ليمتنع مني، فرد عليه عبد المطلب: أنت وذاك، ثم رد أبرهة الإبل لعبد المطلب.أمر عبد المطلب قريشًا بالخروج من مكة، والاحتماء في شعاب الجبال، وتوجه هو إلى باب الكعبة، وتعلَّق به مع نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه، وانطلق جيش أبرهة نحو مكة، وحينما اقترب منها برك الفيل الأكبر الذي يتقدم الجيش رافضًا الدخول، وتعبوا في إجباره على اقتحام مكة، وكانوا عندما يوجهونه إلى جهة غير مكة ينهض ويهرول.ثم شاء الله أن يهلك أبرهة وجيشه، فأرسل عليهم جماعات من الطير، أخذت ترميهم بحجارة، فقضت عليهم جميعًا، وتساقطوا كأوراق الشجر الجافة الممزَّقة، كما حكى ذلك القرآن الكريم: [*ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل و أرسل عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارةٍ من سجيل فجعلهم كعصف مأكول*]سورة الفيل.

مولد النبي صلى الله عليه وسلم

وفي يوم الاثنين الموافق ١٢ من شهر ربيع الأول سنة ٥٧٠م عام الفيل، ولدت آمنة وليدها، يتلألأ النور من وجهه الكريم، أكحل أدعج مختونًا، يرنو ببصره إلى الأفق، ويشير بسبابته إلى السماء، فهرولت قابلته، وهي أم عبد الرحمن بن عوف إلى جده عبد المطلب تزف إليه البشرى، وتنقل إليه ذلك الخبر السعيد، فكاد الرجل الوقور يطير من الفرحة، و فرح الهاشميون جميعًا، حتى إن عمه أبا لهب أعتق الجارية ثويبة التي أبلغته الخبر، وكانت أول من أرضعت خير البشر.سمَّى عبد المطلب حفيده محمدًا، وهو اسم لم يكن مألوفًا أو منتشرًا في بلاد العرب، ولما سُئل عن ذلك، قال: رجوت أن يكون محمودًا في الأرض وفي السماء.

طفولته وصباه

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فى اليوم السابع لميلاد النبي صلى الله عليه وسلم أمر جده بجزور فنحرت، وأقام حفلا دعا إليه كبار رجال قريش احتفاءً بهذا الوليد الكريم، وانتظرت آمنة المرضعات اللائى كن يأتين من البادية إلى مكة، ليأخذن الأطفال إلى ديارهن لإرضاعهم بأجر، وكانت عادة أشراف مكة ألا ترضع الأم أطفالها، مفضلين أن تكون المرضعة من البادية؛ لتأخذ الطفل معها، حيث يعيش فى جو ملائم لنموه، من سماء صافية، وشمس مشرقة، وهواء نقى، وكانت هناك قبائل مشهورة بهذا العمل مثل بنى سعد.وكان محمد من نصيب واحدة منهن تُدعَى حليمة السعدية لم تكن تدرى حين أخذته أنها أسعد المرضعات جميعًا، فقد حلَّت عليها الخيرات، وتوالت عليها البركات، بفضل هذا الطفل الرضيع، فسمنت أغنامها العجاف، و زادت ألبانها وبارك الله لها فى كل ما عندها.

مكث محمد عند حليمة عامين، وهو موضع عطفها ورعايتها، ثم عادت به إلى أمه، وألحت عليها أن تدعه يعود معها، ليبقى مدة أخرى، فوافقت آمنة وعادت به حليمة إلى خيام أهلها.

حادث شق الصدر:

بقى محمد عند حليمة السعدية بعد عودتها ثلاثة أعوام أخرى، حدثت له فى آخرها حادثةُ شقِّ الصدر، وملخصها كما ترويها أوثقمصادر السيرة : أن محمدًا كان يلعب أو يرعى الغنم مع أترابه من الأطفال، خلف مساكن بنى سعد فجاءه رجلان عليهما ثياب بيض، فأخذاه فأضجعاه على الأرض، وشقا صدره وغسلاه، وأخرجا منه شيئًا، ثم أعاداه كما كان.

ولما رأى الأطفال ما حدث، ذهب واحد منهم إلى حليمة فأخبرها بما رأى، فخرجت فزعة هي زوجها أبو كبشة فوجدا محمدًا ممتقعًا لونه، فسألته حليمة عما حدث فأخبرها، فخشيت أن يكون ما حدث له مسٌ من الجن، وتخوفت عاقبة ذلك على الطفل، فأعادته إلى أمه، وقصت عليها ما حدث لطفلها.

موت آمنة بنت وهب:

لما بلغ "محمدا" السادسة من عمره أخذته أمه فى رحلة إلى يثرب؛ ليزور معها قبر أبيه، ويرى أخوال جده عبد المطلب من بنى النجار. وفى طريق العودة مرضت آمنة واشتدَّ عليها المرض، وتُوفيت فى مكان يُسمى الأبواء بين مكة والمدينة. وهكذا شاءت إرادة الله أن يفقد محمد أمه، وهو فى هذه السن الصغيرة، وهو أشد ما يكون احتياجًا إليها، فتضاعف عليه اليتم، ولكن لله فى خلقه حِكم لا يعلمها إلا هو تعالى، فإن كان محمدٌ قد حُرِمَ من أبويه. فإن الله هو الذى سيتولى رعايته وتعليمه.

ضم عبد المطلب حفيده محمدًا إلى كفالته؛ لأن ابنه عبد الله لم يترك ثروة كبيرة، وكل ما تركه كان خمسة من الإبل، وبعضًا من الأغنام، وأم أيمن بركة التى أصبحت حاضنة محمد وراعيته بعد فقد أمه، وقد عوضته كثيرًا عن حنان الأم.

لكن كفالة عبد المطلب لمحمد لم تدم طويلا، إذ استمرت عامين بعد وفاة آمنة، كان خلالهما نعم الأب الحنون، فحزن محمد على فقده حزنًا شديدًا، وبكاه بكاءً مرا وهو يودعه إلى مثواه الأخير.

وبعد وفاة عبد المطلب انتقل محمد إلى كفالة عمه أبى طالب، ومع أنه لم يكن أكثر أعمامه مالا وأوسعهم ثراءً، بل كان أكثرهم أولادًا وأثقلهم مؤونة؛ فإنه كان شديد العطف عليه، و الرعاية له، فضمه إلى عياله، وكان يفضله عليهم فى كل شيء.

اشتغاله برعى الغنم:

لم يرض محمدٌ أن يكون عالة على عمّه، وبخاصة أنه يرى ضيق ذات يده، فأراد أن يعمل ليعول نفسه، ويكسب قوته، ويساعد عمه إن أمكن ذلك، فاشتغل برعي الأغنام، وهو عمل يناسب سنه، وهذه كانت حرفة الأنبياء من قبله،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قول النبي صلى الله عليه وسلم: ما من نبي إلا ورعى الغنم، قيل: وأنت يا رسول الله ؟ قال: وأنا.

رحلته الأولى إلى الشام:

وجد محمد في عمه أبي طالب عطفًا وحنانًا عوَّضه عن فقد جدِّه، فكان يؤثره على أولاده، ولا يكاد يردُّ له طلبًا، فلما رغب محمد في أن يصحب عمه في رحلة إلى الشام، أجابه إلى ذلك، رغم أنه كان يخشى عليه من طول الطريق، ومشقة السفر، وهو لم يزل غلامًا صغيرًا لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

انطلق محمد مع عمه في تلك الرحلة إلى الشام، وهناك حدثت له قصة عجيبة لفتت أنظار القافلة كلها، لكنهم لم يستطيعوا لها تفسيرًا، وذلك أن راهبًا نصرانيا، يدعى بحيرا كان يتعبَّد في صومعته في بادية الشام، على طريق القوافل، ولم يكن يحفل بأحدٍ يمرُّ عليه، لكنه في هذه المرة نزل من صومعته لما رأى القافلة القرشية وذهب إليهم، ودعاهم إلى طعام، وطلب منهم أن يحضروا جميعًا ولا يتركوا أحدًا يتخلف.

ولما حضر محمد مع القوم سأل الراهبُ أبا طالب: من يكون منك هذا الغلام ؟ فقال: ابني، فقال له: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، فقال: ابن أخي، قال: صدقت. ثم رأى خاتم النبوة على كتف النبي صلى الله عليه وسلم، وقال لأبي طالب: ارجع بابن أخيك هذا فسوف يكون له شأن عظيم، و أحذر عليه اليهود، فلو عرفوا منه الذي أعرف ليمسنه منهم شر.

وقعت كلمات الراهب من أبي طالب موقعًا جميلا، فشكر الراهب على هذه النصيحة الغالية التي لا تصدر إلا عن رجلٍ صالح، وعاد بابن أخيه إلى مكة.

رحلته الثانية إلى الشام في تجارة خديجة:

ذهب محمد هذه المرة إلى الشام في مهمة تجارية، لا للتنزه أو الزيارة كما كان في الأولى، ذلك أن أبا طالب رأى ابن أخيه قد بلغ مرحلة الشباب، ولابد له من أن يتزوَّج ويعول أسرة، ولكن من أين لمحمد بالمال؟ فقال لابن أخيه بعد أن أحسن له التدبير: يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي، وقد اشتدَّ الزمانُ علينا، و قد بلغني أن خديجة بنت خويلد استأجرت فلانًا ببكرين أي جملين صغيرين ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطته فهل لك أن أكلمها ؟ قال محمد ما أحببتَ يا عمي.

ويكشف هذا الحوار القصير الظروف المالية الصعبة التي كان يمر بها أبو طالب، لكن ذلك لم يجعله يضيق بابن أخيه، وإنما خاطبه في رفق و شاوره قبل أن يفاتحه في أمر عمله مع خديجة، وفي الوقت نفسه نلمس أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان يشعر بما يعانيه عمه، فلم يملك إلا أن يقول له: ما أحببتَ يا عمي.

توجه أبو طالب إلى خديجة وقال لها: هل لك يا خديجة أن تستأجري محمدًا ؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلانًا ببكرين، ولسنا نرضى لمحمد دون أربعة. فأجابت خديجة بلهجة تحمل الوداد و الاحترام للشيخ الوقور: لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا، فكيف وقد سألتَه لقريب حبيب، خرج محمد في تجارة خديجة يصحبه غلامها ميسرة وكان صاحب خبرة في التجارة ومعرفة بأصولها، أثيرًا لديها، تأتمنه على مالها و تجارتها، وكانت هذه الرحلة ناجحة وموفقة كل التوفيق، وربحت أكثر من أية مرة سابقة.

وفي طريق العودة اقترح ميسرة على محمد أن يسبقه إلى مكة؛ ليكون أول من يبشر خديجة بعودتهما سالمين و بنجاح تجارتها، وعندما بلغ خديجة الأمر سُرَّت أيما سرور، وأعجبت بما قصَّه ميسرة على سمعها من شأن محمد، من أمانة، ورقة شمائل، وسمو خلق، وازدادت إعجابًا لما سمعت محمدًا، وما لبث هذا الإعجاب أن تحول إلى تقدير ورغبة في الزواج.

مشاركة محمد في الحياة العامة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

شارك محمد صلى الله عليه وسلم قومه فى حياتهم العامة قبل البعثة، فاشترك فى حرب الفِجَار، وهو فى نحو الخامسة عشرة من عمره، وهى حرب وقعت أحداثها فى الأشهر الحرم، ولذا سميت بحرب الفجار، وسببها أن النعمان بن المنذر أمير الحيرة اعتاد أن يرسل كل موسم قافلة تجارية إلى سوق عكاظ بالقرب من مكة المكرمة، وكان يستأجرُ لها حراسًا من القبائل القريبة من مكة، فعرض رجلان أنفسهما لهذه المهمة، أحدهما من هوازن يسمى عُروة، والآخر من كنانة يسمى البَرَّاض، فاختار النعمان عروة، فقتله البراض، فوقع القتال بين قبيلتيهما لهذا السبب، واستمر أربع سنوات وانتهى بالصلح بين المتحاربين، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم مشاركته فى هذه الحرب بقوله كنت أنبل على أعمامى أى يرد إليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.

حلف الفضول:

وكما شارك محمد قومه فى الحرب فقد شاركهم فى السلم؛ حيث شهد حلف الفضول، الذى تكوَّن عقب حرب الفجار، وكان أول من دعا إليه عمه الزبير بن عبد المطلب؛ لنصرة المظلوم أيا كان، من أهل مكة أو من غيرهم، واجتمعت بعض بطون قريش: بنو هاشم و بنو زهرة، وبنو أسد، وبنو تيم فى دار عبد الله بن جدعان، وتعاهدوا ليكونن مع المظلوم حتى يُردَّ إليه حقه. ويصف النبي مشاركته فى هذا الحلف بقوله: لقد شهدت مع عمومتى حلفًا فى دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لى به حمر النعم، ولو أدعى به فى الإسلام لأجبت.

بناء الكعبة:

نزل سيل على الكعبة قبل بعثة النبي بحوالى خمسة أعوام، هدَّم جدرانها، فعزمت قريش على إعادة بنائها، و قسَّمت العمل بين بطونها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل بنفسه معهم، و يحمل الحجارة، حتى إذا ارتفع البناء نحو قامة الرجل اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود فى مكانه ؛ كل قبيلة تريد أن تحوز هذا الشرف دون غيرها، واشتد الخلاف بينهم حتى تداعوا إلى الحرب، ففزع أبو أمية بن المغيرة و خشى عاقبة ذلك، فأشار عليهم بأن يحتكموا إلى أول رجل يدخل عليهم، فوافقوا على ذلك

كان النبي صلى الله عليه و سلم أول داخل عليهم، فاستبشروا خيرًا، وقالوا: هذا الأمين رضينا به حكمًا، فطلب منهم أن يبسطوا ثوبًا، ثم وضع الحجر فيه،وطلب من زعماء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف، ليتمكَّنوا من رفع الحجر إلى موضعه، ثم أخذه النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة، ووضعه فى مكانه.

زواج محمد من خديجة:

كانت خديجة بنت خويلد الأسدية امرأة شريفة، ذات حسب وجمال ومال تزوجت مرتين من قبل، و عزمت بعد موت زوجها الثانى ألاتتزوج مرة أخرى، وأن تتفرغ لإدارة ثروتها، وتنمية تجارتها.ولكنها حين اتصلت بمحمد صلى الله عليه و سلم وعمل فى تجارتها، ورأت فيه من خصال الخير أعجبت به و رغبت فى الزواج منه، و أسرَّت بذلك إلى إحدى صديقاتها المقرَّبات، فذهبت إلى محمد وسألته ما يمنعك أن تتزوج؟ قال ما بيدي ما أتزوج به قالت فإن كُفِيتَ ذلك و دُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، ألا تجيب؟ قال فمن هى؟ قالت خديجة، فقال كيف لي بذلك؟ قالت علىَّ ذلك، فوافق على الفور، و عادت نفيسة إلى خديجة، تزفُّ إليها تلك البشرى فسُرَّت سرورًا عظيمًا. و ذهب محمد مع أعمامه إلى بيت خديجة لإعلان الخطبة، وألقى أبو طالب خطبة قصيرة أثنى فيها على ابن أخيه، وأنه لا يعدله شاب فى قريش، فى خلقه وصدقه وأمانته، وإن كان قليل المال، فالمال عرض زائل، ثم وجَّه كلامه إلى أهل خديجة فقال: إن محمدًا له فى خديجة رغبة، ولها فيه مثل ذلك، فوافقوا على الخطبة، وأقاموا وليمة بهذه المناسبة السعيدة، وقدَّم محمد لخديجة صداقًا قدره عشرون بكرة، ثم تم الزواج، وانتقل محمد إلى بيت خديجة حيث عاش معها.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وهكذا شاءت الأقدار لهذه السيدة الكريمة أن تقترن بسيد الخلق أجمعين، و أن تصبح أول أُم للمؤمنين، وأن تكون خير عون له، فكانت أول من آمن به وكانت تواسيه بمالها، كما كانت حياته معها التي دامت نحو خمسة وعشرين عامًا تملؤها السعادة، ورزقه الله منها بستة أولاد ؛ اثنين من الذكور هما: القاسم وعبد الله، وقد ماتا قبل البعثة، وأربع بنات، هن: زينب وقد تزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع، ورقية وأم كلثوم وقد تزوجهما عثمان بن عفان، واحدة بعد الأخرى، و فاطمة وتزوجت بعلي بن أبي طالب.

من الزواج إلى البعثة

كان عمر النبي ص حين تزوج السيدة خديجة خمسًا وعشرين سنة، و كان عمره حين بعثه الله بالرسالة على رأس الأربعين، فماذا كان يعمل فى المدة التي بين الزواج والبعثة؟إن مصادر السيرة النبوية لم تمدنا بمعلومات كثيرة عن هذه الفترة من حياته، سوى أنه كان دائم التأمل فى الكون الفسيح، والتفكير فى القوة التي أبدعته وأحكمت صنعه، وأنه رفض ما عليه قومه من عبادة الأصنام، وما غرقوا فيه من الفساد والمجون، فلم يسجد لصنم، و لم يحضر مجلس لهو وعبث، بل كان يعتكف شهرًا من كل سنة فى غار حراء، يتعبد فيه، و يجد فيه فرصة مناسبة للتفكر والتأمل، بعيدًا عن صخب مكة وضجيجها. وكان شهره المفضل الذى يقضيه فى الغار هو شهر رمضان المبارك.
ويبدو أنه فى تأمله هذا كان ينشد مخرجًا للعالم مما هو فيه من شرك و وثنية؛ لأن ما بقى من الشرائع القديمة لم يكن كافيًا.

بعثة الرسول

بدء الوحي:ظل محمد صلي الله عليه وسلم يتردد على غار حراء حتى شارف على الأربعين من عمره، وكان أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة، كما جاء في حديث عائشة، فكان لا يري رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح، وزادته رؤاه الصادقة أملا في قرب الوصول إلى الحقيقة.وبينما هو في غار حراء غارق في تأمله وتدبره؛ إذ جاءه جبريل – عليه السلام – في ليلة من ليالى رمضان، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت:ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم سورة العلق: ١–٣ فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها – فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصلُ الرحم، وتحمل الكل، وتَكسِبُ المعدوم، وتَقرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق. [صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي.طمأنت خديجة محمدًا بتلك الكلمات الصادقة والعبارات المواسية، و ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل أحد الحنفاء العرب، وكان قد اعتنق النصرانية، فقالت له: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا رأيت، فأخبره رسول الله صلي الله عليه وسلم خبر ما رأي، فقال له ورقة: هذا الناموس جبريل أمين الوحي الذي نزله الله على موسي، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيا، إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلي الله عليه و سلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم يلبث ورقة أن تُوفِّي وفتر الوحي. توقف الوحي بعد ذلك فترة من الزمن حتى شق على محمد فأحزنه ذلك، فجاءه

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ريـــل بسورة الضحـــي، يقسم له ربه – وهو الذي أكرمه بما أكرمه به – ما ودعه وما قلاه.

المسلمون الأوائل:

أخـــذ النـــبـــي صـــلي الله عليه وســـلم يدعو إلى الإســـلام سرا، فكـــانت خديجـــة بنت خويـــلد رضـــي الله عنهـــا – أول النـــاس إســـلامًا وإيمانًا بـــالله ورسوله، ثم تـــلاها على بن أبي طالب –رضي الله عنه – وكان فـــي نـــحو العـــاشرة من عمره، ثم زيد بن حـــارثـــة مولي رسول الله صـــلي الله عليه وســـلم، ثم أســـلم أبو بكر بن أبـــي قحافة، وكان رجـــلا مـــألفًا لقومه، محببًا سهـــلا، فـــأســـلم على يديه طـــائفـــة من كبار الصـــحـــابـــة، أمـــثـــال: عـــثمـــان بـــن عـــفـــان، والزبـــير بن العوام، و عـــبد الرحـــمن بـــن عـــوف، وســـعد بن أبـــي وقـــاص، وطـــلحـــة بن عبيد الله.

ثـــم أســـلمـــت بـــعد هـــؤلاء طـــائفـــة أخري، عد منهم ابن إسحـــاق نحو خمســـة عشر فردًا مـــا بين رجـــل وامرأة، هم: أبو عبيدة بن الجراح، وأبو ســـلمـــة ابن عبد الأسد وعثمان بن مظعون، و أخواه قدامة و عـــبد الله، وعُبـــيدة بـــن الحـــارث ابن المطـــلب وسعيد بن زيد بن عـــمرو بـــن نـــفيـــل، وامـــرأتـــه فـــاطـــمـــة بنت الخطـــاب، وأسمـــاء وعـــائشـــة بنتـــا أبـــي بكر، وخبـــاب بن الأرت، وعمير بن أبي وقـــاص، و عبد الله بن مسعود، ومسعود ابن القـــاري – رضي الله عنهم – وكان ذلك في مرحلة الدعوة السرية.

الدعوة السرية:

كـــان النبـــي صـــلي الله عليه وســـلم يعـــلم تمـــام العـــلم عنـــاد قريش وكـــبريـــاءهـــا وإصرارهـــا على التمسك بـــالقديم، واعتزازهـــا بـــآبـــائهـــا وأجـــدادهـــا وعـــبـــادتـــهـــا للأصنـــام؛ لذا فـــلن تُســـلِّم بسهولة، أو تذعن لدعوته، بـــل ستقـــاومه حتى آخر سهم فـــي جعبتها، لأنها اعتقدت أن الإســـلام يهدد مصـــالحهـــا ويقضـــي على سيطرتهـــا على مكـــة ومـــا حولهـــا، ولو عـــلمت أن الإســـلام سيجعلها سيدة العالم ما قاومته لحظة واحدة ولرحَّبت بدعوته.

أدرك النبـــي صـــلي الله عليه وسلم ذلك، فقرَّر أن تكون دعوته لدينه ســـرا فـــي بـــادئ الأمر، وبدأ فـــي دعوة أصدقـــائه وأقرب النـــاس إليه ومن يـــأنس فيهم خيرًا واستعدادًا لقبول الحق والهُدي، فـــآمن به – إلى جـــانـــب من ذكرنـــا – عدد من رجـــالات قريش ونســـائهـــا، وطـــائفـــة من العبيد والفقراء والضعفـــاء الذين رأوا في الدين الجديد الخلاص مما هم فـــيه مـــن شقـــاء وبـــؤس، مثـــل: بـــلال بن ربـــاح، و صهيب الرومـــي، وآل يـــاسر، وكـــان النبـــي صـــلي الله عليه وسلم يجتمع بمن أسلم سرا فـــي دار الأرقم بن أبـــي الأرقم يتلو عليهم آيات القرآن الكريم، ويـــعـــلمـــهم شـــرائع الإســـلام، واستمرت هذه الدعوة السريـــة نحو ثـــلاث سنوات، ازداد فيها عدد المسلمين زيادة يسيرة.

ويـــبدو أن خـــبر الدعـــوة لم يـــعد ســـرا بـــصورة مـــطـــلقـــة بـــالنسبـــة إلى قريش، فقد تسرَّب إليهـــا، لكنهـــا لم تعبـــأ بهذا فـــي البدايـــة، ولعلها كـــانت واثقـــة بقوتهـــا وقدرتهـــا على مقـــاومـــة هذه الدعوة من ناحية، و واثقة بأن حملها على ترك دين آبائها وأجدادها أمر صعب من ناحية أخري.

الجهر بالدعوة وموقف قريش:

أمر الله تعـــالى نبيه محمدًا صلي الله عليه وسلم أن يجهر بالدعوة بـــعد مـــضـــي ثـــلاث سنوات من الدعوة سرا، فقـــال: [*فـــاصدع بمـــا تـــؤمر و أعرض عن المشركين* [الحجر: ٩٤ ، و قال تعالى [*وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون*] الشعراء: ٢١٤ – ٢١٦.

وامتثالا لهذا الأمر الإلهي بدأ النبي بدعوة الأقربين من أهله وعشيرته إلى الإســـلام، وصنع لهم طعـــامًا فـــي بيته، وبعد أن تنـــاولوه، حدَّثهم قـــائـــلا: مـــا أعـــلم إنسانًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فقد جئتكم بخيري الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر؟ فأعرضوا عنه جميعًا، وهمُّوا بتركه عـــدا على بـــن أبـــي طـــالب، وانـــصرفوا دون أن يستجيبوا لدعوة النبـــي، غير أنهم لم يبادئوه بأذي في أول الأمر، غير أن عداوتهم له بدأت حين شرع في تسفيه آلهتهم.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الجهاد في العهد المكي:

قد يفهم بعض الناس أن المقصود بالجهاد الحرب فقط، لكنه يعني كثيرًا من أنواع الجهاد، فالصبر على الأذي و المكاره لا يقل أهمية عن الجهاد بالسلاح، وقد تحمَّل النبي صلي الله عليه وسلم هو و أصحابه صنوفًا من الأذي صبَّها عليهم المشركون في الفترة المكية، فكانوا يسبونه ويتعرضون له، ويرجمونه بالحجارة، ويلقون عليه القاذورات، وأشهر من صنع ذلك معه: عقبة بن أبي معيط، و أبو جهل الذي حاول قتل النبي صلي الله عليه وسلم عند الكعبة. وكان موقفهم هذا من النبي صلي الله عليه وسلم عنادًا له وحسدًا من عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعرفون أن دينه حق، وأن الذي يأتيه وحي من السماء، ولكن حال الحسد بينهم وبين اتباعه وتصديقه، وصبَّ المشركون جام غضبهم على المستضعفين من المسلمين، و أذاقوهم ألوانًا من العذاب، مثل: بلال بن رباح الذي لم ينقذه من العذاب إلا أبو بكر الصديق الذي اشتراه من سيده أمية بن خلف وأعتقه، وآل ياسر وكانوا يُعذَّبون إذا حميت الظهيرة برمضاء مكة، وكان الرسول يمر بهم و لا يملك أن يمنع عنهم العذاب، فيقول لهم: صبرًا آل ياسر فموعدكم الجنة، فصبروا واحتملوا ولم يتخلوا عن دينهم، حتى إن أم عمار طعنها أبو جهل بحربة فقتلها وهي على إسلامها.

الهجرة إلى الحبشة:

اشتد الأذي والتعذيب بأصحاب النبي صلي الله عليه وسلم دون أن يقدر على الدفاع عنهم، وكان هو في منعة من أهله إلى حد ما، يقف بجانبه أبو طالب يدفع عنه الأذي، ففكَّر لهم في مخرج مما يلاقونه من التعذيب، فقال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه فخرج بعض المسلمين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرُّوا إلى الله بدينهم، وكانت هجرتهم أول هجرة في الإسلام، وبلغ عددهم عشرة رجال وأربع نسوة، منهم: عثمان بن عفان وزوجته رُقية بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم، ثم خرجت مجموعة أخري من المسلمين إلى الحبشة، كان عددها أكبر من الأولي؛ إذ بلغوا نحوً من ثمانين رجلا وامرأة، وظلوا مدة طويلة في الحبشة، بعد أن وجدوا الأمن والحماية من ملكها، وعادت آخر مجموعة من هناك مع جعفر في أول السنة السابعة من الهجرة.

إسلام عمر بن الخطاب:

بعد هجرة المسلمين الأولي إلى الحبشة أسلم عمر بن الخطاب، وكان إسلامه حدثًا كبيرًا في مكة، ونصرًا عظيمًا للإسلام؛ إذ كان من الشخصيات القوية في مكة، ومن أشد أعداء المسلمين، حتى إنه أسلم في الوقت الذي عزم فيه على الذهاب لقتل الرسول صلي الله عليه وسلم، فأراد الله به الخير، واستجاب الله لدعوة النبي الذي كان دائمًا يردد: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين، عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام أبي جهل .

وبإسلام عمر قَوِي موقف المسلمين كما اشتد من قبل بإسلام حمزة بن عبد المطلب عمِّ النبي صلي الله عليه و سلم، و أهاب بالمسلمين أن يصلوا عند الكعبة تحت حمايته، فغلبت قريش على أمرها، لمعرفتها بقوة شكيمة عمر ومضاء عزيمته، فلم تتعرَّض لهم، وبدأت تلجأ إلى أسلوب آخر في مواجهة الدعوة، وهو أسلوب المقاطعة.

أسلوب المقاطعة:

استعملت قريش مع النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه أساليب العنف والتعذيب والاضطهاد، فلم تنجح في ردهم عن دعوتهم، فلجأت إلى أسلوب الترغيب والمساومة، فعرضت على النبي صلي الله عليه و سلم الملك والسيادة والمال، فرفض عرضهم، لأنه لم يكن طالب ملك أو جاه، بل رسولا جاء من الله برسالة سماوية، تحمل الخير والعدل، ولابد من تبليغها، ثم وسَّطوا أبا طالب ليكف محمدًا عن تسفيه آلهتهم في مقابل ما يريد من ملك أو جاه، فكلمه قائلا: إن القوم

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يطلبون منك أن تكف عن سب آلهتهم، فأبق على و على نفسك فأجابه النبي بكلمات قليلة، لكنها قاطعة وحاسمة: والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلكَ دونه.

سمع أبو طالب هذا الرد الحاسم، وأدرك إصرار النبي صلي الله عليه وسلم على السير في طريق الدعوة مهما تكن الصعاب والمشاق، فقال له في رقةٍ بالغة: يا ابن أخي امضِ فيما أنت فيه، فوالله لن أسلمك لشيء تكرهه أبدًا.

ولما لم تنجح كل هذه الوسائل في ثني النبي صلي الله عليه وسلم عن تبليغ دعوته، ورد أصحابه عن دينهم الجديد، لجأت قريش إلى أسلوب المقاطعة، ولم يكن هذا مألوفًا في بلاد العرب، ولعله لم يكن مألوفًا كذلك في أي مكان في العالم آنذاك، ففرضت حصارًا على بني هاشم وبني المطلب جميعًا، ممن يقفون مع النبي صلي الله عليه وسلم ويذودون عنه، سواء من أسلم منهم أو لم يسلم، وقررت ألا تبيع لهم أو تشتري منهم، وألا تزوجهم أو تتزوج منهم، وألا تتزاور معهم، عقابًا لهم على مساندتهم للنبي صلي الله عليه وسلم،وكتبوا بتلك المقاطعة وثيقة في صحيفة، علقوها في الكعبة، ليكون لها احترام والتزام.

واستمر هذا الحصار القاسي المجرد من الإنسانية نحو ثلاث سنوات، عاني منه بنو هاشم وبنو المطلب أشدَّ المعاناة، و هم صابرون صامدون، لم يتخلَّ أحدٌ منهم عن النبي صلي الله عليه وسلم، حتى تحركت النخوة والشهامة في نفوس بعض رجالات قريش، كزهير بن أبي أمية المخزومي، و المطعم بن عدي، وأبي البُختري بن هشام، لما رأوا ما يعانيه بنو هاشم وبنو المطلب من هذه المقاطعة الظالمة، فسعوا في نقضها وإنهائها، وأقسموا على تمزيق الصحيفة، وكان لهم ما أرادوا، فخرج النبي وأصحابه من شعبهم الذي كانوا محاصرين فيه؛ ليستأنف رسول الله صلي الله عليه وسلم دعوته إلى دين الله.

عام الحزن:

استأنف النبي صلي الله عليه وسلم دعوته بعد انتهاء المقاطعة، واستبشر المسلمون خيرًا بعهد جديد يمارسون فيه حياتهم الطبيعية، لكن وقع للنبي حدثان جليلان في عام واحد وهو العام العاشر من البعثة، فقد مات كل من عمه أبي طالب، وزوجته خديجة، وكانا نعم العون له والمساندة في تبليغ رسالته، وعلى الرغم من ذلك فإن النبي صلي الله عليه وسلم لم يضعف ولم تهن له عزيمة؛ ومضي واثقًا بنصر الله يبلغ رسالة الله إلى العالمين.

رحلته إلى الطائف:

أراد النبي صلي الله عليه وسلم أن يخرج بالدعوة من نطاق مكة، لعله يجد نصيرًا أو معينًا بعد المضايقات الشديدة التي لقيها من قريش وبخاصة بعد موت خديجة وأبي طالب، فقرر الذهاب إلى الطائف؛ لعرض دعوته على ثقيف رجاء إيمانها به وبرسالته، لكنهم رفضوا ما عرضه على هم، ولم يكتفوا بذلك بل سبُّوه وأهانوه، وسلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم؛ ليضربوه بالحجارة، فتأثر بذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم، وبلغ إحساسه بالألم مداه، فجأر بالشكوي إلى الله قائلا: *اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبي حتى ترضي، ولا حول ولا قوة إلا بك*، وبعد أن قال الرسول هذا الكلام المؤثر جاءه جبريل ومعه ملك الجبال عليهما السلام، فقال له ملك الجبال: إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخشبين٢، فقال النبي صلي الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا، ودعا لهم قائلا: *اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون*.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الإسراء والمعراج:

في هذا الجو الذي بدا قاتمًا وحزينًا بعد موت أبي طالب وخديجة بنت خويلد، وما لقيه النبي من أهل الطائف والقبائل من عنت وإيذاء، أراد الله تعالى أن يسرِّي عنه صلي الله عليه وسلم وأن يعلمه ويطمئنه، فأسري به إلى المسجد الأقصي وعرج به إلى السماء وموجز هذه الحادثة كما ترويها كتب الحديث والسيرة: أن النبي صلي الله عليه وسلم كان في بيت أم هانئ بنت أبي طالب فجاءه جبريل ومعه البراق وهي دابة أصغر من البغل وأكبر من الحمار وأخذه إلى بيت المقدس في فلسطين، حيث وجد في استقباله جمعًا من الأنبياء، فيهم إبراهيم و موسى و عيسي – عليهم السلام – جميعًا، فصلي بهم إمامًا ركعتين، ثم عرج إلى السماوات العلي، حيث التقي بعدد من الأنبياء، وتحدث إليهم وحيوه وهنئوه، ثم ارتقي فوق السماوات العلي لمناجاة ربه، وتلك مكانة لم يبلغها نبي ولا رسول ولا ملك من الملائكة المقربين، و في هذا اللقاء فرضت الصلوات الخمس، وقد أراه الله من آياته الكبري، فرأي الجنة و ما أعده الله من نعيم للمتقين، ورأي النار وما أعده الله من عذاب للكافرين. ثم عاد إلى مكة في الليلة نفسها، مزودًا بهذه الطاقة الروحية الهائلة.

أبو لهب يحذر القبائل من دعوة النبي:

على الرغم مما تعرض له النبي صلي الله عليه وسلم من إساءات أهل الطائف، فإنه لم ييأس من دعوة الناس إلى الإسلام، فكان يتصدي لوفود القبائل التي تأتي إلى مكة في موسم الحج، يعرض عليهم رسالة الإسلام، ومن الوفود التي التقي بها: وفد كندة، وبني حنيفة وبني عامر بن صعصعة، غير أنه لم يجد منهم مجيبًا، خاصة أن عمه أبا لهب كان يتتبع خطي رسول الله صلي الله عليه وسلم، فإذا رآه جلس إلى وفد قبيلة من قبائل العرب؛ جاءهم قائلا لهم: لا تصدقوه إنه كذَّاب ولا تطيعوه ولا تسمعوا له. واستمر هذا الوضع حتى أذن الله بالفرج من ناحية يثرب.

الهجرة إلى المدينة:

بيعة العقبة الأولي:

بدأت بشائر النصر تأتي ريحها من يثرب، فقد التقي النبي صلي الله عليه وسلم أثناء عرض دعوته على القبائل بوفد من أهل يثرب في موسم الحج، وعرض عليهم الإسلام، فلم يرفضوا ولم يسلموا، عدا واحدًا منهم هو إياس بن معاذ فقد أسلم، لكنهم حين عادوا إلى قومهم تحدثوا بما سمعوا من النبي، فنبهوهم إلى أنه من المعقول أن يكون محمد هو النبي الذي كانت اليهود تحدثهم عنه دائمًا، وكان في يثرب كثير من قبائل اليهود بنو قينقاع وبنو النضير و بنو قريظة، الذين علموا من كتبهم المقدسة أن هناك نبيًا قد قرب زمانه وهو آخر الأنبياء.وهذه المعلومات التي عرفها أهل يثرب من الأوس والخزرج كانت مفيدة لهم وللإسلام، فقد ذهب وفد منهم في الموسم التإلى – العام الثاني عشر من البعثة – والتقوا برسول الله صلي الله عليه و سلم وهم على استعداد للاستجابة له والتجاوب معه، فحدَّثهم عن الإسلام فآمنوا وبايعوه عند العقبة في منِي البيعة الأولي، على أن يؤمنوا بالله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وألا يسرقوا، وألا يزنوا، وألا يعصوا الله في معروف. وأرسل النبي معهم عند عودتهم إلى يثرب مصعب بن عمير، يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين.وكان هذا اللقاء بداية النصر وفاتحة الخير، فإذا كانت مكة قد تحجرت عقولها وصمت آذانها عن سماع صوت الحق، فإن يثرب تفتح له قلوبها وعقولها وآذانها.

بيعة العقبة الثانية:

نجح مصعب بن عمير فيما كُلِّف به نجاحًا عظيمًا، فازداد عدد المسلمين في يثرب على يديه زيادة كبيرة، ولم يبق بيت فيها إلا ولذكر الإسلام والنبي فيه نصيب، وعاد مصعب في الموسم التالي العام الثالث عشر من البعثة، ليزف

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

النبي صلي الله عليه وسلم بشري نجاحه، وإقبال أهل يثرب على الإسلام، وأن وفدًا كبيرًا منهم سوف يأتي إلى مكة لمقابلته، فقدم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان لهذا الغرض، وتم اللقاء سرا عند العقبة في مني، وسط أيام التشريق الثلاثة الأيام الأولي من عيد الأضحي، وحضر اللقاء العباس بن عبد المطلب، وكان لا يزال مشركًا، لكنه رغب في حضور هذا الاجتماع؛ ليطمئن على ابن أخيه.وفي هذا اللقاء بايع الحاضرون النبي صلي الله عليه و سلم بيعة العقبة الثانية أو بيعة القتال، لأن أهم ما تضمنته التزام أهل يثرب بالدفاع عن النبي عندما يهاجر إليهم، و منعه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم. وبعد أن تمت البيعة اتفقَ على ترتيبات هجرة أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم إلى يثرب، وما يلتزمه أهل يثرب تجاههم من توفير المأوي والمعاش.وقد أثبت أهل يثرب أنهم أهل كرم وشهامة وتضحية، فقدموا لإخوانهم المهاجرين كل ما يحتاجون إليه، بل و آثروهم على أنفسهم.

المؤامرة الكبري:

بدأ أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم من أهل مكة يهاجرون إلى موطنهم الجديد، أفرادًا وجماعات متخفين عن أعين قريش، وبقي الرسول في مكة، ووقعت قريش في حيرة شديدة؛ لأنها لم تكن تعرف ما هو صانع؛ هل سيبقي في مكة، أم سيلحق بأصحابه إلى يثرب ؟ وفي هذا خطر شديد عليهم، لأنه سيجد في يثرب المنعة والحماية والاستعداد للدفاع عنه، مما قد يجرُّهم إلى الدخول في عداء سافر مع يثرب.

وأمام هذه التطورات المتلاحقة قررت قريش أن تحزم أمرها سريعًا قبل أن يهاجر النبي ويفلت من بين يديها، فعقدوا اجتماعًا في دار الندوة لم يحضره أحد من بني هاشم سوي أبي لهب عم النبي، وبحثوا فيه الأمر، وعُرِضَت ثلاثة اقتراحات لمواجهة الموقف، الأول: أن يضعوا محمدًا في السجن، والثاني: أن ينفوه من مكة، و الثالث: أن يقتلوه، وحاز الاقتراح الثالث الموافقة على تنفيذه، و هذه هي المؤامرة التي عبَّر عنها القرآن الكريم، في قوله تعالى: [*وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين*] الأنفال: ٣٠.

وبعد أن اتفقوا على قتله، ناقشوا كيفية تنفيذ ذلك، فرأوا أن تشترك جميع القبائل في قتله، بأن تختار كل منها فتي شابا قويا من بين أبنائها، وتعطيه سيفًا بتارًا، وأن يرابط هؤلاء جميعًا أمام بيت النبي صلي الله عليه وسلم ليلا، حتى إذا خرج عليهم في الصباح ضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرَّق دمه في القبائل، ولا يقوي بنو هاشم على محاربة أهل مكة جميعًا.علي في فراش النبي صلي الله عليه وسلم:

علم رسول الله بما بيتته له قريش، فأعد العدة للهجرة، وأسر بذلك إلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي كان ينتظر هذا بلهفة وشوق، فأعد لذلك الأمر عدته من قبل، للقيام بأعظم رحلة في تاريخ البشرية.

دعا النبي صلي الله عليه وسلم على بن أبي طالب، لينام في فراشه في تلك الليلة، ليضلل قريشًا من جهة، ومن جهة أخري لكي يتخلف في مكة، ليؤدي للناس ودائعهم التي كانت عند الرسول، وخرج النبي صلي الله عليه وسلم في عماية الصبح، و المتآمرون واقفون على بابه، ينتظرون لحظة خروجه، للانقضاض عليه، لكن الله أعمي أبصارهم، وأخذ النبي صلي الله عليه وسلم حفنة من الحصي وقذفها في وجوههم، وقال شاهت الوجوه، ثم تلا قوله تعالى: <<*وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون*>> يس: ٩.قصد النبي صلي الله عليه وسلم بيت أبي بكر الذي كان في انتظاره و معه الرواحل، والزاد، وكل ما يلزم الرحلة المباركة، وكان دليلهم في رحلتهم عبد الله بن أريقط.

النبي في غار ثور:انطلقت الرحلة المباركة قاصدة غار ثور في جنوب مكة، مع أن وجهتهم كانت يثرب في الشمال؛ لأن النبي صلي الله عليه وسلم يعرف أن قريشًا عندما تكتشف أنه نجا من كيدهم ستتجه في بحثها عنه إلى الشمال، عندئذ يكون هو قد وصل إلى الغار واختبأ فيه.والحق أن خطة الهجرة كانت دقيقة وسرية إلى أقصي حد، ووضعَ لها كل ما في وسع البشر أن يفعلوه لضمان نجاحها، فإذا لم يفلح هذا كله، فستأتي عناية الله في اللحظة المناسبة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

إنقاذ الموقف، فالذين علموا بأمر الهجرة كان عددهم محدودًا وكانوا موضع ثقة، منهم: عامر بن فهيرة مولي أبي بكر وراعي غنمه، وعبد الله بن أبي بكر، وأخته أسماء، وكل واحد من هؤلاء له عمل محدد وفي غاية الأهمية والخطورة، فعبد الله بن أبي بكر كانت مهمته أن يتسمع أخبار قريش بالنهار في أنديتها، ثم يبلغها الرسول صلي الله عليه وسلم إذا جاء الليل، وكانت مهمة أسماء إعداد الطعام، و لما لم تجد مرة حبلا تربط به حقيبة الزاد، شقت نطاقها الذي كانت تشد به وسطها، وربطت بأحد الشقين الحقيبة فلقبت بذات النطاقين، أما عامر بن فُهيرة فكانت مهمته أن يرعى الأغنام بالقرب من الغار، فإذا ما حلَّ الظلام ذهب إلى الغار؛ ليزود النبي صلي الله عليه و سلم و أبابكر باللبن، ويسير بأغنامه على آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر حتى يمحوها، فلا يفطن أحد إلى مكانهم.جن جنون قريش حين علمت أن النبي صلي الله عليه وسلم أفلت من قبضتها، وأن النائم في الفراش لم يكن سوي على بن أبي طالب، فأخذت تبحث عن محمد في كل مكان، وبعد أن أعياهم البحث في طريق يثرب؛ عادوا إلى الجنوب، ووصلت طلائع بحثهم إلى باب الغار، ففزع أبوبكر، حتى إنه بكي من شدة خوفه على حياة النبي صلي الله عليه وسلم، فسأله: ما يبكيك يا أبا بكر؟ فقال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له الرسول صلي الله عليه وسلم مطمئنًا: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

وقد سجل القرآن الكريم هذا المشهد، فقال تعالى : [*إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا و الله عزيز حكيم*.[التوبة : ٤٠.

استئناف الرحلة:ظل النبي صلي الله عليه وسلم، وصاحبه في الغار ثلاثة أيام، حتى هدأت قريش، وتعبت من البحث دون جدوي، بعد أن كانت قد رصدت جائزة كبري قدرها مائة من الإبل لمن يأتيها بمحمد حيا أو ميتًا، لكن الله – سبحانه– عصمه من ذلك أيضًا، ثم استأنف الرسول رحلته المباركة في غرة ربيع الأول، وأخذ دليلهما طريقًا غير طريق القوافل المعروف، لئلا يستدل عليهم أحد. وكانت الرحلة شاقة واكتنفها كثير من المخاطر، من ذلك أن سُراقة بن مالك الجشمي علم أن النبي صلي الله عليه وسلم وأبا بكر سلكا ذلك الطريق، فأراد اللحاق بهما، والقبض عليهما ليفوز بالجائزة، فلما اقترب منهما غاصت أقدام حصانه في الرمال، وعجز عن النهوض، فدهش سراقة، فلم يعهد من حصانه هذا من قبل، وحاول أكثر من مرة اللحاق بهما، ولكن تكرر فشله، والنبي صلي الله عليه وسلم ينظر إليه في إشفاق، و سراقة يظن أن النبي منتقم منه لا محالة، فتوسل إليه أن يعفو عنه، و عاهده على ألا يدل عليه أحدًا، فعفا عنه النبي صلي الله عليه و سلم.

وكان أهل يثرب منذ أن علموا بقرب مقدم النبي صلي الله عليه وسلم إليهم ينتظرونه بحب وشوق ولهفة إلى رؤيته، وكانوا كل يوم يخرجون إلى مشارف المدينة، يلتمسون وصوله، فما إن وقعت عليه عيونهم حتى كادوا يطيرون من الفرح، وهتفوا مرحبين منشدين:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحبًا يا خير داع

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

كان وصوله صلي الله عليه وسلم إلى يثرب، التي أصبحت عندئذ تسمي مدينة الرسول، أو المدينة المنورة يوم الجمعة الموافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول؛ لأنه قضي أربعة أيام في قُبَاء قبل دخوله يثرب، فقد وصلها يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول، وبقي فيها إلى يوم الجمعة، حيث صلّي الجمعة في المدينة، وصلي خلفه المهاجرون و الأنصار في مشهد عظيم، وحادث الهجرة هو أعظم حدث في التاريخ الإسلامي، لذلك اتخذه الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – مبدأ للتاريخ الإسلامي؛ لأن الهجرة هي التي فتحت أمام الإسلام ذلك العالم لرحيب، ومكنت النبي صلي الله عليه و سلم من بناء دولته وتكوين جيشه الذي سيدافع عن دعوته، وأتاحت له أن يعلم أصحابه أصول دينهم وعلوم السياسة والحرب والسلام، والإدارة والقيادة، وهيَّأهم ليقودوا الدنيا كلها إلى الخير والعدل والحق، وينشروا فيها الحرية والعزة والكرامة لكل الناس .

قيام الخلافة

أدرك الصحابة – رضوان الله عليهم – أهمية اختيار خليفة لرسول اللهصلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وضرورة أن يختاروا لدولتهم رئيسًا يخلف النبي في إدارة أمورهم، فاجتمع الأنصار فى سقيفة بنىساعدة، التى كانت لهم مثل دار الندوة لقريش فى مكة؛ لاختيار خليفة منهم، ظانين أنهم أحق الناس بذلك الأمر من غيرهم، فالمدينة بلدهم، والدولة قامت على أرضهم، فرشحوا سعد بن عبادة الخزرجى لهذا المنصب الجليل، وفى أثناء ذلك جاء عويم بن ساعدة، ومعن بن عدى، وهما من الأنصار إلى أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وأخبراهما بما يجرى فى السقيفة، فاتجها معهما على الفور إليها، وفى الطريق لقيا أبا عبيدة بن الجراح فذهب معهم، ولما وصلوا إلى السقيفة حيث الأنصار مجتمعون، وسعد بن عبادة يتكلم على الرغم من مرضه، مبينًا أحقية الأنصار بالخلافة؛ أراد عمر بن الخطاب أن يتكلم، لكن أبا بكر طلب منه أن ينتظر، فامتثل لأمر أبى بكر الذى تكلم، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وعلى نبيه: إن الله بعث محمدًا رسولا إلى خلقه؛ ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى... فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له.. فهم أول من عبد الله فى الأرض، وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم إلا ظالم. وأنتم يا معشر الأنصار من لا يُنكر فضلهم فى الدين ولا سابقتهم العظيمة فى الإسلام، رضيكم الله أنصارًا لدينه ورسوله،وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لاتفتاتون فى مشورة، ولا تنقضى دونكم الأمور، ثم قال: ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش،هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم يقصد عمر وأبا عبيدة، ولكنهما رفضا أن يتقدما على أبى بكر، وقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين، وثانى اثنين إذ هما فى الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك

فقام الحاضرون فى السقيفة بمبايعة أبى بكر بيعة عُرفت بالبيعة الخاصة، لأن كثيرًا من المسلمين لم يحضروها، وبخاصة آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم الذين كانوا مشغولين فى مراسم دفنه، وتمت البيعة فى جو من السكينة والإخاء والود، بعد مشاورة ونقاش هادئ ورزين، مما دل على إحساس عميق بالمسئولية من كبار الصحابة وضرورة استمرارية الدولة، وكراهيتهم أن يبيتوا ليلة واحدة بعد وفاة نبيهم بدون إمام يدير أمورهم، ويواجه الموقف، ويتخذ ما يلزم من قرارات، وقدموا ذلك على تجهيز النبى ودفنه صلى الله عليه و سلم .

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لبيعة العامة : وفي اليوم التالى بعد الانتهاء من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع المسلمون فى مسجده وبايعوا أبا بكر بيعة عامة، حضرها جمهور الصحابة، وكأن البيعة الأولى كانت بمثابة ترشيح، احتاجت إلى تصديق من عامة المسلمين وتوثيقهم و الذى عليه جمهور علماء أهل السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعين خليفة له، ولم يوصِ بتعيين أحد، فلو أنه حدد لهم شخصًا بعينه وجعله خليفة عليهم؛ لظن بعض الناس أنه تعيين من الله ورسوله، وسيضفى على هذا الشخص نوعًا من القداسة تجعله فوق النقد والمحاسبة، وهذا أمر خطير لا محالة، فولىُّ الأمر عند المسلمين بشر، يخطئ ويصيب، فإذا أصاب أعانوه، وإذا أخطأ قوموه وكما لم يعين النبى صلى الله عليه وسلم شخصًا بعينه لتولِّى الأمر من بعده، فإنه لم يحدد للمسلمين أيضًا الطريقة التى يختارون بها من يتولى أمورهم؛ لأنها تخضع لتطور الظروف والأحوال، ومن هنا كان فى ترك النبى لهذا الأمر مصلحة للمسلمين، حتى لا يقيدهم بشخص، أو بطريقة معينة، وقد فهم الصحابة مراد نبيهم وقصده من عدم التعيين، وتصرفوا على أساسه وكل ما يمكن قوله فى هذه المسألة الخطيرة أن النبى أومأ إيماءة خفيفة ذات مغزى بتقديمه أبا بكر ليؤم المسلمين فى الصلاة أثناء مرضه، وكأنه – عليه الصلاة والسلام – قد رشح أبا بكر للخلافة مجرد ترشيح وليس إلزامًا، وكأنه أراد أن يقول: إذا رأيتموه جديرًا بالخلافة وأهلا لها وقادرًا على تحقيق مصلحتكم فى دينكم ودنياكم، فأنتم وذاك، وإلا فلتروا رأيكم .

و الخلاصة أن ببيعة أبى بكر العامة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم التالى لوفاته قامت دولة الخلفاء الراشدين،نحو ٣٠ عاما من ١١–٤٠ هـ .

الخليفة الأول ١٣١١ -

هو عبد الله بن عثمان بن عامر، من قبيلة تيم بن مرة بن كعب، وفي مرة بن كعب يلتقى نسبه مع نسب النبى صلى الله عليه و سلم، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر، تيمية كأبيه وكنيته: أبو بكر، ولقبه :عتيق

ولُد أبو بكر سنة ٥٧٣م بعد مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاثة أعوام، ونشأ فى مكة، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر؛ لعلمه وتجارته وحسن مجالسته وعُرف أبو بكر بترفعه عن عادات الجاهلية، وما كانوا يقترفونه من مجون وشرب خمر، وارتبط قبل البعثة بصداقة قوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الاتفاق فى الطباع وصفاء النفس من أقوى الروابط بين النبى وأبى بكر.

إسلامه

تُجمع مصادر السيرة والتاريخ على أن أبا بكر كان أول من أسلم وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من الرجال الأحرار، وكان لسلامة فطرته التى كانت تعاف ما عليه قومه من عبادة الأوثان أثر فى تبكيره بالدخول فى الإسلام، و ما إن دعاه النبى صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام حتى أسلم على الفور؛ لثقته بصدق النبى صلى الله عليه وسلم وأمانته، يقول النبى صلى الله عليه وسلم: ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة - تأخر فى الإجابة–إلا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة، ما عكم عنه – تأخر عنه - حين ذكرته له، وما تردد فيه.

ومنذ أن أسلم وهو يهب نفسه وماله لله ورسوله، فكان يشترى من أسلم من العبيد الذين كانت قريش تعذبهم، ويعتقهم كبلال بن رباح، وكان يذود عن النبى صلى الله عليه وسلم بكل ما أوتى من قوة، فيروى البخارى عن عبد

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بن عمرو ابن العاص قوله: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى، فوضع رداءه في عنقه، وخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر – رضى الله عنه – حتى دفعه عنه، فقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم. صحيح البخارى. ومن أجَلِّ مواقف أبي بكر تصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم.

في حادث الإسراء، فحين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أسرعوا إلى أبي بكر يخبرونه، ظنا منهم أنه لن يصدق، فقال لهم: والله لئن كان قاله لقد صدق، فإني أصدقه في أبعد من هذا، أصدقه في خبر السماء يأتيه في ساعة من ليل أو نهار، فلُقب بالصديق من يومئذٍ. واختاره النبي صلى الله عليه وسلم –لثقته– به ليرافقه في رحلة الهجرة دون غيره من الصحابة، ثم لازم النبي بعد الهجرة في ليله ونهاره، فلم يتخلف عن غزوة من غزواته أو مشهد من مشاهده، وكان مجاهدًا بنفسه وماله حتى وصفه النبي بقوله: ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها، إلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر

ومما لاشك فيه أن أبا بكر الصديق عند علماء الأمة أفضل المسلمين مطلقًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك أنه جعله أميرًا على الحج في العام التاسع من الهجرة، وأنابه في الصلاة عند مرضه – دون غيره –، وكان هذا أقوى مرشح له لتولى الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

أبو بكر الصديق ومسؤوليات الخلافة

بعد أن بويع أبو بكر الصديق البيعة العامة قام فخطب الناس خطبة قصيرة، وضح لهم فيها منهجه في الحكم، فقال بعد أن حمد الله و صلى على نبيه: أما بعد أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله كلمات قليلة وبسيطة، لكنها في غاية الأهمية، تحمل اعتراف الخليفة الأول بحق الأمة فى مراقبة تصرفات حاكمها ونقده وتقويمه إن جانب الصواب كان أول القرارات التى اتخذها أبو بكر وأصعبها قراره بإنفاذ جيش أسامة إلى جنوبى الشام، كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الصديق أقدم عليه في ظروف دقيقة وحرجة، فالعربُ قد ارتدت عن الإسلام، حتى مكة نفسها همت بالردة، لولا أن سهيل بن عمرو روَّعهم، قائلا: لماذا ترتدون والنبوة كانت فيكم، والخلافة أصبحت فيكم؟، وحاولت الطائف أن ترتد، فمنع من حدوث ذلك عقلاؤها؛ إذ قالوا لقومهم: لقد كنتم آخر من أسلم، فلا تكونوا أول من يرتد كما استفحل أمر مدعى النبوة مسيلمة الكذاب في اليمامة شرقى شبه الجزيرة العربية، وطليحة بن خويلد الأسدى فى بنى أسد، في منطقة بذاخة –ماء لبنى أسد يقع إلى الشرق من المدينة المنورة – ولقيط بن مالك في عمان جنوبى شرقى بلاد العرب، والأسود العنسى فى اليمن وكل أولئك ظهروا في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يحفل بهم كثيرًا؛ لثقته بالقدرة على القضاء على تلك الحركات، وفي الوقت نفسه أمر بإنفاذ جيش أسامة بن زيد إلى جنوب الشام؛ لتأديب القبائل القاطنة هناك، التى تعادى المسلمين، ولتثبيت هيبة الإسلام فى أعين الروم، التى فرضها عليهم في غزوة تبوك، وللفت أنظار أصحابه إلى خطورة دولة الروم على الإسلام، لكن هذا الجيش لم يذهب لأداء مهمته؛ لمرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، فكان أول قرار للصديق، هو تنفيذ ما عزم عليه الرسول صلى الله عليه

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وسلم لكن الصحابة جميعًا عارضوا أبا بكر في قراره بإرسال جيش أسامة، وتعللوا بأن الردة قد عمت شبه جزيرة العرب، وأن الخطر داهم ومحدق بهم، حتى لم تسلم منه المدينة نفسها، واشرأبت أعناق أعداء الإسلام من يهود ونصارى وغيرهما، وتحفزوا للقضاء على الإسلام، ولذا فإن بقاء الجيش في المدينة ضرورة ملحة؛ لحمايتها من الأخطار المحدقة بها لكن ذلك كله لم يثن عزيمة الصديق عن إرسال جيش أسامة، ووقف كالأسد الهصور يذود عن الإسلام باتخاذ ذلك القرار الصعب قائلا: و الذى نفس أبى بكر بيده، لو ظننت أن السباع تخطفتنى لأنفذت بعث أسامة، كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو لم يبق فى القرى غيرى لأنفذته و قد ظهرت نتائج سياسة الصديق الموفقة، عندما ذهب جيش أسامة وحقق ما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم من أهداف، و عاد محمَّلا بالغنائم، وألقى الرعب والفزع فى قلوب القبائل العربية التى مرَّ عليها فى شمالى شبه الجزيرة العربية وهو فى طريقه إلى الشام؛ لأنهم قالوا: لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش الكبير إلى هذا المكان البعيد فى مثل هذا الوقت؛ ولذا كانت حركة الردة فى المناطق التى مرّ بها أسامة بجيشه أضعف منها فى أى مكان آخر من شبه الجزيرة العربية.

حركة الردة

يعد موقف الصديق من حركة الردة ومواجهته لها من أروع المواقف فى التاريخ، لأنه آمن إيمانًا عميقًا بانتصار الحق مهما تكن قوة أعدائه، وأظهر تصميمًا على الدفاع عن الإسلام مهما يبذل من جهد. و قد بدأت حركة الردة بالقبائل التى منعت الزكاة كعبس وذبيان وغطفان وغيرها، حيث أرسلت وفدًا إلى المدينة، يعرض على الصديق مطالبهم، وأنهم لم يرفضوا الإسلام، ولكنهم يرفضون دفع الزكاة لحكومة المدينة؛ لأنها فى ظنهم معرَّة، ويعدُّونها إتاوة تدفع لأبى بكر، ولم تدرك تلك القبائل أثر الزكاة فى التكافل الاجتماعى بين المسلمين كان رأى فريق من الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب أن يستجيب أبو بكر لتلك القبائل، ولا يجبرها على دفع الزكاة، وخاصة أن المدينة مكشوفة، وليس بها قوة تحميها وتدافع عنها؛ لأن جيش أسامة لما يعد بعد من شمالى بلاد العرب، لكن الصديق لم يقتنع بهذا الرأى، ورد على عمر بن الخطاب ردا جازمًا قائلا له: والله لو منعونى عقالا –الحبل الذى يجرُّ به الحمل – لجاهدتهم عليه. وكان هذا الموقف الثابت من الصديق رائعًا كل الروعة، فماذا لو وافق أبو بكر عمر ومن معه على رأيهم ؟ ربما شجع هذاالتنازل قبائل أخرى، فتمتنع عن دفع الزكاة أسوة بهؤلاء، ولربما تطور الموقف إلى أبعد من هذا، فتمتنع قبائل عن إقامة الصلاة أو غيرها من أركان الإسلام، ويكون هذا هدمًا للدين من أساسه. وكأن الصديق حين فعل هذا تمثل واقتدى بموقف لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءه وفد ثقيف يعلنون إسلامهم، ويطلبون منه إعفاءهم من أداء الصلاة، فرفض النبى صلى الله عليه وسلم ذلك، و قال لهم: لا خير فى دين لاصلاة فيه، ولعل الصديق قصد ذلك حين قال :والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة ولم يكن الصديق صاحب قرارات صائبة فحسب، بل كان يقرنها بالعمل على تنفيذها، فلما رأى الغدر فى عيون مانعى الزكاة أدرك أنهم سيهاجمون المدينة على الفور؛ لأنهم عرفوا غياب معظم الرجال مع جيش أسامة، وأعلن حالة الاستعداد للدفاع عن المدينة عقب عودة المانعين إلى ديارهم، واتخذ مسجد رسول الله، مقرا لغرفة عمليات عسكرية، وبات ليلته يُعد للمعركة ويستعد لها، و أمر عددًا من كبار الصحابة بحراسة مداخل المدينة، على رأسهم على بن أبى طالب، و طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم وحدث ما توقعه الصديق فبعد ثلاثة أيام فقط هاجم مانعو الزكاة المدينة، فوجدوا المسلمين فى انتظارهم، فهزمهم المسلمون و ردوهم على أعقابهم إلى ذى القصة – شرقى المدينة. ثم تعقبهم الصديق وألحق بهم هزيمة منكرة، وفرت فلولهم، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة، واتخذ الصديق من ذى القصة مكانًا لإدارة المعركة ضد حركة الردة كلها، وفى هذه الأثناء

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ءت الأخبار بوصول جيش أسامة سالمًا غانمًا، فأسرع الصديق بنفسه لاستقبال قائد الجيش الشاب الذى قام بهذه المهمة الخطيرة خير قيام، وبعد أن احتفى به وهنأه على عمله، أنابه عنه فى حكم المدينة، وعاد هو إلى ذى القصة ليدير المعركة مع المرتدين بعزيمة لا تلين .

أسباب حركة الردة

قبل الخوض فى الحديث عن مواجهة أبى بكر لحركة الردة، ينبغى معرفة أسبابها، التى جعلت تلك القبائل ترتد بعد أن أعلنت إسلامها أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة الأخيرة من حياته -السبب الأول: أن إسلام أغلب هذه القبائل كان ضعيفًا، فقد أذعنوا لقوة المسلمين، التى لم يكن لهم قِبَل بمواجهتها؛ فاستسلموا ولم يسلموا إسلامًا حقيقيًا، فظنوا أن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ستفتُّ فى عضد المسلمين، ولن يستطيعوا مواجهتهم

-والسبب الثانى: أن العصبية القبلية كانت عندهم قوية، فمعظم المرتدين الذين التفوا حول مدعى النبوة كانوا يعلمون صدق النبى صلى الله عليه وسلم، ولكن كل قبيلة كانت تريد أن يكون لها نبى من أبنائها ولو كان كذابًا، كما لقريش نبى من أبنائها، وعبروا عن ذلك بوضوح وصراحة، فيقول أحد بنى حنيفة لمسيلمة: أشهد أنك كذاب، ولكن كذاب ربيعة - التى منها مسيلمة – خير من صادق مضر– التى منها محمد ، وقال عيينة بن حصن الفزارى عن طليحة بن خويلد الأسدى: نبى من الحليفين خير من نبى من قريش، ومحمد مات، وطليحة حى.

-والسبب الثالث: أن زعماء القبائل وشيوخها كانوا مستفيدين من الوضع القبلى القديم؛ إذ كانت حياة معظم القبائل تقوم على الإغارة و السلب و النهب، ويأخذ شيوخها ربع ما تحصل عليه من تلك الغارات، ولذا تزعموا حركة الردة، وحرضوا أبناء القبائل عليها، ليستمروا فى السيطرة على قبائلهم

-والسبب الرابع: أن الفرس والروم حاولا القضاء على الإسلام باستخدام العرب وتحريضهم ومساعدتهم، فلما فشلا فى ذلك تدخلا مباشرًا، فحرَّض الفرس عرب الخليج على الردة، ثم أمدوا سجاح بنت الحارث اليربوعية – مدعية النبوة – بجيش كبير، قوامه أربعون ألف رجل، جاءت بهم من العراق التى كانت تحت الحكم الفارسى لمحاربة المسلمين، فلما فشلت تدخلوا مباشرة ضد المثنى بن حارثة، الذى كان يحارب المرتدين على حدود العراق

وفعل الروم البيزنطيون ما فعله الفرس، فاعتدوا فى حروب الردة على جيش خالد بن سعيد بن العاص فى منطقة تيماء شمالى الحجاز، وألحقوا به هزيمة كبيرة وقتلوا معظم جنوده.

المواجهة السلمية

أراد أبو بكر الصديق أن يبصِّر المرتدين بخطورة ما أقدموا عليه، فواجههم مواجهة سلمية بأن دعاهم إلى العودة بدون قتال إلى الإسلام، الذى أكرمهم الله به، وأرسل إليهم كتابًا يقرأ على القبائل كلها؛ لعلهم يعقلون، جاء فى أخره

وإنى بعثت إليكم فلانًا فى جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرَّ وكف وعمل صالحًا، قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يقاتله على ذلك، ثم لا يبقى على أحدٍ منهم قدر عليه، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن اتبعه فهو خير له، ومن ترك فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذّنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم.

الاستعداد العسكرى

وفى الوقت الذى كان يأمل فيه أن يستجيب المرتدون، ويعودوا إلى دين الله دون قتال؛ كان يعد أحد عشر جيشًا فى وقت واحد، تغطى المناطق التى ارتد أهلها فى شبه جزيرة العرب، جاهزة للانطلاق إلى كل منطقة؛ ليشغل كل قبيلة بالدفاع عن نفسها فى ديارها، ولا تأخذ فرصة للتجمع والتكتل ضده، وكان هذا تصرفًا بارعًا وحكيمًا من الصديق

واختار الصديق لهذه الجيوش أمهر القادة وأكثرهم خبرة بالقتال، وهم: خالد بن الوليد، سيف الله وعبقرى الحرب، وأمره بقتال المرتدين من بنى أسد وغطفان وحلفائهم بقيادة طليحة بن خويلد فى بذاخة، فإذا انتهى من مهمته توجه لقتال المرتدين من بنى تميم فى البطاح، إلى الشرق من ديار بنى أسد

-وعكرمة بن أبى جهل وأردفه بشرحبيل بن حسنة، وأمرهما بالتوجه إلى مسيلمة الكذاب ومن معه فى اليمامة، وأمرهما ألا يقاتلاه حتى يأمرهما بذلك، لمعرفة أبى بكر بقوة جيش مسيلمة، وأنهما لن يقدرا على هزيمته بسهولة، بل يشغلاه حتى يحين الوقت المناسب لإرسال قوات أكبر؛ لمواجهة بنى حنيفة فى جموعهم الكبيرة

-والعلاء بن الحضرمى، وأمره بقتال المرتدين فى البحرين وما والاها

-وحذيفة بن محصن، وأمره بقتال المرتدين فى دبا فى جنوبى شرقى شبه الجزيرة

وعرفجة بن هرثمة، وأمره بقتال المرتدين فى مهرة فى جنوبى شبه الجزيرة

والمهاجر بن أبى أمية المخزومى، وأمره بقتال المرتدين فى جنوبى اليمن

وسويد بن مقرن، وأمره بقتال المرتدين فى تهامة اليمن على ساحل البحر الأحمر

-وعمرو بن العاص، وأمره بقتال قبائل قضاعة فى الشمال

-ومعن بن حاجز وأمره بقتال المرتدين فى هوازن وبنى سليم

وخالد بن سعيد بن العاص، وأمره أن يعسكر فى تيماء، ولا يقاتل أحدًا إلا إذا قوتل.

أهم معارك حروب الردة

لم يستجب المرتدون لدعوة أبى بكر السلمية، فبدأ قادته ينفذون ما عهد إليهم من مهام، وخاض خالدبن الوليد أول معارك الردة فى بذاخة ضد المرتدين من غطفان وبنى أسد وحلفائهم ممن التفوا حول طليحة بن خويلد الأسدى مدعى النبوة، وكان النصر حليف خالد، بعد أن ألحق بهم هزيمة منكرة وغنم كثيرًا، وأرسل عددًا من

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

زعمائهم أسرى إلى الخليفة، وفر طليحة، وظهر كذبه، و يجدر بالذكرى أن طليحة قد أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه فى عهد أبى بكر الصديق، واشترك فى الفتوحات الإسلامية فى فارس، فى عهد عمر بن الخطاب، وكان له دور بارز فيهاوبعد ذلك توجه خالد بن الوليد إلى البطاح فى نجد لقتال المرتدين من بنى تميم بزعامة مالك بن نويرة، ونجح فى إلحاقالهزيمة بهم، والقضاء على الردة فى بلادهم.

معركة اليمامة

اليمامة مصطلح جغرافى قديم، يشمل المناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية التى تقع فيها الآن مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية. ووقعت معركة اليمامة نفسها فى مكان قريب من هذه المدينة وسبق أن ذكرنا أن أبا بكر أرسل عكرمة بن أبى جهل وشرحبيل بن حسنة للوقوف فى وجه مسيلمة، ولم يأمرهما بقتال؛ لكنهما تعجلا مخالفين أوامر الخليفة، واشتبكا مع مسيلمة فى حرب لم يصمدا فيها، وعادا منهزمين، ولعلهما أرادا أن يتشبها بخالد بن الوليد حتى يحوزا أكاليل النصر، كما حازها هوومـا إن وصلت أنباء هزيمتهما إلى أبى بكر حتى غضب غضبًا شديدًا، وطلب منهما ألا يعودا إلى المدينة، وقرر فى الوقت نفسه أن يرسل خالد بن الوليد إلى اليمامة للقضاء على فتنة مسيلمة، فهو أصلح الناس لهذه المهمة. وكان خالد قد فرغ من القضاء على فتنة المرتدين من بنى أسد وغطفان وتميم، فجاءته أوامر من أبى بكر بالتوجه إلى اليمامة للقضاء على فتنة مسيلمة الكذاب امتثل خالد بن الوليد لأوامر الخليفة، وسار فى صحراء وعرة نحو ألف كيلو متر، حتى التقى بجيوش مسيلمة – وكانت نحو أربعين ألفًا – فى مكان يسمى عقرباء فى حين كانت قوات خالد تبلغ نحو ثلاثة عشر ألفًا، فيهم عدد كبير من المهاجرين والأنصار، ودارت الحرب بين الفريقين، وكانت حربًا شرسة، اشتدت وطأتها على المسلمين فى البداية، وكادوا ينهزمون، لولا أن زأر خالد كالأسد الهصور، ونادى بأعلى صوته وامحمداه، وكان شعار المسلمين فى المعركة، فاشتعلت جذوة الإيمان فى القلوب، وهانت الحياة على النفوس، وأقبل المسلمون على القتال دون خوف أو وجل، طمعًا فى النصر أو الشهادة، وصبروا لأعداء الله حتى هزموهم هزيمة منكرة، وقتلوا مسيلمة الكذاب مع نحو عشرين ألفًا من رجاله، واستسلم من بقى من قواته أسرى للمسلمين، واستشهد من المسلمين أكثر من ألف ومائتى رجل، منهم عدد كبير من القراء وحفظة القرآن الكريم

وحين ترامت إلى المرتدين أخبار انتصارات خالد وما فعله فى بنى حنيفة، وقر فى أذهانهم أن المسلمين لا ينهزمون؛ ولذا كانت مهمة بقية القادة فى المناطق التى توجهوا إليها أقل صعوبة مما واجهه خالد بن الوليد فى اليمامة

وقبل أن يمضى عام على بدء حركة الردة كان أبو بكر الصديق قد نجح فى القضاء عليها فى كل مكان، وعادت شبه الجزيرة العربية موحدة دينيًا وسياسيًا تحت لواء المسلمين وحكومتهم فى المدينة على ما كانت عليه فى آخر حياة الرسول.

الفتوحات الإسلامية فى عهده

أسبابها

من يتتبع حركة الفتوحات الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية يجد أنها جاءت استطرادًا، وجاءت تحت ضغط الظروف، وأن المسلمين اضطروا إليها اضطرارًا؛ إذ لم يكن لهم برنامج أو خطة معدة من قبل للفتح أو التصادم مع الآخرين؛ لأن نشر الإسلام، وهو الغاية الأولى للمسلمين، لا يتطلب أعمالا حربية أو الدخول فى معارك

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عسكرية، وكل ما كان يطلبه المسلمون هو أن يفسح لهم الآخرون الطريق ليدعوا إلى دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن الفرس والروم لم يعطوا المسلمين هذه الفرصة، فكادوا لهم واعتدوا عليهم، مما اضطر المسلمين إلى خوض الحروب معهم، ورد عدوانهم، وتحقيق الحرية لنشر العقيدة الإسلامية دون عوائق، وليس لنشر العقيدة، والفرق كبير بين المعنيين.

فتح العراق

فى أثناء حروب الردة طارد المثنى بن حارثة – أحد قادة المسلمين – المرتدين إلى الشمال، على الساحل الغربى للخليج العربى، فلما وصل إلى حدود العراق تكاثرت عليه قوات الفرس، بعد أن رأوا فشل عملائهم من المرتدين فى القضاء على الإسلام فألقوا بثقلهم فى المعارك ضد المسلمين ولما رأى المثنى أنه غير قادر بمن معه على مواجهة القوات الفارسية، أرسل إلى الخليفة يشرح له الموقف، ويطلب منه المدد، فأدرك الخليفة خطورة الموقف، ورأى أن يردع الفرس ويرد عدوانهم، فرماهم بخالد بن الوليد أعظم قواده، وأردفه بعياض بن غنم و فى المحرم من العام الثانى عشر من الهجرة تحرك خالد بن الوليد من اليمامة، وكان لايزال بها، بعد أن قضى على فتنة مسيلمة الكذاب، وتوجه إلى العراق. حيث خاض سلسلة من المعارك ضد الفرس فى خلال عدة شهور، فى ذات السلاسل والمذار، و الوجة، وأليس، وهذه أسماء الأماكن التى دارت فيها الحروب، وكان النصر حليفه فيها، ثم توَّج انتصاراته بفتح الحيرة عاصمة العراق فى ذلك الوقت،واستقر بها فى شهر ربيع الأول من العام نفسه، ثم فتح الأنبار وعين التمر إلى الشمال من الحيرة، ثم جاءته أوامر من أبى بكر أن يعود إلى الحيرة ويستقر بها إلى أن تأتيه أوامر أخرى وخلاصة القول أنه فى خلال بضعة أشهر نجح خالد فى فتح أكثر من نصف العراق،وصالح أهله على دفع الجزية، و لم يجبر أحدًا على الدخول فى الإسلام.

فتح الشام

كان خالد بن سعيد بن العاص، أحد قادة حروب الردة، معسكرًا بقواته فى تيماء شمالى الحجاز بأمر من الخليفة الذى ألزمه بألا يقاتل أحدًا إلا إذا قوتل، وقصد الخليفة بذلك أن يكون هذا الجيش احتياطيًا، يمد –عند الضرورة – القوات المحاربة فى جهات أخرى، و أن يراقب تحركات الروم؛ لأنه كان على يقين أنهم سوف يستغلون فرصة انشغاله بحروب الردة، ويكرروا عدوانهم و حدث ما توقعه أبو بكر الصديق، فقد هجم الروم على جيش خالد، ومعهم القبائل العربية القاطنة فى الشام، وألحقوا به هزيمة قاسية، وقتلوا معظم جنوده، واستشهد ابنه فى المعركة، فلما وصلت أخبار الهزيمة إلى الخليفة أبى بكر جمع كبار الصحابة لدراسة الموقف، فاستقر رأيهم على ضرورة صد العدوان، وشرع أبو بكر فى حشد أربعة جيوش لتحقيق ذلك

-جيش بقيادة أبى عبيدة بن الجراح وجهه إلى حمص شمالى الشام

-وجيش بقيادة يزيد بن أبى سفيان، ووجهه إلى دمشق فى وسط الشام

-وجيش بقيادة شرحبيل بن حسنة، ووجهه إلى الأردن

-وجيش بقيادة عمرو بن العاص، ووجهه إلى فلسطين

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ـال أبو بكر لقـادة جيوشه: إذا عمـلتم منفردين، فكل واحد منكم أمـير عـلى من معه من قوات وكـان مع كـ واحد منهم نحو ثمـانيـة آلاف جـندى – ثم أمير عـلى المنطقـة التـى يفتحهـا، أمـا إذا ألجـأتكم الظروف إلى الاجتمـاع فـى مكـان واحد، فالقائد العام أبو عبيدة بن الجراح.

موقعة اليرموك

تحرك القـادة الأربعـة بجيوشهم، فـلمـا دخـلوا جنوبـى الشـام، وجدوا جـيشًا رومـيـا، قوامه نحو ٢٥٠ ألف جندى، بقيـادة تذراق أخـى هرقـل، يسـاندهم نحو ستين ألفًا من العرب – تقريبًا بقيادة جبلة بـن الأيـهم الغسـانـى، فـلم يسـتطيـعوا الالتحـام مع هذه الجموع الحـاشـدة، فـدارت بـينـهم مـراسـلات تـجمـعوا بـعدهـا فـى وادى اليرموك، تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح لكن تجمعهم لم يـؤدِ إلى تحريك للموقف ضد الروم، فـأخبروا الخـليفـة أبـا بكر بمـا هم فيه، وطـلبوا المدد منه، فرأى أنه لن ينقذ الموقف فـى الشـام سوى خـالد بن الوليد، وقـال عبارته المشهورة: والله لأُنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، ثم كتب رسالة إليه: أمـا بعد فإذا جاءك كتابى هذا، فدع العراق، وأخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه وامضِ متخففًا فى أهل القوة من أصحابك الذين قـدمـوا العراق معك من اليمـامـة، وصحبوك من الطريق، وقدموا عـليك من الحجـاز، حتـى تأتى الشام، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك.

امـتثـل خـالد لأوامر الخـليفـة، وسـار من العراق فـى سبعـة آلاف جندى فـى واحدة من أجرأ المسيرات العسكرية فى التاريخ وأكثرها خطرًا، حيث قطعوا أكثر من ألف كيـلو متر فى ثمانية عشر يومًا، فى صـحراء قـاحـلة مهـلكـة، حتـى وصـلوا إلى وادى اليرموك فتسـلم خـالد بن الوليد القيـادة من أبـى عبيدة وخـاض معركـة مع الروم تُعـد مـن أعظم المعـارك وأبعدهـا أثرًا فـى حركـة الفتح الإسـلامـى، و سحق جيش الروم الذى كـان يعد يومئذٍ أقوى جيوش العـالم، إذ قتـل منه نحو مـائة وعشرين ألفًا، وقد أدرك هرقل إمبراطور الروم حجم الكـارثـة التـى حـلت بجيشه، فغـادر المنطقة نهائيًا، وقلبه يقطر دمًا، ويتحسر عـلى جهوده التى بذلها فى استرداد الشام من الفرس، ثم ها هـى ذى يفتحهـا المسـلمون، و قال :السلام عليك يا سوريا، سلامًا لا لقـاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومى بعد الآن إلا خائفًا

وقـد اسـتشـهد مـن المـسـلمـين نحو ثـلاثـة آلاف، وقد فتح هذا النصر العظيم الطريق لفتح بقية الشام، الذى تم فى عهد عمر بن الخطاب

الجمع الأول للقرآن فى عهد أبى بكر الصديق

فـزع عـمر بـن الخطـاب لاستشهـاد عدد كبير من حفظـة القرآن فـى حروب الردة، وبخـاصـة معركـة اليمـامـة، فـأشار على أبى بكر بـضرورة جمع القرآن فـى مصحف واحد؛ خشيـة أن يُستشهد عدد آخر مـن الحـفـاظ، فـيضـيع القرآن، أو يدخـله تحريف إذا تبـاعد الزمن بين نزوله وجمعه، كما حدث للكتب السابقة

تـردد أبـو بـكر فـى بـادئ الأمر من اقتراح عمر، وقـال: كيف أفـعـل شيئًا لم يفعـله رسول الله صـلى الله عـليه وسـلم، فقـال له عمر: أرى والله أنه خير، فـلم يزل عمر بـأبى بكر حتى قبل، ثم استدعـى أبو بكر زيد بن ثـابت الأنصارى، وكلفه بمهمة جمع القرآن، قـائـلا له: إنك رجـل شـاب عـاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحـى رسول الله صـلى الله عـليه وسـلم، فتتبع القرآن فـاجمعه، فـقبـل زيد هذه المهمـة الثقيـلة، وبدأ فـى تتبع القرآن، وجمعه من

الرقاع والعظام، والعسب سعف النخل التى كان مكتوبًا عليها و من صدور الرجال، وجعل ذلك فى مصحف واحد. وقد ظل هذا المصحف عند أبي بكر، ثم انتقل بعد وفاته إلى عمر بن الخطاب، ثم انتقل بعد وفاته إلى ابنته أم المؤمنين حفصة، و فى عهد عثمان دعت الضرورة إلى جمع الناس على قراءة واحدة، فأخذه عثمان منها، ونسخ منه عدة نسخ و وزعها على الأمصاروهكذا توَّج أبو بكر الصديق أعماله الجليلة بجمع القرآن.

وفاة أبى بكر الصديق

قضى أبو بكر فى الخلافة سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام قام فيها بجلائل الأعمال، ونهض بمسئولية قيادة الدولة على خير وجه، و عاش حياته للإسلام وللمسلمين، ووهب حياته لخدمة رعيته، والدفاع عن عقيدتها، دون أن يأخذ أجرًا على تحمله تبعات هذا المنصب الجليل، منصب الخليفة، وعاش مثل بقية رعيته دون أن يمتاز عنهم فى مسكن أو ملبس، بل إنه رد ما خصصه له كبار الصحابة من راتب ضئيل، كى يترك التجارة ويتفرغ لمنصبه

وفى أواخر شهر جمادى الآخرة من العام الثالث عشر للهجرة، فاضت روح أبى بكر إلى بارئها بعد مرض استمر أسبوعين، كان سببه الحمى، وتولى بعده الفاروق عمر بن الخطاب .

خلافة عمر بن الخطاب ١٣ - ٢٣ هـ

نسبه وصفته وإسلامه

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبدالعُزى بن رباح وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة ، أسلم فى العام الخامس من البعثة، وعمره سبع وعشرون سنة، بعد أربعين رجلا، وإحدى عشرة امرأة، أسلموا قبله، وكان قبل إسلامه معاديًا للإسلام شديدًا فى عداوته، لكن الله شرح صدره للإسلام استجابة لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم له: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب وعُرف عمر بن الخطاب بشخصية قوية، و إرادة لا تلين، وحزم وعزم فى الأمور، وهيبة فى القلوب، وكان سفير قريش فى الجاهلية، وهى مهمة تحتاج إلى علم وعقل، وكياسة وحسن تصرف

عمل عمر فى بداية نشأته بالرعى، ثم عمل فى التجارة إلى الشام وإلى اليمن، وكان يحرص على مقابلة ذوى الشأن فى تلك البلاد؛ ليزداد علمًا وخبرة بالحياة، وكان واحدًا من سبعة عشر رجلا من قريش يعرفون القراءة والكتابة فى مكة واشتهر عمر بن الخطاب أنه كان قوى البنية، طويل القامة، إذا مشى بين الناس أشرف عليهم، كأنه راكب على دابته، أبيض اللون تعلوه حمرة، جهورى الصوت، قليل الضحك، لا يمازح أحدًا، مقبلا على شأنه

أما صفاته الأخلاقية فهي الإحساس الكامل بالمسئولية، والشدة والفراسة، والعدل والهيبة، وواضح أن هذه الصفات هى نتاج عوامل كثيرة متنوعة، مثل نشأة عمر الأولى وثقافته، والقيم التى غرسها الإسلام فى نفسه أما إحساس عمر الكامل بمسئوليته قِبَل الرَّعية، فذلك ما لاحاجة بنا إلى التدليل عليه، ويمكن إرجاعه إلى

النزعة الدينية التى ملكت عليه شغاف نفسه، و التي شهد له بها الجميع، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالعقيدة وحدها هى التى تبلغ بالمرء هذا المستوى القدسى، و هي التى تجعل الإنسان رقيبًا على نفسه فى جميع حركاته و سكناته، و لن تغنى عنها أية رقابة أخرى.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

احتل عمر بن الخطاب منذ أن أسلم المكانة التالية لمكانة أبي بكر الصديق عند النبي صلى الله عليه وسلم، لصفاته العالية التي سبق أن ذكرنا بعضها، ولدعوة النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب، وكانت دعوة ناشئة عن معرفة دقيقة بخصائص الرجل الذي سيكون ثالث ثلاثة في الإسلام قدرًا ومنزلة وعلى أية حال فإن أخلاق عمر وصفاته مهما تكن لم تكن لتبلغ به ما بلغ من المكانة العالية والقدر الرفيع إلا بإسلامه وبصلته برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تعهده بالتربية والرعاية، وأفسح لمواهبه أن تنطلق إلى أفاق عالية، لتؤدي دورها الخلاق لا في تاريخ الإسلام فحسب، بل في تاريخ البشرية، وليكون صاحبها واحدًا من عظماء الدنيا، وقد وضعه الكاتب الأمريكي مايكل هارت بين الخالدين المائة في التاريخ الإنساني كله ومنذ أن أسلم عمر بن الخطاب، وهو من أكثر الصحابة ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى إن الصحابة أطلقوا عليه وعلى أبي بكر الصديق: وزيرَي محمد واشتهر عمر دون غيره من الصحابة بمواقف كثيرة، كان يناقش النبي صلى الله عليه وسلم فيها ويعترض عليه في صراحة، مثل: موقفه من أسرى بدر، وصلح الحديبية والصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يضيق بذلك، بل يسمع برحابة صدر وسعة أفق، ويشجع عمر وغيره على إبداء آرائهم دون خوف أو وجل، يعلمهم بذلك حرية.

الرأي، والمشاركة في صنع القراروكثير من تلك الآراء التي عارض فيها النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن مؤيدًا لها لفرط إخلاصه لدينه، وشفافية روحه، وقد عدَّ العلماء نحو عشرين موقفًا من هذا القبيل منها: تحريم الخمر، وضرب الحجاب على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم .وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عمر، منها قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

توليه الخلافة:

أراد الصديق أبو بكر أن يختار المسلمون خليفتهم بأنفسهم دون قيد، وبإرادتهم الحرة بلا تدخل، فقال لهم وهو على فراش المرض: إني قد نزل بي ما ترون، ولا أظنني إلا ميتًا لما بي من المرض، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحلَّ عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمّرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي لكنهم طلبوا منه أن يرشح لهم من يراه أهلا لتولي الخلافة بعده، وأقدر على تحمل تبعاتها الجسام، فقبل ذلك، وطلب منهم مهلة حتى ينظر لله ولدينه ولعباده، وبعد تفكير عميق، واستشارة لكبار الصحابة مثل: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب و عبدالر حمن بن عوف استقر رأيه على عمر بن الخطاب ولم يكن ترشيح كبار الصحابة عمر بن الخطاب للخلافة وتزكيتهم له، بعد أبي بكر غريبًا أو مفاجأة، فهم يعرفون قدره ومنزلته، وقد سبق أن ذكرنا تقديم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر ليؤم الناس في الصلاة، ورفضه أن يقوم بهذا عمر بن الخطاب، فلما تأخر أبو بكر يومًا عن الصلاة، قدَّم بلال عمر بن الخطاب اجتهادًا منه ليؤم الناس، فلما سمع الرسول عمر يقيم الصلاة رفض ذلك، وقال أين أبو بكر؛ يأبى الله ذلك والمسلمون وعلى الرغم من ذلك فإن هذا التصرف التلقائي من بلال يدل على أن الصحابة كانوا يعلمون أن أفضل الناس بعد أبي بكر الصديق هو عمر بن الخطاب ولم يعترض على ترشيح عمر للخلافة إلا عدد قليل من كبار الصحابة، وعللوا ذلك بغلظته وشدته، لكن أبا بكر طمأنهم وبين لهم أن ما يجدونه من شدته، إنما هو لله وفي الله، وإنه يشتد لأنه يراني أحيانًا لينًا، حتى يحدث نوعًا من التعادل، وأنه لو أفضى الأمر – أي الخلافة - إليه لترك كثيرًا مما هو فيه ولا يقلل هذا الاعتراض من سداد

رأى أبي بكر فى عمر، ولا من شأن عمر نفسه، بل يدل ذلك على حرية الرأى تجاه الشخصية التى ستلى أمر الخلافة، فلن يضير عمر أن نفرًا من ذوى الرأى لم يؤيدوا ترشيحه، بل يكفيه أن أغلب الصحابة أجمعوا على تزكيته، ورضوا به لهذا المنصب الجليل، وهذا ما تسير عليه الآن الأمم الحرة فى اختيار حكامها، فالإجماع ليس شرطًا ضروريًا فى اختيار الحاكم اطمأنت نفس أبى بكر الصديق بعد أن استشار كبار الصحابة إلى اختيار عمر بن الخطاب خليفة من بعده، فأشرف على الناس وهو مريض، وقال: أترضون بمن أستخلف عليكم ؟، فإنى والله ما آلوت من جهد الرأى، ولا وليت ذا قربة، وإنى قد وليت عليكم عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا فقالوا:سمعنا وأطعنا بايع المسلمون عمر بن الخطاب، وبذا أصبحت خلافته شرعية وبعد الفراغ من دفن أبي بكر الصديق صعد عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقف على درجة أدنى من الدرجة التى كان يقف عليها أبو بكر الصديق، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم، وذكر أبا بكر –رضىالله عنه – بكل خير، وقال: أيها الناس ما أنا إلا رجل منكم، ولولا أنى كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم، فأثنى المسلمون عليه خيرًا، وزاد ثناؤهم حين رأوه يرفع بصره إلى السماء ويقول :اللهم إنى غليظ فليِّنِّى، اللهم إنى ضعيف فقونى، اللهم إنى بخيل فسخِّنى

وفى اليوم التالى لتوليه الخلافة خطب خطبة أخرى، أراد أن يوضح فيها طريقته فى الحكم، ويزيل ما قد علق فى نفوسهم من خوفٍ من شدته التى صرحوا بها لأبى بكر حين رشحه للخلافة، فقال: بلغنى أن الناس هابوا شدتى وخافوا غلظتى، وقالوا: كان عمر يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق إننى كنت مع رسول الله فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله تعالى بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا، فكنت بين يديه سيفًا مسلولا، حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى، فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله، وهو عنى راضٍ، والحمد لله كثيرًا، وأنا به أسعد، ثم ولى أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا تنكرون دعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتى بلينه، فأكون سيفًا مسلولا، حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عزَّ وجل، وهو عنى راضٍ، فالحمد لله على ذلك كثيرًا، وأنا به أسعد، ثم إنى وليت أموركم أيها الناس، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت – أى زادت - فارتعد بعضهم من الخوف لكنه طمأنهم فقال: ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين، فأما أهل السلامة والقصد – أى الاعتدال – فأنا ألين لهم من بعضهم على بعض، ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا أو يتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمى على الخد الآخر، حتى يذعن بالحق، وإنى بعد شدتى تلك أضع خدى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم، فخذونى بها، لكم على ألا أجبى شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم على إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه، ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله– تعالى – وأسد ثغوركم، ولكم على ألا ألقيكم فى المهالك، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال – أى يرعاهم - فاتقوا الله عباد الله وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

الفتوحات فى عهد عمر بن الخطاب:

مواصلة فتح العراق:

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بعد أن رحل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام؛ ليتولى قيادة الجيوش فى اليرموك؛ تنمَّر الفرس بالمثنى بن حارثة خليفة خالد على قيادة الجيش فى العراق وبدءوا فى الضغط عليه، فطلب مددًامن أبى بكر، الذى كان مشغولا بحرب الروم فلما تأخر رد الصديق أبى بكر على المثنى جاء بنفسه ليعرف سبب ذلك، فوجد الخليفة على فراش المرض، فلم يستطع أن يكلمه، ولما علم بذلك الخليفة أدرك أن المثنى لم يأت إلا لضرورة، فكان أخر كلامه لعمر بن الخطاب أن أوصاه بتجهيز جيش، يرسله مع المثنى إلى العراق، لصد عدوان الفرس، فعمل عمر بوصية أبى بكر، وأرسل جيشًا على الفور إلى العراق بقيادة أبى عبيد بن مسعود الثقفى.

موقعة الجسر:

وفى شهر شعبان من سنة ١٣هـ خاض أبو عبيد بن مسعود معركة ضد الفرس سميت بموقعة الجسر، لأن المسلمين أقاموا جسرًا على نهر الفرات لعبور قواتهم البالغة تسعة آلاف جندى، وكان عبورهم النهر خطأ عسكريًا جسيمًا وقع فيه أبو عبيد، ولم يستمع إلى نصيحة قادة جيشه ومنهم المثنى بن حارثة، الذين نبهوه إلى خطورة ذلك، وأن موقف المسلمين غربى النهر أفضل وضع لهم، وليتركوا قوات الفرس تعبر إليهم، فإذا انتصروا كان عبور النهر إلى الشرق أمرًا سهلا، وإذا انهزموا كانت الصحراء وراءهم يتراجعون فيها، ليعيدوا ترتيب أوضاعهم، لكن أبا عبيد لم يستجب لهم، فحلت الهزيمة بالمسلمين على يد القائد الفارسى بهمن جاذويه، وقُتل أبو عبيد نفسه، واستشهد أربعة آلاف مسلم.

موقعة البويب:

بذل المثنى بن حارثة جهدًا كبيرًا فى تأمين عبور من بقى من قوات المسلمين إلى الناحية الأخرى، وأدرك أنه لابد من خوض معركة أخرى مع الفرس، حتى لا تؤثر الهزيمة فى معنويات المسلمين، وبخاصة أنها كانت أول مرة يهزمون فيها فى هذه الجبهة منذ أن بدأت الفتوحات استدرج المثنى بن حارثة قوات الفرس للعبور إلى غرب النهر، فعبروا إليه مدفوعين بنشوة النصر السابق، وظنوا أن تحقيق نصر آخر سيكون أمرًا سهلا، لكن المثنى فاجأهم بعد أن استثار حمية العرب القاطنين فى المنطقة، وأوقع بالفرس هزيمة كبيرة، على حافة نهر يُسمى البويب الذى سميت المعركة باسمه وعلى الرغم من هذا النصر الذى أعاد به المثنى الثقة إلى قواته، فإنه أدرك بعد طول تجربة أنه لن يستطيع بمن معه من قوات أن يواجه الفرس الذين ألقوا بثقلهم كله فى الميدان، فتراجع إلى الخلف، ليكون بمأمن من هجمات الفرس، وأرسل إلى عمر يخبره بحقيقة الموقف.

معركة القادسية:

لما وصلت إلى عمر بن الخطاب تقارير المثنى عن الوضع فى جبهة العراق عزم على الخروج بنفسه على رأس جيش كبير، لينسى الفرس وساوس الشيطان كما أنسى خالد بن الوليد الروم تلك الوساوس، لكن الصحابة لم يوافقوه على رأيه، ورأوا أن الأفضل أن يبقى هو فى المدينة يدير أمور الدولة، ويشرف على تجهيز الجيوش، ويختار واحدًا لقيادة الحرب ضد الفرس، فقبل نصيحتهم، وقال لهم: أشيروا على، فأشاروا عليه بسعد بن أبى وقاص، وقالوا عنه: هو الأسد فى عرينه، فاستدعى سعدًا وأمَّره على الجيش، فاتجه به سعد إلى العراق حيث عسكر فى القادسية

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وقبل نشوب المعركة أرسل سعد وفدًا إلى بلاط فارس، ليعرض الإسلام على يزدجرد الثالث أخر ملوكهم. فإذا قبله فسيتركونه ملكًا على بلاده، كما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم باذان ملكًا على اليمن، وإذا رفض الدخول فى الإسلام، فلن يكرهه عليه أحد، ولكن لابد من دفع الجزية دليلا على عدم المقاومة، فإذا امتنع عن دفعها، حاربوه، لأن رفضه دفع الجزية يعنى عزمه على حرب المسلمين، ومنعهم بالقوة من تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس سمع يزدجرد هذا الكلام، فأخذه العجب، وعلته الدهشة؛ لأنه لم يتعود سماع مثل هذا الكلام من هؤلاء الناس، فخاطب رئيس الوفد قائلا :إنى لا أعلم أمة كانت أشقى، ولا أقل عددًا، ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى –الحدود– فيكفوننا كم، لا تغزون فارس، ولا تطمعون أن تقوموا لهم وإن كان الجهد – الجوع – دعاكم فرضنا لكم قوتًا إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكًا يرفُق بكم فقام زعيم الوفد ورد على الملك الذى كان لا يزال يتحدث بروح السيادة، ومنطق الاستعلاء، قائلا: إن ماقلته عنا صحيح قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم، الذى قذف الله فى قلوبنا التصديق له واتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله وقال: من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه رفض الملك هذا العرض فى كبرياء وصلف، ثقة منه بقدرة جيوشه بقيادة رستم على سحق هؤلاء العرب، وعاد الوفد إلى سعد بن أبى وقاص وقصوا عليه ما حدث، فاستعد هو للمعركة الحاسمة وفى القادسية دارت رحى الحرب بين الفريقين، واستمرت ثلاثة أيام ونصف اليوم الرابع، وأسفرت عن نصر حاسم للمسلمين، وهزيمة منكرة للفرس، وقتل قائدهم رستم، وتشتيت من نجا منهم من القتل وتُعد معركة القادسية من المعارك الفاصلة فى التاريخ؛ لأنها حسمت أمر العراق العربى نهائيا، وأخرجته من السيطرة الفارسية التى دامت قرونًا، وأعادته إلى أهله العرب المسلمين.

فتح المدائن:

انفتح الطريق أمام المسلمين بعد انتصارهم فى القادسية إلى المدائن عاصمة الفرس، فعبر سعد نهر دجلة من أضيق مكان فيه بنصيحة سلمان الفارسى، ودخل المدائن؛ ليجد الملك الفارسى قد فرَّ منها، وكان قبل أيام قليلة يهدد المسلمين ويتوعدهم من قصره الأبيض، مقر ملك الأكاسرة، الذى كان آية من آيات الفخامة والبهاء وفى ذلك القصر صلى سعد ابن أبى وقاص صلاة الشكر لله على هذا الفتح العظيم وتلا فى خشوع قول الله تعالى]: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قومًا آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين [الدخان: ٢٥ –٢٩ أرسل سعد إلى عمر بن الخطاب رسولا يبشره بالنصر وبما حازوه من غنائم، ويطلب منه السماح لهم بمواصلة الفتح فى بلاد فارس، لكن عمر رفض ذلك، وقال له: وددت لو أن بيننا وبينهم سدًا من نار، لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم، حسبنا من الأرض السواد – أى أرض العراق– إن آثرت سلامة المسلمين على الأنفال.

معركة نهاوند:

اعتقد عمر بن الخطاب أن الفرس سيجنحون إلى السلام بعد هزيمتهم فى القادسية، واسترداد المسلمين العراق وهى أرض عربية، لكن الحوادث كثيرًا ماتكون أقوى من الرجال، وتدفعهم دفعًا إلى تعديل سياساتهم، فقد وردت الأنباء إلى عمر أن الفرس التفوا حول ملكهم الذى هرب من المدائن، واحتشدوا فى جموع هائلة فى نهاوندتصل إلى نحو مائتى ألف جندى بقيادة الفيرزان وكانت سياسة عمر بن الخطاب أن يقف بالفتوحات الإسلامية عند حدود العراق والشام،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يتعداها، حيث قبائل العرب التى نزحت من شبه الجزيرة العربية وأقامت هناك، أما ما وراء ذلك من أرض الفر والروم فلم يكن للمسلمين مطمع فى غزوه وفتحه، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، فقد حملت حوادث الفتوحات وتطوراتها عمر بن الخطاب على تعديل سياسته تجاه الفرس والروم ولما وصلت أخبار استعداد الفرس جمع عمر كبار الصحابة واستشارهم فى كيفية مواجهة هذا الموقف، فأشاروا عليه بتجهيز جيش لردع الفرس قبل أن ينقضوا على المسلمين فى بلادهم، فعمل بمشورتهم، وجهز جيشًا قوامه نحو أربعين ألف مجاهد تحت قيادة النعمان بن مقرن ودارت معركة نهاوند، وانتهت بنصر عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة للفرس، وقد سمى المؤرخون المسلمون هذ النصر فتح الفتوح، لأن الفرس قد تفرقت كلمتهم، وانفرط عقد دولتهم بهذا النصر.

الانسياح فى بلاد فارس:

كانت معركة نهاوند من المعارك الفاصلة فى التاريخ، فقد أزالت نهائيًا الإمبراطورية الفارسية بعد معركتى القادسية ونهاوند، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وبعد نهاوند عقد عمر بن الخطاب العزم على القضاء تمامًا على التهديد الفارسى للدولة الإسلامية ودعوتها، فأعد تسعة جيوش فى وقت واحد، لفتح جميع المقاطعات الفارسية، من خراسان فى أقصى الشمال الشرقى إلى إقليم فارس فى الجنوب الغربى، ومن أذربيجان فى الشمال الغربى إلى مكران فى الجنوب الشرقى، وفى خلال سنة ٢٢هـ كانت تلك المقاطعات كلها تحت السيادة الإسلامية، ولم يجبر المسلمون أحدًا من سكانها على الدخول فى الإسلام، وإنما قبلوا منهم الجزية، وأعطوهم معاهدات، ضمنوا لهم بمقتضاها حرية العبادة، وحفظوا لهم أنفسهم وأموالهم وبدأ تاريخ جديد لبلاد فارس، ذاقت فيه طعم الحرية والعدل؛ وعرفت معنى المساواة، وتحررت من استبداد الأكاسرة وظلمهم.

استكمال فتح الشام:

بعد تولى عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد من قيادة جيوش الشام، وأعاد أبا عبيدة بن الجراح إليها، وجعل خالداً تحت قيادته، وقد قبل القائد البطل هذا التعديل دون تذمر، لأنه كان جنديًا يعمل للإسلام لا لمجده الشخصى، وإذا كان قد احتل المكان الأعلى بين قادة الفتوحات ببطولاته وانتصاراته، فإنه اعتلى ذروة أعلى بقبوله العزل، وضرب أروع الأمثلة فى الانضباط والطاعة، وتلك أهم صفات القادة العظام وكانت تعليمات عمر لأبى عبيدة بعد اليرموك، أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه من قبل فى مطلع فتح الشام، حين رتب ذلك أبو بكر الصديق، فيسير أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد إلىحمص، ويزيد بن أبى سفيان إلى دمشق، وشرحبيل بن حسنة إلى الأردن، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، وكل قائد يكون أميرًا على منطقته التى يفتحها، على أن يكون ذلك بعد أن يشتركوا جميعًا فى فتح دمشق وبعد أن نجح القادة جميعهم فى فتح دمشق وأعطوا أهلها معاهدة صلح بقى يزيد بن أبى سفيان أميرًا عليها، فى حين اتجه القادة الباقون إلى مناطقهم، وفى خلال عامين فقط تم فتح الشام كله وفى سنة ١٥ هـ جاء عمر ابن الخطاب إلى فلسطين؛ ليتسلم مفاتيح بيت المقدس من البطريرك صفرونيوس، وأعطى معاهدة لأهلها هى آية فى التسامح والعدل، أمنهم على عقائدهم وأموالهم وأنفسهم، وأخذت منهم نظير ذلك الجزية لرفضهم الدخول فى الإسلام وقد رفض عمر بن الخطاب أن يصلى فى كنيسة القيامة، معللا ذلك بخوفه أن يأتى من المسلمين من يقول: لقد صلى عمر فى الكنيسة فهى من حقنا، وهذا ظلم للمعاهدين لا يقره عمر.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فتح مصر:

بعد فتح بيت المقدس اتجه عمر إلى الشمال، وعقد في الجابية جنوبي دمشق مؤتمرًا حضره جميع القادة المسلمين، ناقش فيه ما تم إنجازه والترتيبات اللازمة لإدارة البلاد المفتوحة إدارة حسنة، والعمل على إشاعة العدل والحرية بين الناس بعد الظلم والاستبداد والاستعباد الذى ذاقوه من الروم

وفي هذا المؤتمر عرض عمرو بن العاص والى فلسطين على عمر بن الخطاب ضرورة فتح مصر، لأن فلول قوات الروم في الشام لجأت إلى مصر التي كانت في ذلك الوقت تحت حكم الروم، كما لجأ الأطربون قائد قواتهم فى فلسطين إلى مصر؛ ليستعد من جديد للانقضاض على المسلمين فى الشام، ولذا فإن بقاء مصر في أيدى الروم سيكون خطرًا على فتوحات المسلمين في الشام، بل قد يصل الخطر إلى شبه الجزيرة العربية نفسها

ولما اقتنع عمر بن الخطاب بما أبداه عمرو بن العاص أذن له بالسير إلى مصر لفتحها، فخرج في أربعة آلاف جندى، ودخل العريش دون قتال، ثم توجه إلى الفرما مدينة قديمة شرقي بور سعيد ففتحها بعد معارك يسيرة مع حاميتها الرومية، ثم توجه إلى بلبيس في محافظة الشرقية الحالية، فهزم جيشًا روميا كان يقوده الأطربون، ثم هزم الروم مرة أخرى في عين شمس

ولما تجمعت قوات الروم كلها فى حصن بابليون بالقرب من مصر القديمة الحالية؛ طلب عمرو مددًا من الخليفة عمر، فأمده بثمانية آلاف جندى، مكنته من فتح الحصن والاستيلاء عليه، ثم اتجه إلى الإسكندرية ففتحها، وأرسل فرقة من قواته لفتح الفيوم

وفي نحو عامين ١٩ – ٢١هـ فتُحت مصر بأكملها، وكان فتحًا سهلا ويسيرًا، لأن القبط لم يشتركوا في معارك ضد المسلمين، بل ساعدوهم وقدموا لهم يد العون، فدلوهم على أيسر الطرق، وأمدوهم بالطعام، تخلُصًا من حكم الروم الذين اضطهدوهم دينيا، مع أنهم مسيحيون مثلهم، وأرهقوهم بالضرائب، واستغلوهم أبشع استغلال ولما تعامل أهل مصر مع الفاتحين المسلمين أدركوا أن ما سمعوه كان حقيقة، فقد منحوهم الحرية الدينية الكاملة، وأعادوا بطريركهم بنيامين إلى كنيسته بالإسكندرية، وكان الروم قد نفوه إلى وادى النطرون، و قد حفظ الرجل هذا العمل الجليل لعمرو بن العاص، فعاونه كثيرًا فى إدارة مصر إدارة حسنة وقد أتاح الفتح الإسلامي لمصر جوا من الحرية والتسامح لم تشهده البلاد منذ زمن بعيد، بنص المعاهدة التى أعطاها عمرو بن العاص لأهل مصر :بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ولا يساكنهم النوب – أهل النوبة – وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب، فله مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه، على ما في هذا الكتاب عهد الله، وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمة المؤمنين وقد عمل المسلمون بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصاهم فيها بأهل مصر خيرًا عندما يفتحوها؛ لأن لهم ذمة ورحمًا، كما نصحهم أن يتخذوا منها جندًا كثيفًا، فأجنادها من خير أجناد الأرض، لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة.

عوامل نجاح الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر:

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

خلال السنوات العشر التى تولى عمر فيها الخلافة ١٣ – ٢٣هـ امتدت حدود الدولة الإسلامية من ولاية برقة – فى ليبيا حاليًا –غربًا إلى نهر جيحون شرقًا، ومن بحر قزوين فى الشمال إلى المحيط الهندى فى الجنوب وقد حار المؤرخون فى تفسير نجاح هذه الفتوحات، وتعليل أسبابها، فقد أذهلهم أن العرب الذين كانوا قبل دخولهم الإسلام قليلى الشأن، لا حول لهم ولا قوة، ولا يأبه بهم أحد ولا يحسب لهم حساب، هم فى سنوات قليلة ينجحون فى إزالة الإمبراطورية الفارسية كلها، وهى التى وقفت ندًا للإغريق والرومان نحو ألف سنة، وفى فتح الشام، ومصر وهما أعظم ولايات الدولة البيزنطية وأكثرها غنى فى الشرق بعد إنزال هزائم قاسية بجيوشها فى اليرموك وغيرها وسبب حيرة هؤلاء المؤرخين أنهم يربطون عادة بين الانتصارات والهزائم فى الحروب، وبين أعداد الجيوش المتحاربة وما معها من عدة وأسلحة، ولما كان المسلمون أقل عددًا وعتادًا على نحو لا يقارن بما كان عند الفرس والروم، راحوا يبحثون عن أسباب أخرى غير قضية العدد والأسلحة، وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ذهب بعضهم إلى القول بأن المسلمين واجهوا دولتى الفرس والروم، وهما فى حالة ضعف وانهيار بعد الحروب الطويلة التى دامت بينهما، وانتصروا عليهما بسهولة وفى وقت قصير غير أن هذا التفسير بعيد عن الواقع ومخالف للحقيقة، فالمعارك التى دارت فى القادسية ونهاوند و اليرموك لا تؤيد هذا التعليل؛ لأنها كانت معارك كبيرة، ولم تكن جيوش الفرس والروم فيها ضعيفة، وهى لم تهزم أمام المسلمين لضعف قوتها المادية من الرجال والأسلحة، ولكن لأن معنويات أفرادها كانت منحطة إلى أبعد الحدود، فى حين كانت معنويات المسلمين عالية، ويعرفون الهدف الذى يحاربون من أجله، وكان الموت أحب إليهم من الحياة وهذا هو السبب الرئيسى فى انتصاراتهم الذى نسيه الكتاب الغربيون أو تناسوه، فمنبع هذه القوة وسبب هذا الانقلاب العظيم الذى لا يوجد له مثيل فى التاريخ أن العرب أصبحوا بفضل رسالة الإسلام أصحاب دين ورسالة، فبعثوا بعثًا جديدًا، وخُلقوا من جديد، وعلموا أن الله قد ابتعثهم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وعرفوا أن الله قد ضمن لهم النصر ووعدهم الفتح، فوثقوا بنصر الله ووعد رسوله، واستهانوا بالقلة والكثرة، واستخفوا بالمخاوف والأخطار

وفى ذلك قال المؤرخون: لما أقبل خالد بن الوليد من العراق، ليتولى قيادة الجيوش فى الشام لحرب الروم، قال رجل من نصارى العرب أمامه: ما أكثر الروم وأقل المسلمين، فنهره خالد، وقال له: ويحك بل قل: ما أكثر المسلمين وأقل الروم إن الجيوش تكثر بالنصر وتقل بالهزيمة لا بعدد الرجال وهذه الحقيقة عرفها أعداؤهم حتى إن هرقل لما انتهى إليه خبر زحف المسلمين وانتصاراتهم، قال وكان عندئذٍ موجودًا فى حمص: ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد، وإنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعونى وصالحوهم على نصف خراج الشام، ويبقى لكم جبال الروم، وإن أنتم أبيتم ذلك أخذوا منكم الشام، وضيقوا عليكم جبال الروم.

نتائج الفتوحات الإسلامية وآثارها على العالم:

لقد ترتب على الفتوحات الإسلامية نتائج وآثار بعيدة المدى فى تاريخ العالم،وإذا ما قورنت بغيرها – مثل فتوحات الإسكندر قبلها، وفتوحات #المغول# بعدها – فإن تلك المقارنة تظهر عظمة المسلمين، وأن فتوحاتهم كانت أكثر الفتوحات فى العالم خيرًا وبركة، ففتوحات الإسكندر وامبراطوريته التى شادها فى الشرق انهارت وتمزقت أوصالها بعد وفاته مباشرة، وأصبحت ذكرى من ذكريات التاريخ، أما غزوات المغول التى لم يعرف لها تاريخ العالم مثيلا من قبل فى همجيتها ووحشيتها، فقد دمرت معظم العالم

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الإسلامي في الشرق بما كان فيه من حضارة مزدهرة، ولم يوقف زحفها المدمر سوى الجيش المصرى فى معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ

وهذه الغزوات المغولية البربرية كان يمكن أن ينساها التاريخ أو يذكرها باعتبارها عملا بربريا ألم بالإنسانية فى مسيرتها الطويلة، لولا أن الله – تعالى – أدرك برحمته الواسعة هذه الجموع الوحشية وهداها إلى دينه، فأسلم أغلب المغول، وأظلهم الإسلام بحضارته، وحولهم من قوة مدمرة إلى طاقة خيرة، ومن أعداء مهاجمين إلى أتباع مدافعين، بل مشاركين فى صنع الحضارة الإسلامية والخلاصة أن كل أرض وصلت إليها الفتوحات الإسلامية انتشر فيها الإسلام بحرية تامة، ودون إكراه، وانتشرت اللغة العربية والثقافةالإسلامية، ولم يتراجع الإسلام عن أية منطقة من العالم وصل إليها سوى الأندلس وكان تراجعه لأسباب تعود إلى المسلمين لا إلى الإسلام وعندما تراجع فى الأندلس، امتد فى مناطق أخرى فى جنوب شرق آسيا وفى أوربا وإفريقيا بدون حرب أو معارك، بل عن طريق الدعاة والتجار المسلمين، مما يدحض كلام من يقول إن الإسلام انتشر بحد السيف كما يردد أعداء الإسلام فى كتاباتهم.

عمر وإدارة الدولة:

تجلت عبقرية عمر بن الخطاب أعظم ما تجلت فى ميادين الإدارة، فقد ضبط نظم الدولة الإسلامية، وكانت مترامية الأطراف، وأحكم إدارتها بمقدرة فائقة تثير الدهشة والإعجاب، فى وقت كانت فيه وسائل الاتصال بطيئة تمامًا ويصعب على أى باحث أن يحيط بالجوانب الإدارية عند عمر بن الخطاب، ولذا سنتعرض لبعض منها

أولا: عمر واختيار الولاة

استعان عمر بن الخطاب برجال يديرون شئون الولايات البعيدة عنه، أما القريبة منه فكان يديرها بنفسه، وكان يقول: ما يحضرنى من أموركم لا ينظر فيه أحد غيرى، أما ما بعد عنى فسوف أجتهد فى توليته أهل الدين والصلاح والتقوى، ثم لا أكتفى بذلك، بل لابد من متابعتهم؛ لأعرف هل يقومون بالعدل بين الناس أم لا ؟

وكان لعمر بن الخطاب طريقة فى اختيار ولاته، فلم يكن يستعمل أحدًا من أهل بيته، وقلما استعمل كبار الصحابة على الأمصار، بل استبقاهم معه فى المدينة ليعينوه فى شئون الدولة، ويقدموا له

المشورة، ومن أهم شروط عمر فى الوالى:

-القوة والأمانة: والمقصود بالقوة قوة الدين، وقوة الإرادة والحزم فى الأمور، ومن أقواله المأثورة: إنى لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه، ولذا فقد عزل شرحبيل بن حسنة عن الأردن، وعمير بن سعد عن حمص، وضم ولايتهما إلى معاوية بن أبى سفيان، وكان المعزولان أسبق إسلامًا من معاوية وأفضل، فلما كلمه الناس فى ذلك قال إنه لم يعزلهما عن سخط أو خيانة، ولكنه كان يريد رجلا أقوى من الرجل

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الهيبة مع التواضع: أدرك عمر بن الخطاب حاجة ولى الأمر إلى الهيبة واحترام الناس، حتى يستطيع أن يقود ولكن لا ينبغى لها أن تتجاوز الحد لتصبح تسلطًا وتعاليًا، وكان يقول: أريد رجلا – أى واليًا – إذا كان فى القوم وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم

-الرحمة بالناس: كان عمر يختار للولاية من اشتهر بالرحمة ولين الجانب وحب الخير للناس، وحين كان يولى أحدًا يكتب له كتاب تولية، ويشهد عليه بعض الصحابة، ويشترط عليه ألا يظلم أحدًا فى جسده ولا فى ماله، ومن وصاياه لعماله: ألا وإنى لم أبعثكم أمراء ولاجبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى، يهتدى بكم فادرءوا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولاتغلقوا الأبواب دونهم،فيأكل قويهم ضعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلواعليهم

ثانيًا: قواعد العمل بالنسبة إلى العمال والولاة:

لم يكن عمر يقنع بحسن اختيار الولاة وفق شروطه، وإنما كان يحدد لهم أسلوب العمل، والقواعد التى يسيرون عليها، إما فى صورة خاصة محددة كما كان يحدث فى عهد الولاية، وإما فى توجيهات عامة كما فى المؤتمرات التى كان يعقدها للعمال والولاة، وبخاصة فى موسم الحج

ثالثًا: المتابعة:

فطن عمر بن الخطاب إلى فاعلية المتابعة، وأثرها فى حسن سير الإدارة، ولذا لم يكتفِ بالتدقيق فى اختيار الولاة، وإنما وضع عليهم العيون والأرصاد، يحصون عليهم حركاتهم وسكناتهم، ويسجلون أعمالهم وينقلونها إلى الخليفة فور وقوعها، لأنه أدرك أن الخطأ قد يقع بدون قصد، وأن الانحراف لا يبدأ كبيرًا، وأن كل شىء يمكن وقفه فى أوله قبل استفحاله، عملا بالحكمة الخالدة:الوقاية خير من العلاج

رابعًا: سياسة الباب المفتوح:

أدرك عمر بن الخطاب أن آفة الإدارة فى كل عصر هى احتجاب كبار المسئولين عن أصحاب الحاجات فتضيع مصالح الناس أو تتعطل، ولذا لم يكن يتهاون مع أى أمير أو والٍ يسمع أنه يحتجب عن الناس مهما يكن شأنه، وحين بلغه أن سعد بن أبي وقاص قد بنى بيتًا فى الكوفة من طابقين، وسماه الناس قصر سعد، لأن بقية البيوت كانت من طابق واحد، وأنه اتخذ لمكانه الذى يباشر منه أعمال الولاية بابًا، أرسل إليه محمد بن مسلمة الأنصارى، وكان مبعوث عمر فى المهمات الكبيرة، وأمره أن يحرق ذلك الباب الذى يحول بين الأمير وبين الناس، وأن يقدم بسعد معه، فلما قدم عليه وبخه ولم يقبل اعتذاره بأن داره قريبة من السوق وأنه كان يتضايق من ارتفاع أصوات الناس وجلبتهم، ثم رده إلى عمله بعد أن أكد عليه ألا يعود إلى مثل هذا أبدًا

خامسًا: المؤتمرات العامة:

ابتكر عمر عقد المؤتمرات العامة لمناقشة أمور الدولة، حتى يتيح لأكبر عدد من المسلمين المشاركة فى صنع السياسة والقرار بالحوار والمشاورة، فاهتدى إلى استثمار مناسبة الحج، وتجمع الناس فى البلد الحرام، وقرر أن يحج كل عام، عدا

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

السنة الأولى من خلافته، وأن يحج معه كل ولاة الأمصار، وهناك يدور النقاش والحساب مع الولاة عما صنع في عامهم الذى مضى، وما ينوون عمله فى العام القادم، وفوق ذلك تكون تقارير عيونه بين يديه قبل مجيء الولاة، بحيث تكون أمورهم كلها واضحة، ولا يستطيع أحد منهم أن ينكر شيئًا، ولما كانوا يعرفون ذلك فإنهم حرصوا على أن تكون سجلات أعمالهم نظيفة، فالخليفة لا يتهاون فى حساب المقصر أو من تثبت عليه مخالفة لشرع الله

سادسًا: محاسبة الولاة والأمراء:

دأب عمر بن الخطاب على محاسبة كل والٍ مقصر، أو من يشتبه أنه قصر فى عمله، لا يمنعه من ذلك كون الوالى كبير القدر أوصاحب سابقة فى الإسلام، وقلما نجا والٍ من ولاته من المحاسبة، وإذا كان الجرم صغيرًا يمكن إصلاحه؛ اكتفى بالتوبيخ، ورد الوالى إلى عمله كما فعل مع سعد بن أبى وقاص، أما إذا كان الجرم كبيرًا من وجهة نظره؛ فإنه يأمر بعزل الأمير على الفور، ومن أشهر إجراءاته فى هذا المجال: عزله خالد بن الوليد حين علم بأنه أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف درهم، فساورته شكوك فى أن من يعطى عشرة آلاف مرة واحدة لرجل واحد، كم يكون لديه ؟ فأمر أبا عبيدة بن الجراح أمير الأمراء فى الشام بمحاكمة خالد ومقاسمته ماله، فامتثل خالد لهذا العزل كما امتثل من قبل للعزل الأول عن القيادة العامة ولم يكن عمر يقصد بهذا التصرف الإساءة إلى خالد قط، وإنما كان يريد أن يعلم الجميع أن الإسلام فوقهم، وليس هناك استثناء لمخالف، ولو كان قائدًا عظيمًا فى مكانة خالد.

سابعًا: القدوة الحسنة:

أدرك عمر أثر القدوة فى سياسة الناس، وأن عليه أن يعلم الناس بأعماله قبل أن يعلمهم بأقواله وكثيرًا ما كان يردد للناس قوله :سأسوكم بالأعمال وليس بالأقوال، وأن الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، فإن رتع الإمام رتعوا وكان عمر قدوة فى حياته الخاصة، يعيش كما يعيش عامة الناس دون تميز، وحين فرضوا له عطاءً راتبًا من بيت مال المسلمين، ليعول منه أسرته قدروا له راتبًا يمكنه من معيشة رجل من أوسط الناس، لا أغناهم ولا أفقرهم وفوق ذلك هو يشارك المسلمين ويواسيهم إذا أصابهم ضر، كما حدث فى عام الرمادة المشهور سنة ١٨هـ الذى أصاب الناس فيه مجاعة شديدة فى شبه الجزيرة العربية لقلة الأمطار، فكان يجلب إليهم الأقوات من الأمصار، ويأكل مما يأكله الناس، حتى ساءت صحته، فنصحه بعض أصحابه بأن يحسِّن من طعامه، ليقوى على العمل وإنجاز مصالح المسلمين، لكنه أجاب بقوله: كيف يعنينى

شأن الرعية إذا لم يصبنى ما أصابهم؟

ولا شك أن ما عبر عنه الخليفة عمر هو مفتاح الحكم الصالح فى كل عصر وزمان فيوم يحس الحاكم بإحساس شعبه فسوف يستقيم الحكم، وينصلح حال الرعية، ويوم ينفصل الحاكم عن شعبه، وتكون له حياته الخاصة، فحينئذٍ ينفتح باب الفساد، وقد حرص عمر على أن يجعل من أبنائه وأهله قدوة كذلك،

فأخذهم بما أخذ به نفسه، لأنه الناس ينظرون إليهم، وكان يقول لهم إذا عزم على أمر يهم المسلمين: لقد عزمت على كذا وكذا، أو نهيت الناس عن كذا وكذا، وأقسم بالله لو خالفنى أحد منكم لأضاعفن له العقوبة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

هذه الإجراءات حصن عمر نفسه وأولاده وكل من يلوذون به ضد أية انحرافات أو إغراءات، فأطاعه المسلمون وأحبوه سواء أكانوا أمراء أم من عامة الناس، ولم يعرف التاريخ رجلا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق أطاعه كبار الأمراء وصغارهم كما أطاعوا عمر بن الخطاب، لا لهيبته فى عيونهم فحسب، بل للقدوة الحسنة فى حياته وانضباطه الشديد، ولهذا كله احتل مكانة عالية فى التاريخ الإنسانى.

عدل عمر بن الخطاب:

لم ترتبط صفة من صفات عمر الكثيرة باسمه كما ارتبطت به صفة العدل، فإذا ذُكر عمر ذكر الناس عدله، الذى كان لا يفرِّق بين قريب وبعيد، أو كبير وصغير، أو صديق وعدو، والأخبار المتواترة

فى ذلك أكثر من أن تحصى، ولعل قصته مع أبى مريم السلولى قاتل أخيه زيد فى معركة اليمامة أصدق مثال على تجرده فى عدله، وعدم خلطه بين عواطفه ومسئولياته باعتباره حاكمًا يُجرى العدل بين الناس

فحين قابل عمر – وهو خليفة – قاتل أخيه بعد أن أسلم، قال له :أأنت قاتل زيد بن الخطاب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: والله لا أحبك أبدًا، فقال أبو مريم : أو تمنعنى بذلك حقا لي، قال: لا قال: إذًا يا أمير المؤمنين إنما يأسى على الحب النساء يريد أنه مادام لا يظلمه الخليفة فلا يعنيه أحبه أم كرهه، لأن النساء هن اللائى

يأسفن على الحب ولا لوم على عمر فى التعبير عن عواطفه التى لا يملكها تجاه قاتل أخيه، فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لوحشى قاتل عمه حمزة بن عبدالمطلب حين رآه بعدما أسلم: غيِّب وجهك عنى يا وحشى لا أراك ولكن للقصة دلالة على ضبط النفس والتجرد المطلق لعمر ابن الخطاب، فلم يحمله غضبه من قاتل أخيه على ظلمه

وامتد عدل عمر ليشمل كل من يعيش على أرض الإسلام، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، فحين رأى يهوديا يتسول أحزنه ذلك وأخذ الرجل من يده، وأعطاه معونة عاجلة من بيت الدقيق،وأمر له براتب دائم من بيت مال المسلمين.

إحساسه بالمسئولية:

بلغ من شدة إحساس عمر بالمسئولية أنه لم يكتفِ بأن يكون مسئولا عن حياة البشر الذين يعيشون فى دولته، بل مسئولا عن البهائم والدواب أيضًا وذلك فى مقولته الشهيرة: والله لو أن بغلة عثرت بشط الفرات لكنت مسئولا عنها أمام الله، لماذا لم أعبد –أسوى – لها الطريق وأعمال عمر العظيمة من الفتوحات واستكمال بناء الدولة ومؤسساتها لم تشغله عن متابعة أحوال الناس وتفقدها؛ ليقف على أوجه النقص ليتلافاها أولا بأول، فكان كثير الطواف ليلا بالمدينة، وسمع ذات ليلة طفلا يبكى بكاء مستمرا، فسأل عن أمره، فعرف أن أمه منعت عنه الرضاع، لأنه لا يُفرض عطاء من بيت المال إلا للأطفال المفطومين، فانزعج عمر، وأصدر أوامره أن يفرض عطاء لكل مولود فى الإسلام، ونادى مناديه: لا تعجلوا فطام أولادكم

وحوادث عمر التى من هذا القبيل كثيرة، وقد يظنها بعض الناس أنها من المبالغات، ولكنها متواترة فى المصادر التى أرَّخت لعمر وعصره، فمن يصدق أن خليفة المسلمين يأخذ امرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ومعها كل

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ما تحتاج إليه عملية ولادة، لمساعدة امرأة غريبة جاءها المخاض، فيشترك هو معها فى الإشراف على ولادتها؛ وصنع الطعام لها، ولما أنجز مهمته، قال لزوج المرأة: إذا كان الغد فأتنا نأمر لك بما يصلحك، ففعل الرجل فأجازه وأعطاه.

عمر والقضاء:

عندما بويع أبو بكر بالخلافة شكى لعمر من كثرة أعبائها وخوفه من عدم النهوض بكل مسئولياتها، فقال له عمر: أنا أكفيك القضاء وأبو عبيدة يكفيك الأموال، ومعنى ذلك أن عمر كان قاضيًا لأبى بكر

وفى عهد عمر اتسعت الدولة، واحتاج كل إقليم إلى قاضٍ، فعين عمر القضاة وكان يدقق في اختيارهم، فعين: شريح بن الحارث الكندى على قضاء الكوفة، وأبا الدرداء على قضاء الشام، وعثمان بن قيس على قضاء مصر

ولم يكن عمر فى حاجة إلى سن قوانين للقضاة، لأنهم يحكمون طبقًا لكتاب الله وسنة رسوله، ولكنه كان فى حاجة إلى تعليمهم كيف يتصرفون حين يلتبس الأمر عليهم، وقد كتب لأحدهم يقول له: فإن جاءك أمر ليس فى كتاب الله ولم تكن فيه سنة من رسول الله، ولم يتكلم فيه أحد قبلك، فاختر أى الأمرين شئتَ، إن شئتَ أن تجتهد رأيك وتقدِّم فتقدم، وإن شئتَ أن تأخَّر فتأخر

ومن أعظم وصاياه للقضاة وصيته لأبى موسى الأشعرى، ومما جاء فيها: آس – أى سوِّ بين الناس فى مجلسك ووجهك – حتى لا يطمع شريف فى حيفك - ظلمك – ولا ييأس ضعيف من عدلك، والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرَّم حلالا أو حلل حرامًا

إصلاحات عمر بن الخطاب وإنشاءاته:

لعمر بن الخطاب كثير من الإصلاحات والإنشاءات التى لم يُسبق إليها، وسماها مؤرخو سيرته أوليات عمر، فهو أول من سُمى أمير المؤمنين، وأول من اتخذ حادث الهجرة مبدأ التاريخ للدولة الإسلامية، بعد أن استشار فى ذلك كبار الصحابة، وهو أول من اتخذ بيت المال، وهو يشبه خزانة الدولة، وأول من مصَّر الأمصار، أى بنى مدنًا جديدة كالبصرة والكوفة فى العراق، والفسطاط – حى مصر القديمة حاليا – فى مصر، وأول من وسَّع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدخل فيه دار العباس بن عبدا لمطلب، وفرشه بالحصباء، أى الحجارة الصغيرة، وكانوا قبل ذلك يصلون على التراب

وهو أول من دوَّن الدواوين، وهى تشبه الوزارات فى الوقت الحاضر، وقد اقتبس هذا النظام من الفرس والروم، فأنشأ ديوان العطاء، وكان مختصًا بالعطاء الذى فرضه عمر للمسلمين، وأنشأ ديوان الجند – وزارة الدفاع حاليًا - وديوان الخراج – وزارة المالية – ونظام البريد الذى كان يُستخدم فى أمور الدولة

ومن أعظم اجتهاداته إبقاؤه الأرض المفتوحة فى أيدى أهلها يزرعونها، ويدفعون خراجًا –إيجارًا – للدولة، تنفق منه على الجيش والمرافق العامة، كما أمر بإعادة مسح الأرض – أى قياسها واختبارها - ووضع الخراج المناسب عليها حسب جودة الأرض

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

هو أول من قنن الجزية على أهل الذمة، فوضع على الأغنياء ثمانية وأربعين درهما للفرد الواحد فى السنة، وعلى متوسطى الحال أربعة وعشرين درهمًا، وعلى الفقراء القادرين على الكسب اثنى عشر درهمًا، وأعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال ورجال الدين والعاجزين عن الكسب، وقد سبق القول إنه فرض للعاجزين عن الكسب من أهل الذمة عطاءً من بيت المال وكما ترك عمر بن الخطاب الأرض لأهلها يزرعونها؛ ترك معظم الدواوين – وبخاصة ديوان الخراج – فى أيدى أبناء البلاد المفتوحة يزاولونها بلغاتها؛ لأنها كما يقول العقاد: ليست من أسرار الدولة، وليس من الميسور أن ينصرف إليها فتيان العرب عما هو أولى بهم، وهو فرائض الدفاع والجهاد

ولاشك أن ترك تلك الأعمال فى أيدى أبناء البلاد المفتوحة كان مبعث ارتياح لهم، فاطمأنوا للحكم الإسلامى، بل أخذوا يعتنقون الإسلام، ويتعلمون اللغة العربية

استشهاده:

فى يوم الأربعاء الموافق ٢٦ من شهر ذى الحجة سنة ٢٣هـ وبينما عمر بن الخطاب يسوِّى صفوف المسلمين فى صلاة الفجر كعادته كل يوم، وبدأ ينوى مكبرًا للصلاة، إذا بأبى لؤلؤة المجوسى يسدد للخليفة عدة طعنات بخنجر مسموم، فقطع أمعاءه، وسقط مغشيًا عليه، واضطرب المسلمون فى الصلاة اضطرابًا شديدًا من هول المفاجأة، وأقبلوا على القاتل محاولين القبض عليه، لكنه أخذ يضرب

شمالا ويمينًا بدون هدى، فأصاب اثنى عشر من الصحابة، مات ستة منهم، ثم أتاه رجل من خلفه وألقى عليه رداءه وطرحه أرضًا فلما أيقن أبو لؤلؤة أنه مقبوض عليه لا محالة، طعن نفسه بالخنجر الذى طعن به أمير المؤمنين، ومات على الفور قبل موت الخليفة نفسه ومات معه السر الخفى الذى دفعه إلى هذه الجريمة البشعة

حمل المسلمون الخليفة إلى بيته، وظل فاقد الوعي فترة طويلة، فلما أفاق كان أول سؤال سأله للمسلمين: هل صليتم الصبح ؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله، لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم سأل: من الذى قتلنى ؟ قالوا: أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال: الحمد لله الذى جعل منيتى على يد رجل كافر، لم يسجد لله سجدة واحدة يحاجنى بها عند الله يوم القيامة.

المؤامرة:

كان أبو لؤلؤة غلامًا مجوسيا، أُسِرَ فى معركة نهاوند، ووقع من نصيب المغيرة بن شعبة، وكان يجيد حرفًا كثيرة كالحدادة والنجارة، وكان سيده يتركه يعمل ويأخذ منه درهمين فى اليوم

فاشتكى إلى أمير المؤمنين عمر مستكثرًا الدرهمين، فسأله عمر عن صناعته، فأخبره، فقال: لا أرى ذلك كثيرًا، وكانت تلك المهن رائجة فى ذلك الوقت وتدرُّ عليه مالا وفيرًا، فحقدها العبد المجوسى وعزم على قتله

هذا هو السبب الظاهر الذى روته كتب التاريخ والسير، لكنه لا يقنع وحده بارتكاب جريمة خطيرة كهذه، فالأمر أكبر من ذلك وأبعد مدى، ووراءه تدبير واسع ومؤامرة محكمة نُسجت خيوطها فى بلاد

فارس وكان فيها أبو لؤلؤة أداة تنفيذ فحسب، وكان هو مستعدًا بتكوينه للقيام بها، فقد رُوى عنه أنه كان كلما رأى أسرى بلاده فى المدينة، يقول: أكل عمر كبدى، لأن عمر هو الذى أزال دولة الفرس وأنزل الأكاسرة من على عروشهم

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لم تكن الجريمة فارسية فقط باشتراك أبى لؤلؤة، والهرمزان الذى كان أميرًا فارسيا وأُسِرَ فى إحدى الحروب وجاء إلى المدينة وأظهر الإسلام، بل كانت يهودية باشتراك كعب الأحبار، ونصرانية باشتراك جفينة، وكان كعب الأحبار يهوديا ادعى الإسلام، جاء إلى عمر قبل طعنه بثلاثة أيام، وقال له: يا أمير المؤمنين اعهد – أى اختر لك خلفًا يعقبك فى الحكم – فإنك ميت بعد ثلاثة أيام، فتعجب عمر وسأله كيف عرفت ذلك ؟ قال: أجده فى التوراة، فقال عمر :يا سبحان الله ! هل تجد عمر بن الخطاب مذكورًا فى التوراة، قال: أجدك بصفتك لكن عمر لم يعط لهذا الحديث اهتمامًا، فهل كان كعب الأحبار على علم بما دبره أبو لؤلؤة المجوسى وبقية شركائه ؟

يقول الدكتور هيكل: لابد إذًا أن يكون كعب الأحبار عرف بسر ما كان يجرى، فوجه النذير إلى عمر، وأغفل عمر أمر هذا النذير فحدث ما حدث، ونذير كعب وطعنات أبى لؤلؤة تدل على أن فى الأمر سرا لم يظهر ساعة ارتكاب الجريمة؛ لكنه ظهر من بعدأما الهرمزان و جفينة فأمرهما أوضح من أمر كعب الأحبار، واشتراكهما فى الجريمة لا لبس فيه، فقد شهد عبد الرحمن بن عوف أنه رأى الخنجر الذى طُعِن به عمر مع الهرمزان و جفينة فى اليوم السابق ليوم الجريمة، وسألهما ماذا يصنعان به ؟ فقالا: نقطع به اللحم، وشهد عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق أنه مرَّ فى الليلة التى طعن أبو لؤلؤة عمر فى صبيحتها فى أحد طرق المدينة، فوجد أبا لؤلؤة و الهرمزان و جفينة يتناجون – يتحدثون سرا – فلما طلع عليهم فجأة، قام أبو لؤلؤة مرتبكًا، فسقط منه الخنجر نفسه الذى طعن به عمر

ومما يؤكد أن قتل عمر بن الخطاب كان مؤامرة انتحار أبى لؤلؤة نفسه، فليس هناك رجل يقدم على عمل كهذا من أجل بضعة دراهم، حتى لو رأى أن عمر لم ينصفه، فقد كان بإمكانه أن يعاود الشكوى ويأخذ حقه، ولكن العبد المجوسى مُلئ حقدًا، وأوعز عليه فأقدم على جريمته إقدام من يؤمن بأنه يقوم بعمل بطولى يستحق أن يدفع من أجله حياته وهناك أمر آخر يؤكد المؤامرة، وأنها نُسجت خيوطها فى بلاد فارس نفسها، وهو ثورة معظم بلاد فارس على المسلمين، ونقض معاهدات الصلح، التى وقعها معهم الفاتحون المسلمون، فور سماعهم خبر مقتل عمر، وكأنهم كانوا ينتظرون ذلك بصبر نافد؛ لأنهم ظنوا أن وفاة عمر هى فرصتهم لإعادة الأمور إلى ماكانت عليه قبل الفتوحات.

تفكير عمر فى أمر الخلافة ووفاته:

أيقن عمر بن الخطاب بعد طعنه أنه لم يبق من عمره سوى ساعات، وكذلك أيقن المسلمون، ولذا ألحوا عليه أن يختار لهم من يخلفه فيهم، فرشَّح لهم ستة من الصحابة، هم بقية العشرة المبشرين بالجنة، يختارون من بينهم واحدًا للخلافة، ومع أن ابن عمه سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل واحد من العشرة المبشرين بالجنة، فقد استبعده من الترشيح، خوفًا أن يقع عليه الاختيار لقرابته منه، كما استبعد ابنه عبد اللهمن الترشيح تمامًا، بل رد على من اقترح عليه ترشيحه ردا قاسيًا، إبعادًا لشبهة الوراثة عن نظام الحكم الإسلامى، وجعل الأمر فى يد الأمة تختار الأصلح ليتولى أمرها قال عمر لهم: عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم من أهل الجنة، سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم، ولست مدخله فيهم، ولكن الستة، هم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، و عبد الرحمن بن عوف، و طلحة بن عبيد الله واهتم عمر وهو فى تلك الحال بأمر دفنه، وطلب أن يُدفن إلى جوار الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

صديق– رضى الله عنه – فى بيت عائشة، لينعم بصحبته فى الآخرة كما نعم بها فى الدنيا، فأرسل ابنه عبد الله إ
عائشة– رضى الله عنهما – وقال له: قل لها : عمر يقرأ عليك السلام ويستأذنك فى أن يُدفن مع صاحبيه، فأتاها عبد الله فوجدها تبكى، فسلم عليها، ثم قال لها ما أمره به أبوه، فقالت:كنت والله أريده لنفسى – أى المكان – ولأوثرنه به اليوم على نفسى، فلما رجع عبد الله، وأخبر أباه أن عائشة أذنت له، تهلل وجهه، وقال :الحمد لله ما كان شيء أهم إلى من ذلك المضجع وفى اليوم التالى لطعنه أى يوم الخميس الموافق ٢٧ من ذى الحجة سنة ٢٣هـ فاضت روح عمر بعد أن قضى فى الخلافة عشر سنوات وبضعة شهور، وكُفن فى ثلاثة أثواب أسوة بكفن رسول الله، وصلى عليه صهيب الرومى –رضى الله عنه – وكان عمر قد أمر هأن يصلى بالناس بعد طعنه، ودُفن مع رسول الله صلى الله عليه و سلم .

خلافة عثمان بن عفان: ٢٤ - ٣٥هـ

نسبه

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ولِد بعد عام الفيل بست سنوات ٥٧٦م، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس،فعثمان يلتقى فى نسبه من جهة أمه وأبيه مع النبيصلى الله عليه وسلم فى عبد مناف

صفاته

كان ربعة من الرجال، ليس بالقصير ولا بالطويل، حسن الوجه أبيض مشربًا بحمرة، غزير الشعر يكسو ذراعيه شعر طويل، طويل اللحية، ومن أحسن الناس ثغرًا

أخلاقه

أجمعت المصادر التى أرخت له على وصفه بسماحة النفس، ورقة المشاعر، وكان رضى الخلق، كريمًا، شديد الحياء، صوَّامًا قوَّامًا، محبوبًا من الناس فى جاهليته وإسلامه

وتحدث هو عن نفسه فقال: لقد اختبأت لى عند ربى عشرًا، إنى لرابع أربعة فى الإسلام، ولقد ائتمننى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته – رقية – ثم توفيت، فزوجنى الأخرى – أم كلثوم – ووالله ما سرقت ولا زنيت فى جاهلية ولا إسلام قط ولا تغنيت، ولا تمنيت ولا مسحت فرجى بيمينى منذ بايعت رسول الله، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله، ولا مرت بى جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة، فإن لم أجد فيها رقبة أعتقت فى التى تليها رقبتين

إسلامه

أسلم عثمان مبكرًا، وكان الذى دعاه إلى الإسلام هو أبو بكر الصديق، وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم على يديه بعد إسلام أبى بكر مباشرة، ولذا كان يقول: إنى لرابع أربعة فى الإسلام بعد أبى بكر وخديجة وزيد بن حارثة، وحرص عثمان على إسلامه أشد الحرص، على الرغم من الضغوط التى تعرض لها، فعندما

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

علم عمه الحكم بن أبي العاص بإسلامه أوثقه بالحبال، وقال له: ترغب عن دين آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أد
حتى تدع ما أنت فيه فأجابه عثمان: والله لا أدعه أبدًا ولا أفارقه

مصاهرته للرسول صلى الله عليه وسلم

تزوج عثمان بن عفان من ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتزوج رقية، وظلت معه حتى تُوفيت يوم انتصار المسلمين فى غزوة بدر، ولهذا لم يحضر عثمان بدرًا، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمره بالبقاء معها لتمريضها، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من المدريين رغم غيابه عن المعركة، وفرض له فى غنائمها، ثم زوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم، ولهذا لُقب بذى النورين، فلما توفيت فى العام التاسع من الهجرة؛ حزن عُثمان حزنًا شديدًا؛ لانقطاع مصاهرته للنبى صلى الله عليه وسلم، فواساه مواساة رقيقة قائلا: لو كانت لنا أخرى لزوجناكها يا عثمان

عثمان مع النبي صلى الله عليه وسلم

جاهد عثمان بن عفان منذ أن أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه، فهاجر الهجرتين: إلى الحبشة وإلى المدينة، وصاحبته زوجه رقية بنت النبيصلى الله عليه وسلم، وتحمل كثيرًا من الأذى

بذل عثمان ماله فى سبيل الله ونصرة دعوته، وكان من أكثر قريش مالا، فاشترى بئر رومة باثنى عشر ألف درهم، وجعلها للمسلمين فى المدينة، وكانوا يعانون من قلة المياه، و غلاء أسعارها كما أنفق ماله فى تجهيز الجيوش وبخاصة جيش العسرة فى غزوة تبوك فى العام التاسع من الهجرة، فقد جهز وحده ثلث الجيش، وكان عدده نحو ثلاثين ألفًا، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، وقال: ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم، قالها مرتين. وشهد عثمان المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، عدا غزوة بدر، فقد تخلف عنها بأمر من النبيصلى الله عليه وسلم، وأرسله النبيإلى مكة عام الحديبية لمفاوضة قريش، بعد اعتذار عمر بن الخطاب لرسول الله بقوله: إنى أخشى على نفسى من قريش لشدتى عليها وعداوتى إياها، ولكنى أدلك على رجل أمنع وأقوى بها منى، عثمان بن عفان ولما أشيع أن قريشًا قد قتلت عثمان، قال النبيصلى الله عليه وسلم: لو كانوا فعلوها فلن نبرح حتى نناجزهم، وبايعه أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة، وبايع النبينفسه نيابة عن عثمان، وقال: إن عثمان بن عفان فى حاجة الله وحاجة رسوله وضرب بإحدى يديه على الأخرى مشيرًا إلى أن هذه بيعة عثمان، فكانت يد النبيصلى الله عليه وسلم لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم. وكان من كُتاب الوحى كما هو معلوم.

ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على عثمان

الأحاديث الواردة فى فضل عثمان بن عفان وثناء النبيعليه كثيرة، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ألا أستحى من رجل تستحي منه الملائكة ؟

وكان عثمان بن عفان قريبًا من الخليفتين، أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وموضع ثقتهما وأحد أركان حكومتهما، ومن كبار مستشاريهما، وكان يكتب لهما، وهو الذى كتب كتاب ولاية العهد من

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ــى بكر إلى عمر بن الخطــاب – رضــى الله عنهمــا وترتيب عثمــان فــى الفضل بين الصحابة كترتيبه فى تولّى الخلا عند جمهور علماء الأمة

أهل الشورى وبيعة عثمان

لم يشأ عمر بن الخطاب أن يعهد بالخلافة إلى شخص بعينه، وقال: إن أعــهد – يــعنــــى لشخص محدد – فقد عهد من هو خير منــى – يقصد أبــا بكر عندما عهد إليه هو نفسه – وإن لم أعهد فلم يعهد من هو خير منـــى – يقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تركها شورى بين المسلمين

ولعـــــل اجتهـــاده أدَّاه إلى أن تصرف الرسول وأبـــى بكر يعطــى له الفرصـــة أيضًا أن يختـــار طريقـــة أخرى لاختيـــار من يخلفه، ليثرى بذلك طرق الاختيـــار، وليرسخ فى أذهان الناس أن أمر اختيار الحاكم منوط دائمًا بـــالأمـــة وإرادتهـــا ورضـــاها، وهى التى تملك محاسبته وعزله إن ارتكب ما يوجب العزل

رشح عمر بن الخطـــاب ستـــة من الصحـــابة، ليتولى واحد منهم منصب الخـــلافـــة، ولم يـــأمر أحدًا منهم أن يصـــلى بـــالنـــاس إمامًا، حتى لا يظن النـــاس أنه يميل إليه، بل أمر صهيبا أن يصلى بالناس، لتكون فرصتهم فـــى الاختيار متساوية، وشدد على ألا تمضى ثلاثة أيام بعد وفاته إلا ويكون عـــليهم أمير من هـــؤلاء الستـــة يتولى مسئولية الخلافة ويتحمل تبعاتها

وبعد أن فرغ المســـلمون من دفن عمر، شرع المرشحون الستـــة فى التفـــاوض، وبعد نقـــاش طويـــل اقترح عليهم عبد الرحمن بن عوف أن يتنازل عن حقه فى الخلافة. ويتركوا له اختيار الخليفة، فوافقوا على ذلك، فشرع فى معرفة آرائهم واحدًا بعد واحد على انفراد، فرأى أن الأغـــلبيـــة تميل إلى عثمان، ثم أخذ يسأل غيرهم من الصحابة، فلا يخلو به رجل ذو رأى فيعدل بعثمان

اطــمـــــأن عــبد الرحـــمن إلى أن الأغـــلبيـــة تزكـــى عثمـــان بن عفـــان فـــأعـــلن ذلك عـــلى مـــلأ من الصحـــابـــة فى مسجد النبي صلى الله عليه وســـلم، ولمـــا كـــان يـــعـــلم أن الذى يـــلى عثمـــان فـــى المنزلة عند الصحـــابـــة، هو عـــلى بن أبى طالب، الذى مال إليه عدد منهم، فإنه رأى أن يـــوضـــح له أن الأغـــلــبـــيـــة مع عثمـــان، فقـــال له: أمـــا بعد يا على، فإنى نظرت فى الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن عـــلى نفسك سبيـــلا – كأنه يحذره من المخالفة– ثم أخذ بيد عثمان، فـــقـــال: نـــبـــايعك عـــلى سنـــة الله ورسوله، وسنـــة الخـــليفتين بعده، فبـــايعه عبد الرحمن، وبـــايعه المهـــاجرون والأنصـــار؛ ولم يتخلف أحد عن بيعته من الصحابة، وكان ذلك بعد وفاة عمر بثلاثة أيام.

خطبة البيعة

اســـتقبـــل عثمـــان بخـــلافته أول المحرم سنـــة ٢٤هـــ، وصعد المنبر بعد تمـــام البيعة، وخطبهم قائلا –بعد حمد الله والصلاة على رسوله :-إنكم فـــى دار قلعة –أى دار الدنيا – وفى بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه.. ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنـــيـــا، ولا يـــغرنـــكم بـــــالله الغـــرور، اعتبروا بمـــا مضـــى، ثم جدوا ولا تـــغفـــــلوا، فـــــإنـــه لا يـــغفُل عـــنكـــم، أين أبنـــاء الدنيـــا وإخوانهـــا: الذين أثـــاروها وعمروها، ومتعوا بها طويلا، ألم تلفظهم ؟ ارموا الدنيا حيث رمى الله بها، واطلبوا الآخرة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com
ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وأول ما يُلاحظ على الخطبة الأولى، التى افتتح بها عثمان خلافته، خلوها من الإشارة إلى المنهج الذى سيسير عليه، ولعله اكتفى بما قاله لعبد الرحمن بن عوف لحظة البيعة، من أنه سيعمل بكتاب الله، وسنة نبيه، وسيرة الخليفتين بعده

كتبه إلى العمال والولاة

كتب عثمان – رضى الله عنه – فى الأيام الأولى من خلافته عددًا من الكتب إلى الولاة وأمراء الجند، بل وإلى عامة الناس، تتضمن نصائحه وإرشاداته، يقول الطبرى: أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة – يرعون مصالح الأمة – ولم يتقدم إليهم – أى لم يطلب منهم - أن يكون جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا دعاة، ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا دعاة، فإن عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم مالهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة، فتعطوهم الذى لهم، وتأخذوهم بالذى عليهم، ثم العدو الذى تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء وكتب إلى أمراء الأجناد وقادة الجيوش: أما بعد، فإنكم حماة المسلمين و ذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان عن ملإ منا، فلا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل، فيغير الله ما بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإنى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه، والقيام عليه وكتب إلى عمال الخراج المسئولين عن الشئون المالية :أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق، ولا يقبل إلا الحق، خذوا الحق، وأعطوا الحق، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها.. والوفاء الوفاء، ولا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم وكتب إلى عامة الرعية: أما بعد فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تفتنكم الدنيا عن أمركم، فإن أمرهذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع وهذه الكتب توضح سياسة عثمان بن عفان العامة، التى كان يتوخى أن يتبعها عماله وولاته فى إدارة شئون الأمة، وهى سياسة طابعها الرفق بالرعية، والسهر على مصالحها، والإنصاف فى جمع الخراج، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، والإحسان إلى أهل الذمة، ورعاية جميع طوائف الأمة.

الفتوحات فى عهد عثمان بن عفان

المسلمون والفرس

كان عمر بن الخطاب قد أمر المسلمين بالانسياح فى بلاد فارس بعد موقعة نهاوند سنة ٢١هـ وكلمة الانسياح من تعبيرات المؤرخين القدماء، وهى تدل على سهولة الفتح بعد نهاوند؛ إذ لم يلق المسلمون هناك مقاومة تذكر وقد نجح قادة الجيوش التى أرسلها عمر فى فتح المقاطعات الفارسية كهمذان، وخراسان وأذربيجان، واصطخر، وأصبهان، وكان أمراؤها الفرس قد رأوا عدم جدوى المقاومة، فسلموا بلادهم على شروط المسلمين، وقبلوا دفع الجزية، ووقعت معهم معاهدات، هى آية فى الرحمة والعدل والتسامح، من ذلك معاهدة عتبة بن فرقد لأهل أذربيجان بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان : سهلها وجبلها وحواشيها و شفارها، وأهل مللها كلهم، الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم و شرائعهم، على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم، ليس على صبى ولا امرأة ولا زمن مريض – ليس فى يديه شىء من الدنيا، ولا متعبد متخل ليس فى يديه شىء من الدنيا لهم ذلك ولمن سكن معهم، وعليهم قِرَى المسلم من جنود المسلمين يومًا وليلة ودلالته – على الطريق –ومن حشر منهم –

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

من يُستعان به في خدمات الجيش - في سنة، وضع عنه جزاء تلك السنة – أي لا يدفع جزية – ومن أقام مثل ما لمن أقام من ذلك، ومن خرج فله الأمان حتى يلجأ إلى حرزه وبعد مقتل عمر نقضت معظم المقاطعات الفارسية معاهداتها مع المسلمين، ظنا من أمرائها أن في مقتل عمر فرصة لطرد المسلمين من البلاد التي فتحوها، فوقف عثمان بن عفان لهذه الثورة وقضى عليها، كما فعل أبو بكر حيث قمع الردة في شبه الجزيرة العربية، وأعاد إليها وحدتها الدينية والسياسية، وأخذ عثمان يجهز الجيوش، ويصدر أوامره إلى أمراء الأمصار الوليد بن عقبة في الكوفة، و عبد الله بن عامر في البصرة، للتصدى بحزم لحركة الردة الفارسية، وإعادة الفرس إلى الطاعة والنظام وكانت إعادة فتح تلك المقاطعات أصعب من فتحها الأول في عهد عمر بن الخطاب؛ لأنها حينذاك سلمت بدون قتال تقريبًا بعد هزيمتهم في نهاوند في حين بذل المسلمون في عهد عثمان جهدًا كبيرًا، وخاضوا معارك شرسة في بضع سنوات ٢٤ – ٣١هـ لإعادة فتح بلاد فارس مرة أخرى، وقد شهدت تلك المعارك الفصل الأخير من حياة آخر ملوك آل ساسان يزدجرد الثالث، حيث لقى مصرعه على يد رجل فارسى فى مرو سنة ٣١هـ، وبموته طويت صفحة دولة فارس من التاريخ ومما يجدر ذكره ويثير الإعجاب أن المسلمين لم يقسوا على الفرس ولم ينكلوا بهم بعد ثورتهم وخروجهم، بل قبلوا اعتذارهم، ولم يفرضوا عليهم التزامات جديدة، واستمروا في معاملتهم طبقًا للمعاهدات الأولى وبدأت بلاد فارس تشهد تاريخًا جديدًا تحت راية الإسلام، يملؤه العدل والتسامح والرحمة، وأسلمت الأمة الفارسية، وأصبحت جزءًا مهما من العالم الإسلامى وأسهمت إسهامًا كبيرًا فى بناء الحضارة الإسلامية.

المسلمون والروم فى عهد عثمان

بعد وفاة عمر بن الخطاب، قام الروم بمحاولة لطرد المسلمين، فهاجموا الشام – في السنة الأولى من خلافة عثمان بقوات كبيرة من آسيا الصغيرة، جعلت والى الشام القدير معاوية بن أبي سفيان يطلب المدد من عثمان بن عفان، الذى أمر بتحريك قوات من العراق لنجدة الشام وكتب عثمان بن عفان إلى والى الكوفة الوليد بن عقبة كتابًا يقول فيه: أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلىَّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة – أي هاجمت – وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإن أتاك كتابي هذا، فابعث رجلا ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه، في ثمانية آلاف، أو تسعة آلاف، أو عشرة آلاف، إليهم من المكان الذى يأتيك فيه رسولى، والسلام ولما بلغ الكتاب والى الكوفة، جمع الناس وخطب فيهم وأبلغهم أمر الخليفة، وقال: قد كتب إلىَّ أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف، تمدون إخوانكم من أهل الشام، فإنهم قد جاشت عليهم الروم، وفى ذلك الأجر العظيم والفضل المبين، فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلى، فانتدب الناس، فلم يمض ثالثة – أي ثلاثة أيام – حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهرى، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة، فشنوا الغارات على أرض الروم، فأصاب الناس م اشاءوا من سبى، وملئوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا بها حصونًا كثيرة.

محاولات الروم العودة إلى مصر

لم يكف الروم عن محاولاتهم الهجوم على المسلمين، على الرغم من هزيمتهم فى الشام، وما إن اعتلى الإمبراطور قنسطانز الثانى ٤٨٢٢ - - هـ =٦٤٢ – ٦٦٨م حتى سيطرت عليه فكرة استرداد الشام و مصر من أيدى

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

المسلمين، كما استردها جده هرقل من الفرس قبل سنوات قليلة من الفتح الإسلامى، فأرسل فى سنة ٢٥ هـ = ٦٤٥ م حملة بحرية كبيرة إلى مصر، بقيادة مانويل، تمكنت من الاستيلاء على الإسكندرية، بمساندة من بقى فيها من الروم والإغريق، وبدأت تتوغل جنوبًا قاصدة حصن بابليون، فكلف الخليفة عثمان قائده عمرو بن العاص بمهمة الدفاع عن مصر وطرد الروم، وكان عمرو قد أعفى من ولايتها بناء على طلبه فى مطلع خلافة عثمان، فلم يتردد الفاتح الكبير فى العودة إلى مصر للقيام بهذه المهمة، ونجح فى طرد الروم نهائيا، بعد أن ألحق بهم هزيمة منكرة، وقتل مانويل قائد حملتهم استمرار فتح شمال إفريقيا فى عهد عثمان

لما ولى عبد الله بن سعد بن أبى السرح ولاية مصر من قبل عثمان بن عفان؛ كتب إليه أن الروم الذين لا يزالون يسيطرون على شمال إفريقيا يغيرون على حدود مصر الغربية، ولابد من مواجهتهم قبل أن يتجرءوا ويهاجموا مصر نفسها، فاقتنع عثمان بعد أن استشار كبار الصحابة، وأذن له بتجريد حملات عسكرية لردعهم وكف عدوانهم، كما أرسل إليه جيشًا من المدينة مددًا، يضم عددًا من الصحابة كابن عباس، وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما

وفى سنة ٢٧هـ = ٦٤٧م انطلق جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد، وتوغل غربًا حتى وصل إلى قرطاجنة عاصمة إقليم تونس فى ذلك الوقت، ودارت عدة معارك بين المسلمين وبين ملكها جريجوار أوجرجير كما تسميه المصادر العربية، انتهت بانتصار المسلمين وقتل الملك جريجوار على يد عبد الله بن الزبير ولم تكن تلك الحملة تهدف إلى الاستقرار، بل إلى ردع العدوان، ولذا اكتفى عبد الله بن سعد بعقد معاهدات صلح مع زعماء تلك البلاد تعهدوا فيها بدفع مبلغ كبير وبعد عودة عبد الله بن سعد إلى مصر، قام بفتح بلاد النوبة جنوبًا سنة ٣١هـ = ٦٥١م، وعلى الرغم من أنها لم تخضع بلاد النوبة للمسلمين، فإنها انتهت بعقد صلح بين الطرفين، اتفقا فيهعلى تبادل التجارة والمنافع.

نشأة الأسطول الإسلامى

يُعد إنشاء الأسطول الحربى الإسلامى من أعظم الإنجازات التى تمت فى عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان فبعد الفتوحات الإسلامية فى مصر والشام وجد المسلمون أنفسهم قد سيطروا على الشواطئ الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط، الذى كان يُعرَف وقتئذٍ ببحر الروم، لأن سيطرتهم عليه كانت كاملة، ولم تنازعهم فى ذلك دولة أخرى؛ ولذا كان المسلمون فى حاجة إلى قوة بحرية تمكنهم من الحفاظ على شواطئهم ضد هجمات الأسطول البيزنطى

وكان أول من تنبه إلى ذلك معاوية بن أبى سفيان والى الشام؛ لأنه اضطلع بفتح سواحل الشام، مثل: صور، وعكا، وصيدا، وبيروت منذ عهد الخليفتين أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وواجه صعوبات كثيرة فى فتح تلك المدن، لقوة تحصينها من ناحية، وتوالى الإمدادات التى تأتيها من البحر من ناحية أخرى، كما أنها كانت محطات للأساطيل البيزنطية ولما أدرك معاوية أنه بدون قوة بحرية إسلامية فلن يتمكن من الدفاع عن كل الساحل الشامى، فعرض الأمر على الخليفة عمر بن الخطاب، مصورًا له حجم الخطر بقوله: يا أمير المؤمنين، هناك قرية من قرى الروم -يقصد جزيرة قبرص – فى عرض البحر، تتخذها أساطيلهم قاعدة للعدوان علينا، وهذه القرية قريبة من حدودنا إلى درجة أن أهل حمص – من مدن الشام – يسمعون نباح كلابها وصياح دجاجها، فأذن لنا ببناء أسطول حربى بحرى، لكن عمر رفض ذلك رفضًا قاطعًا؛ لخوفه على المسلمين من أهوال البحار، وأن الوقت لا يزال مبكرًا

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

دخول فى هذا المجال، وقال لمعاوية: لمسلم واحد أحب إلى مما حوت الروم، يقصد أن سلامة المسلمين عنده مقدمة على أى شىء آخر، وطلب من معاوية أن يستعيض عن ذلك بتقوية حصون السواحل، فامتثل معاوية، لكنه لم يفقد الأمل فى تحقيق ما يصبو إليه.

بناء الأسطول

بادر معاوية بن أبى سفيان بعد تولى عثمان بن عفان الخلافة سنة ٢٤ هـ إلى عرض مشروعه القديم عليه، الذى يقضى بإنشاء أسطول بحرى، لكن عثمان رفض فى البداية، وذكره بمادار بينه وبين عمر بن الخطاب فى ذلك الشأن، وأنه حريص على سلامة المسلمين كحرص عمر من قبل لكن معاوية ألح عليه إلحاحًا شديدًا، وكان أجرأ عليه من عمر، ولم يكف عن المحاولة حتى ظفر منه بالإذن، وكان إذنًا مشروطًا، بألا يُكره أحدًا من الجنود على العمل فى الأسطول بدأ معاوية بن أبى سفيان يعمل على الفور فى بناء الأسطول، متعاونًا مع عبد الله بن سعد بن أبى السرح، والى مصر، ومستثمرًا كل الإمكانات المتاحة والصالحة لصناعة السفن فى مصر والشام، حيث كانت فى مصر دور قديمة لصناعة السفن، وعدد كبير من العمال المهرة المدربين، وأشجار السنط التى تصلح لعمل الصوارى وضلوع السفن، وكانت الشام تتمتع بكثير من المواد اللازمة مثل أخشاب الصنوبر والبلوط والعرعر، وأدى هذا التعاون بين مصر والشام إلى بروز الأسطول الإسلامى وظهوره.

فتح جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ:

كان أول عمل بحرى ناجح قام به الأسطول الإسلامى، هو فتح جزيرة قبرص التى كانت تهدد شواطئ المسلمين باستمرار لقربها منهما من ناحية، وباعتبارها محطة مهمة من محطات الأساطيل البيزنطية من ناحية أخرى وقد غزاها معاوية سنة ٢٨هـ، أى بعد أربع سنوات فقط من بناء الأسطول الإسلامى، وهى مدة ليست بالطويلة لإنشاء أسطول بحرى،ولكنها عزيمة الرجال وإصرارهم على إنجاز العمل وكانت الغزوة مشتركة أسهمت فيها قوات الشام، وقوات مصر بقيادة عبدا لله بن سعد، ونزلوا قبرص واستولوا عليها، فعرض أهلها الصلح، فقبل معاوية، واشترط لعقده عدة شروط

-أن يدفع أهل قبرص جزية سنوية، مقدارها سبعة آلاف دينار

-وأن يُعلموا المسلمين بأية تحركات عدائية من جانب الروم ضد سواحلهم

-وأن يقف أهل قبرص على الحياد، إذا نشبت حرب بين المسلمين والروم، ولكن لا يمنعون المسلمين من المرور بجزيرتهم إذا احتاجوا إلى ذلك ولم يلتزم أهل قبرص بما تعاهدوا عليه فى الصلح، مما جعل

معاوية يعاود غزو الجزيرة مرة أخرى سنة ٣٣هـ ويضمها إلى دولة الخلافة، وينقل إليها اثنى عشر ألفًا من المسلمين من أهل الشام، وأسكنهم فيها، وبنى لهم الدور والمساجد.

موقعة ذات الصوارى سنة ٣٤هـ:

أثار بروز الأسطول الإسلامى فى البحر المتوسط حفيظة قنسطانز الثانى الإمبراطور البيزنطى، و جعله يفكر فى القضاء على الأسطول الإسلامى وتحطيمه، قبل أن تكتمل قوته، ويزداد خطره، وحتى تظل السيطرة على البحر المتوسط

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

للأسطول البيزنطي وحده دون غيره، فعبأ الإمبراطور قواته البحرية كلها، واتجه بها قاصدًا سواحل الشام، وهو لا يرا
شك في قدرته على تدمير السفن الإسلامية؛ لحداثة نشأتها، وقلة خبرة رجالها، لكن المسلمين استعدوا لهذا اللقاء جيدًا وتعاون الأسطولان في مصر والشام، لرد هذا العدوان، وأسندت قيادتهما إلى عبد الله بن سعد والي مصر. و التقى الأسطولان الإسلامي و البيزنطي – الذي كان بقيادة الإمبراطور نفسه – في شرقي البحر المتوسط، جنوبي شاطئ آسيا الصغرى تركيا الحالية، ودارت بينهما معركة بحرية كبيرة، سُميت بمعركة ذات الصواري، لكثرة السفن التي اشتركت من الجانبين خمسمائة سفينة من جانب الروم، مقابل مائتي سفينة من جانب المسلمين وانتهت المعركة بنصر عظيم للمسلمين، وهزيمة ساحقة للأسطول البيزنطي، و نجاة الإمبراطور من القتل بأعجوبة ونتيجة لهذه الهزيمة لم يرجع الإمبراطور إلى عاصمة القسطنطينية بعد المعركة، وإنما ذهب إلى جزيرة صقلية، قبالة شاطئ تونس، في محاولة منه لحماية ما تبقى من دولة الروم في شمال إفريقيا، لكنه قتل في صقلية سنة ٦٨هـ = ٦٨٨م.

مصحف عثمان

إذا كان لعهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن يفخر بما أنجز فيه من الأعمال العظيمة؛ فإن له أن يفخر بما هو أعظم منها جميعًا، وهو جمع القرآن الكريم على لغة واحدة. للقرآن صورتان صورة صوتية مقروءة، وأخرى مكتوبة مدونة، وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تدوين الآيات فور نزولها، وقبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى راجع مع جبريل – عليه السلام ترتيب الآيات والسور مرتين. وقد حفظ الصحابة القرآن باللهجات التي درجوا عليها، وأجاز لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، و لذا ظهر الاختلاف في وجوه القراءة بين الصحابة من بدء نزول القرآن، نتيجة للهجة التي اعتادها

اللسان

ولما جُمِعَ القرآن الكريم الجمع الأول في الصحف في عهد أبي بكر بهيئته المكتوبة، بقيت الصورة الصوتية كما هي، و لما فُتحت البلاد وتفرق الصحابة فيها، أخذ أهل كل إقليم يقرءون القرآن بقراءة الصحابي أو الصحابة الذين عاشوا بينهم، فتمسك أهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود، وأهل الشام بقراءة أبي بن كعب، وأهل البصرة بقراءة أبي موسى الأشعري، و مع اتساع الفتوحات، زاد الخلاف بين المسلمين حول قراءة القرآن، وتحول الأمر إلى تعصب، بل كاد أن يؤدي إلى فتنة بينهم، مما أفزع حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل، وكان يقرأ في أذربيجان، فرجع إلى المدينة، وأخبر عثمان بن عفان بما رأى جمع عثمان الصحابة، و أخبرهم الخبر، فأعظموه، ورأوا جميعًا ما رأى حذيفة من ضرورة جمع الناس على مصحف واحد، وأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر أن تبعث إليه بالمصحف الذي جُمع في عهد أبي بكر – وكان عمر بن الخطاب قد أخذه بعد وفاة أبي بكر، ثم حُفظ بعد موته عند ابنته حفصة– ثم أمر زيد بن ثابت – الذي جمع القرآن الجمع الأول في عهد أبي بكر الصديق – و عبد الله بن الزبير، و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوه، وقال لهم: إذا اختلفتم – يعني في كلمة أو كلمات– فاكتبوها بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، فلما نسخوه، أرسل إلى كل إقليم مصحفًا وأمر بإحراق ما سوى ذلك، و قد سمي هذا المصحف بالمصحف الإمام أو مصحف عثمان.

الفتنة وأسبابها

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ـارت الأمور فـي الدولة الإسـلامية على خير ما يرام فى الشطر الأول من خـلافة عثمان – رضى الله عنه – ٢٤ – ٠، و لكن مع بداية سنة ٣١هـ هبت عـلى الأمـة الإسـلامية ريـاح فتنة عاتية، زلزلت أركانها، وكـلفـتهـا تضحيـات جسيمـة، واستمرت هذه الفتنـة نحو عشر سنين، شمـلت مـا تبقى من خلافة عثمان بن عفان، وكل زمن خلافة على

بن أبي طالب –رضى الله عنهما– ٣١–٤٠هـ

ومـا لاشك فيه أن تـلك الفتنـة كـانت نتيجـة لمـؤامرة واسعـة النطاق كـانت أحكم فى تدبيرها، وأوسع فى أهدافها، وأخطر فى نتائجها من مـؤامرة اغتيـال عمر بن الخطـاب – رضـى الله عنه –، لأن اغتيال عـمر لم يـخـلف آثـارًا خـطيـرة بـين المـسـلمين، ولم يقسمهم شيعًا وأحـزابًا كمـا حدث فـي آخر عهد عثمـان، ولأن الذين خططوا لقتـل عمر والذين قـاموا بتنفيذ ذلك كـانوا غير مسـلمين وغير عرب، فى حين أن الذين قتـلوا عثمـان وعليا من بعده كانوًا عربًا مسلمين، وهذا هو وجه الخطورة، حتى وإن كان التخطيط من غيرهم

و الذى لاشـك فـيه أن الذى تـولى التـخطيط للفتنـة، وقتـل عثمـان، وإغراق الأمـة فـي بحر من الدمـاء، هو عبد الله بن سبـأ اليهودى، الذى ادعـى الإسـلام؛ ليتمكن من الكيد له من داخـله، و الذى لُقِّب بـابن السوداء وقبـل الحديث عنه يحسن تنـاول الظروف والأجواء التـى كانت سائدة فـي عهد عثمـان – رضـى الله عنه – واستغـلهـا ابن سبـأ لتحقيق أهدافه المدمرة

أولا: تغيرت الظروف فـي آخر حيـاة عثمـان بـل وفـي بداية خلافته عمـا كـانت عـليه فى خلافة عمر بن الخطاب، وربما كان هذا تطورًا طبيعيـا فـي حيـاة الأمـة، فقد كثرت الغنائم فى أيدى الناس، و بدءوا يتوسعون فـي المـأكـل والمـلبس والمشرب، وبخاصة الجيل الجديد من العرب الذى دخـل فـي الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتـأدب بـآدابه، ولم يتعود حياة القناعة والقصد فى المعيشة التى كان يحياها الصحابة فى حياته صلى الله عليه وسلم

ولم يُرضِ ذلك التوسع فـي المعيشـة صحـابيا جليلا اشتهر بالزهد، هو أبو ذر الغفـارى، فسخط عـلى عثمـان وولاته وعمـاله، وحمـلهم مـسئوليـة ذلك التطور الاجتمـاعـى الطبيعـى الذى لم يكن من صنعهم، وراح ينـادى بتحريم امتـلاك المسـلم لشـيء من المال فوق حاجة يومه وليـلتـه، واسـتشـهد عـلى ذلك بقوله تعـالى: [والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم] التوبة ٣٤

ولم يوافق أحد من الصحـابة أبا ذر فيما نادى به، وكانوا يرون أن المـال إذا جُمع من حـلال، وأدى عنه صـاحبه حق الله وهو الزكـاة: لا يعتبر كنزًا، ولا تنطبق عـليه الآيـة موضع الاستشهـاد، والنبي صـلى الله عـليه وسـلم كـان يخزن مـؤنـة بيوته لمدة سنـة إذا كانت الظروف تسمح بذلك، وتشريع الله للمواريث فى نظام دقيق يقتضى ترك الميت ثروة تقسم بين ورثته، وكثير من الصحـابـة كـانوا أغنيـاء عـلى عهد النبي صـلى الله عـليه وسـلم، ولم يعب النبي صلى الله عليه وسلم ثراءهم، بـل يُروى أنه قال: نعم المال الصالح للمرء الصالح – مسند أحمد

وقد نصح النبي صـلى الله عـليه وسـلم سعد بن أبى وقاص حين أراد أن يتصدق بمـاله كـله بقوله: إنك إن تذر ورثتك أغنيـاء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس – صحيح البخارى، كتاب الجنائز

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

و لو أن أبا ذر الغفارى – رضى الله عنه – احتفظ برأيه لنفسه، لكان الأمر هينًا، ولكنه أذاعه فى الناس؛ ووجد صداه عند الكسالى والذين يريدون أن يعيشوا عالة على غيرهم، فألبوا الناس على عثمان و ولاته، وكانت تلك الدعوة سببًا من أسباب الفتنة

وعلى الرغم من اعتزال أبى ذر الناس فى الربذة شرقى المدينة امتثالا للخليفة؛ فإن دعوته كانت قد استشرت، وتلقفها ابن سبأ اليهودى وأشعلها بين الناس

ثانيًا: شارك عدد كبير من أهل اليمن ومنطقة الخليج فى الفتوحات الإسلامية، وكان دورهم فى تحقيق النصر لا ينكر، ولكنهم وجدوا بعد الفتح أن الإمارات والوظائف الرئيسية قد أُسندت إلى غيرهم و بخاصة أبناء قريش، و كبار المهاجرين و الأنصار وأبنائهم، فلم يعجبهم ذلك، و رأوا أنفسهم أحق بالإمارات التى فتحوها بسيوفهم، مع أنه كان من الضرورى أن يتولى المهاجرون والأنصار هذه الولايات؛ لأنهم يعرفون الإسلام وشرائعه أكثر، فقدمهم علمهم

وفقههم فى الدين وسابقتهم فى الإسلام، و جهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أنسابهم وأحسابهم

ونتيجة لذلك تكونت جبهة عريضة من أبناء تلك المنطقة معارضة لسيطرة أبناء المهاجرين والأنصار على الدولة الإسلامية، و لم تكن شكواهم من الولاة واتهامهم بالظلم حقيقية، بل كانت ذريعة للنيل منهم، و من الخليفة عثمان، و هدفًا لقلب الدولة و تغيير نظام الحكم المتهم بالظلم، وهؤلاء كانوا صيدًا سمينًا لابن سبأ فاستغل السخط الذى ملأ قلوبهم لتحقيق هدفه الشرير

ثالثًا: عندما بدأت هذه الفتنة كان معظم ولاة الأقاليم من قريش، بل من بنى أمية أهل عثمان، وأقربائه، مما سهل على ابن سبأ مهمته فى إشعال نار الفتنة، و الحق أن هؤلاء الولاة، و هم معاوية بن أبى سفيان والى الشام، و عبد الله بن سعد بن أبى السرح والى مصر، وعبد الله بن عامر والى البصرة، والوليد بن عقبة والى الكوفة، كانوا من خيرة الولاة، وممن أسهموا فى تثبيت الفتوحات الإسلامية بعد استشهاد عمر، وممن مارسوا الحكم قبل خلافة عثمان، بل إن معاوية بن أبى سفيان كان واليًا على الشام من عهد أبى بكر الصديق. ومن ثم لم يولِّهم عثمان لهوى فى نفسه، أو لأنهم من أقربائه، بل ولاهم لكفايتهم ومقدرتهم الإدارية

ومما يؤسف له أن بعض الكتاب الكبار صوَّروا الأمر على غير ما تقتضيه الحقيقة التاريخية، وكأن عثمان بن عفان أتى بهؤلاء الولاة من قارعة الطريق، وعينهم على الولايات الكبيرة، وحملهم على رقاب الناس؛ لأنهم أقرباؤه فحسب. ويذهب بعضهم إلى تصوير أمر استعفاء عمرو بن العاص من إمارة مصر بناء على طلبه على أنه عزل من عثمان ليعين مكانه أخاه من الرضاعة عبد الله بن سعد، ولا يذكر شيئًا مما يعرضه مؤرخو مصر الإسلامية كابن عبد الحكم و الكندى، من أن عبد الله بن سعد كان واليًا على صعيد مصر من قبل عمر بن الخطاب، فلما تولى عثمان بن عفان الخلافة طلب منه عمرو بن العاص أن يخصه وحده بإمارة مصر كلها، فرفض عثمان، فاعتزل عمرو الولاية بناء على طلبه، ولم يعزله عثمان بن عفان

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

رابعًا: أن من أبناء البلاد المفتوحة وبخاصة بلاد فارس، من لم يسترح إلى سيادة العرب عليهم، وسيطرتهم على بلادهم، هم الذين كانوا بالأمس يحتقرونهم وينظرون إليهم فى استعلاء، فعزَّ على أنفسهم ذلك، فلم يتركوا فرصة لزعزعة الدولة الإسلامية إلا و انتهزوها، خاصة من لم يتمكن الإسلام فى قلوبهم منهم، وهؤلاء كان لهم دور فى إثارة الفتنة على عثمان، واستمر حتى آخر العصر الأموى

خامسًا: أن كل ما تقدم كان يمكن تداركه وعلاجه، بل إن عثمان - رضى الله عنه – حاول إجابة كل مطالب الثائرين عليه والمؤلبين للناس ضده، لكنهم لم يقتنعوا؛ لأن الخليفة لان معهم وحلُم عليهم أكثر مما كان ينبغى، ولو أخذهم بالشدة والحزم كما كان يفعل عمر بن الخطاب مع أمثالهم لارتدعوا، ولحُسمت الفتنة.

عبدالله بن سبأ

هو رجل يهودى من صنعاء ادعى الإسلام فى عهد عثمان، وأخذ يبث فى المسلمين أفكارًا غريبة وبعيدة عن الإسلام، مثل قوله بالوصية أى أن على بن أبى طالب، هو وصى النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده، ومعنى ذلك أن الخلفاء الثلاثة، أبا بكر وعمر وعثمان اغتصبوا حق على فى الخلافة

وبدأ ابن سبأ من هذه النقطة، مستغلا كل الأطراف التى سبق الحديث عنها، ووضع للثائرين والناقمين على اختلاف مشاربهم وأهدافهم خطة للتحرك ضد الخليفة وولاته، وأشار عليهم بالنيل من الولاة أولا؛ لما كان يعرف أن عثمان نفسه فوق الشبهات، حتى إذا نجحوا فى تشويه سمعة الولاة، انتقلوا إلى عثمان باعتباره المسئول الأول عنهم، ومما قاله لأتباعه: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصى رسول الله – يقصد عليًّا – فانهضوا فى هذا الأمر فحركوه، وابدءوا بالطعن فى أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، تستميلوا الناس أخذ ابن سبأ يتنقل بهذا التدبير الشيطانى بين الأقاليم من البصرة إلى الكوفة إلى الشام إلى مصر، يبث أفكاره وسمومه، وكانت خطته بالغة الإحكام، جعلت أتباعه ينجحون فى زرع الشكوك فى نفوس الصحابة فى المدينة، مثل على بن أبى طالب، و الزبير بن العوام، و طلحة بن عبيد الله، والسيدة عائشة – رضى الله عنها – وهؤلاء كلهم كانت تصلهم معلومات كاذبة عن ظلم ولاة الأقاليم، لكنهم صدقوها للأسف، ولم يتبينوا كذبها إلا بعد فوات الأوان، و بعد أن وقعت الواقعة، وقتل الخليفة الثالث مظلومًا.

موقف عثمان من الفتنة

لما سمع عثمان بن عفان ما يقال عن ولاة أقاليمه جمع أهل المدينة، وقال لهم: أشيروا على، فأشاروا عليه أن يرسل رجالا إلى الأقاليم للتحقيق فيما وصله من كلام عنهم، كما كان يفعل عمر بن الخطاب، فاستجاب على الفور، وحدد أربعة من الصحابة من غير بنى أمية – حتى لا يتهمهم أحد بالتحيز للولاة - للقيام بما كلفهم به، فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وعمار بن ياسر إلى مصر، وعاد الثلاثة الأول إلى المدينة، وقدموا تقارير للخليفة بأن الأمور تجرى على خير وجه، وأن الشكاوى التى تصل إلى المدينة كلها باطلة، ولا أساس لها من الصحة؛ وأن الولاة يقومون بعملهم خير قيام، أما عمار بن ياسر فلم يعد من مصر، لأنه لما وصل إليها، تصادف وجود ابن سبأ فيها، فاستقطبه للأسف وضمه إلى صفه،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ما جعل الأمر يستفحل ويزداد خطرًا وبعد أن تبين بطلان مزاعم أتباع ابن سبأ، الذين ألبوا الناس على عثمان – وكلهم عرب مسلمون– لان لهم الخليفة، وعطف عليهم وحاول استرضاءهم بدلا من عقابهم وأخذهم بالشدة

ولما تهيأ الجو، ورأى زعماء الفتنة أن الفرصة سانحة للتخلص من الخليفة، خرجوا إلى المدينة على رأس وفود أهل مصر و البصرة و الكوفة، وكانوا نحو عشرة آلاف متظاهرين بالحج، مخفين نياتهم الخبيثة عن عامة الناس، الذين شكوا إلى الخليفة من تصرفات لولاتهم لا يرضونها، فوعدهم خيرًا، وأمرهم بالعودة إلى

أمصارهم، فرضوا لما رأوه من سماحته وعطفه، وعادوا. أما زعماء الفتنة من أمثال: الأشتر النخعى، و عمرو بن الأصم، و حرقوص بن زهير السعدى، و الغافقى بن حرب، فقد ساءهم عودة عامة الناس الذين لا علم لهم بالمؤامرة، وسُقِطَ فى أيديهم، وعزموا على قتل الخليفة أو عزله، فتخلفوا فى المدينة، وزوَّروا كتابًا، ادعوا كذبًا أنهم وجدوه مع غلام من غلمان عثمان، موجه إلى عبد الله بن سعد والى مصر يأمره فيه بقتل بعض الثائرين وتعذيب بعضهم الآخر

عاد الثائرون من الطريق بهذا الكتاب، فعرضوه على على بن أبى طالب، فأدرك أنه مزور، لأن الذين ادعوا أنهم وجدوه هم أهل مصر، ولكنهم عندما عادوا عادوا جميعًا، أهل مصر والكوفة والبصرة، مع أن طرقهم مختلفة، فعودتهم فى وقت واحد، تدل على أن الأمر مدبر، فقال لهم على: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وطريقكم مختلف وقد سرتم على مراحل ؟! هذا والله أمر أبرم بالمدينة

ولما علموا أن أمرهم قد ظهر، وخطتهم انكشفت، قالوا لعلى: ضعوه حيث شئتم – أى الكتاب مصممين على كذبهم – لاحاجة بنا إلى هذا الرجل، ليعتزلنا، ولا شك أن هذا تسليم منهم بأن قصة الكتاب مختلقة، وأن غرضهم الأول والأخير هو خلع أمير المؤمنين أو سفك دمه، الذى عصمه الله بشريعة الإسلام.

محاصرة بيت الخليفة وقتله

تشبث الأشرار بهذا الكتاب المزور، ولم يستجيبوا لنصح الصحابة بالرجوع إلى بلادهم؛ لأن الخليفة لم يرتكب خطأ يستحق عليه العقاب، فحاصروه فى بيته، ولم تكن هناك قوة تدافع عنه، فقد رفض عرضًا من معاوية بن أبى سفيان بالذهاب معه إلى الشام، وكره أن يغادر جوار رسول الله كما رفض أن يرسل معاوية إليه جندًا من الشام لحمايته، لأنه كره أن يضيق على أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيش يضايقهم فى معاشهم و لما رأى على بن أبى طالب والزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله وغيرهم الحصار المضروب على بيت الخليفة؛ أرسلوا أبناءهم لحراسته، لكنه رفض ذلك أيضًا، وأقسم عليهم بما له من حق الطاعة عليهم أن يذهبوا إلى بيوتهم ويغمدوا سيوفهم، لأنه أدرك أن أبناء الصحابة وهم عدد قليل، إن تصدوا لهؤلاء الأشرار – وكانوا زهاء عشرة آلاف – فقد يقتلونهم جميعًا، فآثر سلامتهم وحقن دماءهم، ولعله كان يفكر أن الثوار إذا قتلوه هو فستنتهى المشكلة، فرأى أن يضحى بنفسه، حقنًا للدماء، ولم يدر أن دمه الطاهر الذى سيُسفك، كان مقدمة لبحور من دماء المسلمين، سالت بعد ذلك نتيجة مقتله امتثل أبناء الصحابة لأمره، وعادوا إلى بيوتهم، لكنه طلب منهم ماء للشرب، بعد أن منعه الثوار عنه، وهو الذى اشترى للمسلمين بئر رومة ووهبها لهم، بناء على طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بشره بنهر عظيم فى الجنة .وكانت أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان أول المغيثين لعثمان، لكنها لم تستطع أن توصل الماء إليه لأن الثوار منعوها، وأساءوا معها الأدب وسبوها، ولم يراعوا لها حرمة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لما فعلوا بأم حبيبة ذلك، ذهب إليهم على بن أبي طالب – رضى الله عنهم – وقال لهم: إن الذى تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، ل اتقطعوا عن الرجل المادة الطعام والشراب فإن الروم و فارس لتأسر فتطعم و تسقى، و ما تعرض لكم هذا الرجل، فبم تستحلون حصره وقتله ؟! قالوا: لا والله ولا نعمة عين – يعنى ولا قطرة ماء تصله – لا نتركه يأكل ويشرب وبعد ذلك اقتحموا على الخليفة داره اقتحامًا، متسلقين من دور مجاورة، وقتلوه وهو صائم يقرأ القرآن، وروعوا الأمة الإسلامية فى إمامها، الذى كانت تستحى منه الملائكة، والذى بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وتنبأ له بالشهادة، وكان استشهاده فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ٣٥هـقُتِل عثمان بن عفان مظلومًا لم يرتكب ذنبًا أو يقترف جرمًا يستحق به أن يرفع هؤلاء الأشرار أصواتهم عليه ولو كان كل ما رموه به من تُهم صحيحًا – مع أنه باطل وملفق – ما أباح لهم قتله، ولكنه الحقد الأسود و الأفكار الهدامة، التى زرعها ابن سبأ فى نفوسهم وعقولهم، جعلهم يرون فضائله وإنجازاته تهمًا وجرائم، فاتهموه –مثلا – بأنه تخلف عن بيعة الرضوان فى الحديبية، مع أنهم يعلمون أنه عندئذٍ كان فى مكة سفيرًا للرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بمهمة اعتذر عنها عمر بن الخطاب لخطورتها، وناب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عن عثمان فى البيعة، فكانت بيعة عن عثمان أفضل من بيعة الصحابة لأنفسهم، كما اعتبروا جمعه للقرآن فى مصحف واحد جريمة، مع أنه أعظم أعماله باعتراف الصحابة أنفسهم وقد وصف أبو بكر بن العربى قتلة عثمان وصفًا صادقًا، فقال : وأمثل ما روى فى قصته – أى عثمان – أنه بالقضاء السابق، تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها، ممن طلب أمرًا فلم يصل إليه،أو حسد حسادة أظهر داءها، و حمله على ذلك قلة دين، وضعف يقين، وإيثار العاجلة على الآجلة، وإذا نظرت إليهم دلك صريح ذكرهم على دناءة قلوبهم، و بطلان أمرهم وقد لا يصدق بعض الناس أن رجلا واحدًا هو عبد الله بن سبأ يستطيع أن يفسد أمر أمة بكاملها، مهما تبلغ قدراته، بل وصل الأمر ببعضهم إلى إنكار وجوده أصلا، ولكن الواقع أن ابن سبأ كان موجودًا ووجوده حقيقة، وهو كأى متآمر خبيث يتمتع بقدر كبير من الدهاء و المكر، مكنه من أن يستميل إلى صفه صحابيين جليلين هما أبو ذر الغفارى و عمار بن ياسر، وأن يستغل كل الساخطين من أبناء العرب الطامعين فى الوظائف، بالإضافة إلى الحاقدين من أبناء البلاد المفتوحة، الذين سقطت دولهم، وبادت عروشهم، وخلق من ذلك كله .

خلافة على بن أبى طالب ٣٥-٤٠ هـ

نسبه ونشأته

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهى أول هاشمية ولدت هاشميًا، وقد أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وتربى فى بيته، لأن أباه كان كثير العيال قليل المال، فأراد النبي أن يخفف عن عمه أعباء المعيشة، فأخذ عليًا ليعيش معه فى بيته، وكان عمره يومئذٍ ست سنوات، فشاءت إرادة الله أن ينشأ على فى بيت النبوة، فوقاه الله أرجاس الجاهلية، فلم يسجد لصنم قط، وكان أول من أسلم من الصبيان

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

كان على بن أبى طالب ربعة من الرجال، يميل إلى القصر، أسمر اللون، حسن الوجه واسع العينين، أصلع الرأس، عريض المنكبين، غزير اللحية، قوى الجسم عُرف على بن أبى طالب بالشجاعة والعلم الغزير، والزهد فى الدنيا مع القدرة عليها، وكان واحدًا ممن حفظوا القرآن كله من الصحابة، وعرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أكثرهم معرفة بالقرآن و بتفسيره وأسباب نزوله، و أحكامه، و كان من كتاب الوحى، و لذا اختص فى سيرته بلقب الإمام لأفضليته العلمية والفقهية، وكان أقضى الصحابة رضى الله عنهم جميعًا، واشتهر بالفصاحة والخطابة وقوة الحجة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد تآخى الرسول صلى الله عليه وسلم مع على بعد الهجرة، ثم زوجه ابنته فاطمة، وأنجب منها الحسن والحسين، وهما اللذان حفظا نسل الرسول صلى الله عليه وسلم شهد على المشاهد كلها –عدا تبوك – مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان فى طليعة من صرعوا المشركين فى بدر، وواحداً من الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد، وحمل اللواء عندما سقط من يد مصعب بن عمير بعد استشهاده، حمله بيده اليسرى، وظل يقاتل بيده اليمنى، وصرع فى غزوة الخندق عمرو بن عبد ود فارس قريش والعرب كلها عندما لم يقدم أحد على مبارزته وأعطاه الرسول صلى الله عليه و سلم الراية يوم خيبر، و قال: لأعطين اللواء غدًا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وأخبر أن الفتح سيكون على يديه، وتحقق ذلك، وثبت مع من ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فى حنين

وفى غزوة تبوك خلفه النبي صلى الله عليه وسلم فى أهله يرعى مصالحهم وشئونهم، ولما تأذى من ذلك، وقال: يا رسول الله، تخلفنى فى النساء والصبيان؟!، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبى بعدى ؟، إشارة من النبي إلى أن موسى عندما ذهب لمناجاة ربه، ترك أخاه هارون، خلفًا له فى قومه، كما جاء فى قوله تعالى : [وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين] الأعراف: ١٤٢ وكان رضى الله عنه موضع ثقة واحترام من الصحابة جميعًا، فكان من أكبر أعوان أبى بكر الصديق فى قمع حروب الردة، ولازم عمر بن الخطاب، فكان لا يقطع أمرًا دون مشاورته، والاستنارة برأيه، وكان عمر يقول :قضية و لا أبا حسن لها. و عاون عثمان بالرأى والمشورة مثلما كان يفعل مع أبى بكر وعمر، فلم يحجب عنه نصحه ومؤازرته فى الفتنة التى أطبقت على الأمة، وأرسل أولاده مع بقية أولاد الصحابة لحراسته والدفاع عنه، ثم ذهب بنفسه لمواجهة الأشرار.

بيعته بالخلافة

رُوِّعت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضى الله عنه – وعم الناس الهلع والرعب، لهذه الجريمة التى أقدم عليها هؤلاء الأشرار سيطر الثائرون على المدينة، وظل الغافقى بن حرب زعيم ثوار مصر، وأحد كبار زعماء الفتنة يصلى بالناس إمامًا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أيام، والدولة كلها بدون خليفة، ولم يكن فى وسع أحد من الثوار أن يرشح نفسه لها، لأنهم يعلمون أن هذا الأمر يخص المهاجرين وحدهم وبدأ الثائرون يعرضون منصب الخلافة على كبار الصحابة: على بن أبى طالب، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص، و الزبير بن العوام، وعبدا لله بن عمر بن الخطاب، فرفضوا جميعًا، وسماهم على بن أبى طالب الثائرين ولعنهم على فعلتهم الشنعاء، فهددهم الثائرون بقتلهم جميعًا كما قتلوا عثمان إن لم يقبل أحدهم منصب الخلافة وفى مثل هذه الظروف العصيبة كان لابد من رجل شجاع غير هياب، يتقدم الصفوف

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

مل الأمانة وسط الأخطار المحدقة بها، واتجهت الأنظار إلى على بن أبى طالب، وتعلقت به الآمال، ترجو تحمل المسئولية، وقيادة الركب إلى بر الأمان، وألح عليه كبار الصحابة إلحاحًا شديدًا لتولى المنصب الشاغر، منصب الخلافة الجليل، فقبل تجشم تبعاتها فى هذه الظروف الدقيقة، وكان قبوله لها ضربًا من ضروب الفروسية والشجاعة، والاحتساب عند الله، والنزول على رغبة كبار الصحابة كان على بن أبى طالب هو أول خليفة يخطب قبل البيعة، وكانت خطبة قصيرة، أشهد الله عليهم، وأشهدهم على أنفسهم أنهم هم الذين ألحوا عليه تقبل أمرٍ كان له كارهًا، لتبعاته ومسئولياته، فلما وافقوا بايعوه، ولهذا كان عليه أن يخطب مرة أخرى خطبة يوضح فيها أسلوبه فى الحكم، فقال: إن الله أنزل كتابًا هاديًا، بين فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض الفرائض أدوها إلى الله تعالى يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حرمات غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل دم امرئ مسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن من خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباد الله فى بلاده وعباده، إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله فلا تعصوه [واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض.[الأنفال٢٦ خطبة قصيرة مناسبة للمقام وللظرف الذى قيلت فيه، فقد بدأها بالتذكير بالله، وحث المسلمين على عمل الخير وتجنب الشر، وحذرهم حرمات الله والوقوع فيها، وأهمها حرمة دم المسلم، ولعله بذلك يعرض بقتلة عثمان ويحدد موقفه من هذه الفعلة الشنعاء، وأنه لن يتساهل فى القصاص منهم، وإقامة الحد عليهم.

على والقرارات الصعبة

تمت بيعة على بن أبى طالب فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى الحجة سنة ٣٥ هـ فاستقبل بخلافته عام ٣٦هـ، وكان عليه أن يواجه الموقف العصيب، الذى نتج عن استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، باتخاذ قرارات صعبة تجاه عدد من المعضلات، التى كان أولها -القصاص من قتلة عثمان – رضى الله عنه - وكان ذلك مطلب الصحابة، ففى أول يوم من خلافته ذهب إليه طلحة والزبير، وطالباه بإقامة الحد على القتلة، وكان هو مقتنعًا بذلك، ولذلك قال لهما: يا إخوتاه إنى لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ؟ هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم –أى يعيشون بينكم يسومونكم ما شاءوا – أى يسيطرون عليكم – فهل ترون موضعًا لقدرة على شىء مما تريدون ؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيًا ترونه أبدًا ويتضح من هذا أن على بن أبى طالب لم يكن أقل من غيره حرصًا على إقامة الحد على قتلة عثمان، و لكن الظرف الذى هم فيه لا يمكنه من ذلك، فإذا كان الذين نفذوا القتل فى عثمان عددًا محدودًا، و هم الغافقى بن حرب، ومعه سودان بن حمران وكنانة بن بشر التجيبى، فإن وراءهم نحو عشرة آلاف من الثوار الذين ضللوهم، وهم مستعدون للدفاع عنهم، ولذلك عندما كانوا يسمعون قائلا يقول: من قتل عثمان ؟ كان هؤلاء جميعًا يصيحون :نحن جميعًا قتلناه، ولذا كان رأى الإمام التريث حتى تهدأ الأمور، ويعود الناس إلى بلادهم، حتى يتمكن من التحقيق فى الأمر وإقامة الحد، وقد اقتنع الصحابة بهذا الحل، لكن الأمور تطورت تطورًا آخر على غير ما يهوى الجميع -وتغيير كل ولاة عثمان على الولايات الكبرى: مصر والشام، والكوفة، والبصرة حتى تهدأ الفتنة. وقد اتخذ على بالفعل قرارًا بذلك، فعزل معاوية بن أبى سفيان عن الشام، وعين بدلا منه سهل بن حنيف، وعزل عبد الله بن سعد بن أبى السرح عن مصر وعين بدلا منه قيس بن سعد بن عبادة، وعزل عبد الله بن عامر عن البصرة وعين بدلا منه عثمان بن حنيف، وعزل أبا موسى الأشعرى عن الكوفة، وعين بدلا منه

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عمارة بن شهاب وهذا القرار الخطير راجعه فيه أقرب الناس وأخلصهم له، ابن عمه عبد الله بن عباس، ونص بالانتظار فترة ولو لمدة سنة، لتكون الأمور قد هدأت واستقرت، ويتم التغيير فى ظرف مناسب، لكن الإمام أصر على تنفيذ قراره محتجًا بأن هؤلاء الثوار ثاروا غضبًا من ولاة عثمان، سواء أكانوا مخطئين أم مصيبين، ولن تهدأ ثورتهم إلا إذا عُزِلوا وإزاء إصرار علي – رضى الله عنه – على تنفيذ قراره، اقترح ابن عباس أمرًا آخر، بأن يعزل من يشاء من الولاة، ويُبقى معاوية على ولاية الشام، وكان اقتراحًا ذكيًا وجيهًا، فمعاوية لم يكن موضع شكوى أحد من رعيته، ولم يشترك أهل الشام فى الثورة على عثمان وقتله، وعلى هذا فلو أقره عليّ فى ولاية الشام، فلن يلومه أحد، وكان ابن عباس يعرف من ناحية أخرى أن معاوية لن يذعن لقرار العزل، و سيبقى فى لايته، مسببًا متاعب كثيرة، ومع هذا صمم الإمام على بن أبي طالب على عزل ولاة عثمان جميعًا بما فيهم معاوية بدأ الولاة الجدد يتجهون إلى ولاياتهم لمباشرة أعمالهم، فذهب قيس بن سعد إلى مصر، ودخلها بدون متاعب؛ لأن واليها القديم عبدا لله بن سعد تركها منذ علمه بمقتل عثمان، وذهب إلى فلسطين، واعتزل الفتنة، وبقى هناك حتى مات فى مدينة عسقلان سنة ٣٧هـ وكذلك دخل عثمان بن حنيف البصرة، وتولى شئونها بدون مشاكل؛ لأن واليها عبد الله بن عامر كان قد تركها وذهب إلى مكة أما عمارة بن شهاب فلم يمكنه أهل الكوفة من دخولها، وتمسكوا بواليهم أبى موسى الأشعرى، فوافق الإمام على على ذلك، وأقر عليهم أبا موسى الأشعرى وكذلك لم يستطع سهل بن حنيف دخول الشام، فقد منعه معاوية بن أبى سفيان، رافضًا قرار العزل. وهنا لم يعامل الإمام على الشام معاملة الكوفة، فإنه رفض إقرار معاوية فى ولاية الشام، مع أن تمسك أهلها به كان أشد من تمسك أهل الكوفة بأبى موسى الأشعرى.

بين على ومعاوية

دارت مراسلات عديدة بين على ومعاوية – رضى الله عنهما – يطلب الأول من الآخر مبايعته بالخلافة، والإذعان لأوامره، باعتباره الخليفة الشرعى الذى بايعه معظم الصحابة فى المدينة، على حين يطلب الثانى من الأول القصاص من قتلة عثمان، باعتباره ولى دمه، لأنه ابن عمه، وبعدها ينظر فى بيعته ولم تكن وجهة نظر الإمام فى قضية القصاص رافضة، لكنه كان يرغب فى تأجيلها حتى تتهيأ الظروف المناسبة، ولكن معاوية تمسك بالقصاص أولا، وجعله شرطًا لازمًا يسبق البيعة ولما لم تؤد الاتصالات بينهما إلى نتيجة، وصلت رسالة من معاوية إلى على تتضمن جملة واحدة، هى: من معاوية إلى على، بعثها معاوية بيضاء مع رجل يدعى قبيصة من بنى عبس، وأمره أن يدخل بها المدينة، رافعًا يده حتى يراها الناس، ويعلموا أن معاوية لم يبايع عليًّا، إذ يخاطبه باسمه فقط دون أن يصفه بأمير المؤمنين

وأدرك علىٌّ رضى الله عنه– أن حمل معاوية على البيعة سلمًا غير ممكن، فأخذ يعد العدة لحمله على البيعة بالقوة، باعتباره خارجًا على طاعة الخليفة، على الرغم من أن كثيرين نصحوه بعدم اللجوء إلى الحرب لعواقبها الوخيمة، ومن بينهم ابنه الحسن لكن الإمام على أصر على موقفه، وبينما هو يستعد لذلك، جاءته أخبار أخرى مفزعة من مكة، تخبره بمسير عائشة وجماعتها إلى البصرة.

موقعة الجمل ٣٦هـ

كانت أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – عائدة من أداء فريضة الحج، وسمعت بمقتل عثمان، فعادت من الطريق إلى مكة، وأعلنت سخطها على قتله، وأخذت تردد قُتل والله عثمان مظلومًا لأطلبن بدمه، ثم وافاها فى

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ة طلحة و الزبير – رضى الله عنهما – وبنو أمية، وكل من أغضبه مقتل عثمان، وراحوا يتباحثون في الأمر، وهداهم تفكيرهم إلى تجهيز جيش للأخذ بالثأر من قتلة عثمان والسير به إلى البصرة، باعتبارها أقرب بلد إليهم من البلاد التى اشترك أهلها فى الثورة على عثمان وقتله، وكان هذا اجتهادًا منهم مجانبًا للصواب، لأنهم بهذا العمل كأنهم أقاموا حكومة أخرى غير حكومة الإمام، المبايع شرعًا من الأمة، والمنوط به وحده إقامة الحدود والقصاص من القتلة، وربما كان الأفضل من هذا أن يتوجهوا إلى المدينة، ليشدوا من أزر الخليفة فى هذا الوقت العصيب الذى تمر الأمة به، ويتشاوروا معه فى إيجاد طريقة لحل المشكلات التى تواجهها الأمة

و صلت أخبار سير عائشة ومن معها إلى على وهو يتأهب للخروج إلى الشام لقتال معاوية، فاضطر إلى تغيير خطته، فلم يعد ممكنًا أن يذهب إلى الشام، ويترك هؤلاء يذهبون إلى البصرة، فاستعد للذهاب إلى هناك خرجت السيدة عائشة – رضى الله عنها – ومعها فى البداية نحو ألف رجل لكن هذا العدد تضاعف عدة مرات، بانضمام كثيرين إلى الجيش، نظرًا إلى مكانة عائشة، فلما اقتربوا من البصرة، أرسل واليها عثمان بن حنيف إلى أم المؤمنين عائشة رسولين من عنده، هما عمران بن حصين وأبو الأسود الدؤلى يسألانها عن سبب مجيئها. فقالت لهما: إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحدثوا فيه الأحداث وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا لعنة الله ورسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين، بلا ترة ولا عذر، فخرجت فى المسلمين، أعلمهم ما أتى هؤلاء

و كذلك سأل الرسولان طلحة و الزبير – رضى الله عنهما – عن سبب مجيئهما، فقالا: الطلب بدم عثمان، فرجع الرجلان وأخبرا عثمان بن حنيف، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ! دارت رحى الإسلام و رب الكعبة، وأصرَّ على منعهم من دخول البصرة، فدارت بينه وبينهم معركة عند مكان يُسمى الزابوقة قُتل فيها نحو ستمائة من الفريقين، فلما رأوا كثرة القتلى تنادوا إلى الصلح والكف عن القتال، وانتظار قدوم الإمام على إلى البصرة، و تم الصلح على أن يتركوا للوالى دار الإمارة والمسجد وبيت المال، ويتزلوا هم فى أى مكان بالبصرة.

وصول على إلى البصرة

وصل على إلى البصرة وعلم بما حدث من سفك الدماء و هاله ذلك، فأرسل على الفور القعقاع بن عمرو التميمى إلى معسكر عائشة و طلحة و الزبير، ليعرف ماذا يريدون، فقالت عائشة رضى الله عنها –: خرجنا لنصلح بين الناس، وكذلك قال طلحة و الزبير، فسألهم ما وجه الإصلاح الذى تريدون، قالوا :قتلة عثمان، قال: لقد قتلتم ستمائة من قتلة عثمان، فغضب لهم ستة آلاف من قبائلهم، وكنتم قبل ذلك أقرب إلى السلامة منكم الآن، قالوا: فماذا ترى أنت ؟، قال: أرى أن هذا الأمر دواؤه التسكين، واقترح عليهم تجديد البيعة لعلى، ومقابلته، والتفكير بعد ذلك فيما يصلح المسلمين، فقبلوا ومعنى ذلك أن الجميع كانوا راغبين، فى الإصلاح، كل على حسب اجتهاده، لكن عناصر الشر التى كانت ل اتزال فى معسكر على هى التى أفسدت السعى الذى قام به القعقاع

أتباع ابن سبأ يفسدون الصلح ويبدءون المعركة

كانت نقطة الضعف التى فى معسكر الإمام على هى وجود كثيرين ممن اشتركوا فى قتل عثمان والتخطيط له، وعلى رأسهم عبد الله

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ن سبأ، و الأشتر النخعي، ولم يكن لعلي حيلة في وجودهم معه، ولا قدرة على إبعادهم، لكونهم قوة كبيرة تساندهم عصبات قبلية، و قد أدرك زعماؤهم الذين تولوا كبر الثورة على عثمان أن الصلح بين الفريقين سيجعل عليًّا يتقوى بانضمام الفريق الآخر إليه، ويقيم الحد عليهم باعتبارهم قتلة عثمان، فعزموا على إفساد الأمر كله

و ترتب على هذا العزم أن عقد ابن سبأ لهم مؤتمرًا تدارسوا فيه الأمر، فاقترح الأشتر أن يقتلوا عليًا كما قتلوا عثمان من قبل، فنهيج الدنيا من جديد، ولا يقدر عليهم أحد، لكن هذا الاقتراح لم يعجب ابن سبأ، فهو يريد أن يدخل الأمة كلها في حرب طاحنة، لا أن يقتل فرد واحد وإن كان خليفة المسلمين، فأمرهم بشن هجوم في ظلام الليل على جيش عائشة و طلحة و الزبير، بدون علم الإمام علي، فاستجابوا لرأيه، وبينما الناس نائمون مطمئنون بعد أن رأوا بوادر الصلح تلوح في الأفق، إذا بهم يفاجئون بقعقعة السلاح، وكانت هذه هي بداية حرب الجمل المشئومة التي راح ضحيتها خيرة الصحابة طلحة والزبير المبشران بالجنة، ونحو عشرين ألفًا من المسلمين.

أسباب خروج عائشة ومن معها

لم تكن أم المؤمنين عائشة، و لا طلحة و لا الزبير ولا أمير المؤمنين على يريدون سفك الدماء، و لا يتصورون حدوث ذلك، و كل ما دفع السيدة عائشة ومن معها إلى الخروج إنما هو اقتناعهم بأن عثمان قُتل مظلومًا، وعليهم تقع مسئولية إقامة الحد على قتلته، ولم يكونوا أبدًا معادين لعلي، أو معترضين على خلافته، وقد رأينا ميلهم جميعًا إلى الصلح، لولا أن أتباع ابن سبأ السبئية أفسدوا كل شيء وأشعلوا الحرب، و لقد ندمت السيدة عائشة ندمًا شديدًا على ما حدث، و قالت: والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة

وخلاصة القول أن تبعة هذه المأساة تقع على عاتق السبئية، فهم الذين أشعلوا الفتنة من البداية، وقتلوا خليفة المسلمين ظلمًا، وأشعلوا حرب الجمل، أما الصحابة، فقد وصف ابن خلدون موقفهم وصفًا دقيقًا، فقال: وإذا نظرت بعين الإنصاف عذرت القوم أجمعين، وعلمت أنها كانت فتنة ابتلى الله بها الأمة.

معركة صفين

بعد معركة الجمل توجه علي ابن أبي طالب بجيش يبلغ عدده نحو مائة ألف إلى صفين، واستعد معاوية لمقابلته بجيش يقاربه في العدد، ودارت بينهما معركة شرسة في شهر صفر سنة ٣٧هـ قُتِل فيها من الجانبين نحو سبعين ألفًا، خمسة وعشرين ألفًا من جيش علي، وخمسة وأربعين ألفًا من جيش معاوية، و لما رأى الناس كثرة القتلى من الجانبين تنادوا يطلبون وقف القتال، فجعل أهل العراق جيش علي يصيحون في أهل الشام جيش معاوية قائلين: من لثغور العراق إن فني أهل العراق. ويرد الآخرون: من لثغور الشام إن فني أهل الشام ومن هنا جاءت فكرة التحكيم.

التحكيم

رفع جيش معاوية المصاحف للاحتكام إليها، ووقف القتال فورًا، بدلا من سفك الدماء، وكانت فكرة التحكيم من عند عمرو بن العاص، و قد قبلها الطرفان، و أوقفت الحرب، بعد أن فزع الناس لكثرة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

د القتلى أوقفت الحرب، وطلب من على ومعاوية أن ينيب كل منهما شخصًا يتفاوض باسمه، للفصل فى القضايا محل الخلاف، فأناب معاوية عمرو بن العاص، وأناب على أبا موسى الأشعرى على كره منه وذلك فى شهر صفر٣٧ هـ وكان على قد حاول أن ينيب عنه عبد الله بن عباس، لكن أنصاره، وبخاصة من أبناء اليمن بزعامة الأشعث بن قيس، رفضوا ذلك بحجة عصبية، وأعلنوها صراحة، كيف يكون الخلاف بين رجلين من قريش، ثم يكون الحكمان رجلين من قريش أيضًا، لقد حسدوا قريشًا على زعامتها للدولة الإسلامية التى استحقتها بسابقتها فى الإسلام، لا بنسبها فقط. واتفق على أن يأخذ الطرفان مهلة مدتها ستة أشهر، تهدأ فيها النفوس، ويجتمع الحكمان للتباحث والوصول إلى حل، وبعد مفاوضات طويلة وصل الحكمان إلى نتيجة رأياها أفضل الحلول، وهى عزل على –رضى الله عنه– عن الخلافة، ورد الأمر إلى الأمة تختار من تشاء، أما التصرف العملى فى إدارة البلاد التى كانت تحت يد كل من الرجلين المتحاربين، فيبقى كما كان: على يتصرف فى البلاد التى تحت حكمه وهى كل الدولة الإسلامية عدا الشام ومعاوية يتصرف فى البلاد التى تحت حكمه الشام.

موقف على وأنصاره من التحكيم

اجتهد الحكمان فيما توصلا إليه، وأعلناه على الناس، غير أن عليًّا – رضى الله عنه – لم يقبل تلك النتيجة، واعتبر الحكمين قد تجاوزا حدودهما؛ لأن الخلاف لم يكن على منصب الخلافة، وإنما على إقامة الحد على قتلة عثمان، وبيعة معاوية له، أيهما يسبق الآخر، ولذلك عدَّ نفسه فى حل من هذه النتيجة، فعادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل التحكيم، أى إلى حالة الحرب.

ظهور الخوارج

حاول على أن يدعو أنصاره إلى حرب معاوية من جديد لكنهم كانوا قد ملوا القتال، وتقاعسوا عنه، بل إنهم انقسموا إلى شيعة وافقوه على ما صنع وخوارج اعتبروا التحكيم كان خاطئًا من أساسه، مع أنهم هم الذين فرضوه عليه، ثم تجاوزوا ذلك إلى ما هو أكثر تطرفًا، فاتهموا عليًّا بالكفر، لأنه حكَّم الرجال فى القرآن، وصاغوا شعارًا أخذوا يرددونه الحكم لله لا لك يا على، وكان هو يقول لهم: كلمة حق أريد بها باطل، وطالبوه بأن يعلن كفره، ويتوب ويسلم من جديد، حتى يعودوا إليه ويقاتلوا معه، فإذا لم يفعل فسوف يقاتلونه ولا يمكن لمسلم أن يتصور كيف يُكفِّر رجل من صحابة رسول الله المبشرين بالجنة، وممن رضى الله عنهم تحت الشجرة فى بيعة الرضوان، وإزاء هذا التطرف من الخوارج اضطر الإمام أن يحاربهم فى معركة شهيرة تُسمى معركة النهروان بالقرب من الكوفة، وبعدها لم يستطع أن يجمع شمل أنصاره لقتال معاوية من جديد كما كان يريد، بل أجبرته الظروف على التفاهم والاتفاق معه.

الاتفاق بين على ومعاوية

بعد انقسام جبهة على إلى شيعة وخوارج ازداد موقفه ضعفًا؛ لأن صراعه مع الخوارج كبده متاعب جسيمة، وفى الوقت نفسه كان موقف معاوية يزداد قوة، وبخاصة بعد أن استطاع الاستيلاء على مصر سنة ٣٨هـ، بجيش قاده فاتحها الأول عمرو بن العاص، ونشر قوات له فى أطراف العراق، وضم اليمن إليه، و أصبحت دولته تتسع بمرور الزمن، فى الوقت الذى تضيق فيه دولة على وانتهى الأمر بأن جرت بينهما مفاوضات طويلة، اتفقا على وضع الحرب بينهما وتكون لعلى العراق وبلاد فارس ولمعاوية الشام فلا يدخل أحدهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ارة.. وتراضيا على ذلك.. وهكذا أجبرت الظروف التى تكون أحيانًا أقوى من الرجال على بن أبى طالب ا يصالح معاوية، ويسلم له بنصف الدولة الإسلامية تقريبًا، يحكمها حكمًا مستقلا، وهو الذى رفض فى بادئ الأمر إبقاءه واليًا على الشام وحدها يأتمر بأمره، وينتهى بنهيه

إدارة الدولة وتثبيت الفتوحات فى عهده

على الرغم من الظروف الصعبة التى واجهت الإمام عليًّا -رضى الله عنه- فإنه أدار الدولة باقتدار وعدالة ونزاهة وتجرد، ولم يقصر فى شأن من شئونها، واتخذ من الكوفة عاصمة لدولته منذ أن خرج من المدينة إلى البصرة وبعد معركة الجمل، وظل يحكم منها إلى أن لقى الله، وعهد بإدارة بقية أجزاء دولته إلى أقرب الناس إليه، وأخلصهم له، فجعل عبد الله بن عباس واليًا على البصرة وأخاه عبيد الله بن عباس واليًا على اليمن، وأخاهما الثالث قثم بن عباس على مكة والطائف، وعزل قيس بن سعد عن مصر، وولى مكانه محمد بن أبى بكر الصديق ولا لوم على عثمان وعلى إذا وليا أهل قرابتهما؛ لأن كل واحد منهما اجتهد لمصلحة الأمة، وكان أمينًا عليها، فعهد بإدارة الدولة إلى من رأى أنهم ينفذون سياسته، ولم يولِّ أى منهما أحدًا محاباة أو لقرابة ولم تشغل الإمام عليًّا مشكلات الدولة الداخلية عن التصدى لمحاولات الانتقاض التى حدثت فى بلاد فارس، فقد حاول الفرس تكرار ما فعلوه بعد استشهاد عمر بن الخطاب، فأرسل إليهم زياد بن أبيه فى جمع كثير، فوطئ بهم أهل فارس، وكانت قد اضطرمت، فلم يزل يبعث إلى رءوسهم، يعد من ينصره ويعينه، ويخوّف من امتنع عليه، وضرب بعضهم ببعض، فدل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة، فقتل بعضهم بعضًا، وصفت له فارس، فلم يلقَ منهم جمعًا ولا حربًا

أما الروم فلم يتحركوا؛ لأن الإمبراطور قنسطانز لما عرض عليه بعض قواده أن ينتهزوا فرصة الحروب التى جرت بين على وأصحاب الجمل، وبينه وبين معاوية، ويغيروا من جديد على مصر والشام، رفض الإمبراطور معللا ذلك بأن غزوه لمصر والشام سيجعل المسلمين يتصالحون ويتحدون ويقاتلوننا جميعًا، ولن نقوى عليهم، فخير لنا أن نتركهم يقتل بعضهم بعضًا حتى يضعف شأنهم

استشهاد على رضى الله عنه

جاءت نهاية الإمام على بن أبى طالب على يد الخوارج، أنصاره السابقين، الذين بلغ بهم الغلو والتطرف حدًا اعتبروا فيه عليًّا ومعاوية وعمرو بن العاص أئمة ضلالة، وحمّلوهم مسئولية ما حدث، وقرروا قتل الثلاثة جميعًا، واتفقوا أن يتم التنفيذ فى وقت واحد، هو فجر اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ؛ تيمنًا بذكرى معركة بدر حسب تصور نفوسهم المريضة وعقولهم الفاسدة، وانتدبوا ثلاثة للقيام بهذه المهمة، هم عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، و عمرو بن بكر، على أن يذهب الأول إلى الكوفة لقتل على، و الثانى إلى دمشق لقتل معاوية، والثالث إلى مصر لقتل عمرو بن العاص

وشاءت إرادة الله – تعالى – أن ينجو معاوية و عمرو من القتل، و أن تكون الشهادة من نصيب على، حيث ضربه عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم فى جبهته، فشقها فمات من أثر الضربة بعد وقت يسير، بعد أن قضى أربع سنوات وبضعة شهور، لم يذق فيها طعم الراحة، وحاصرته المشكلات والمتاعب، وأنهكته الحروب من كل جانب.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وبعد وفاة الإمام على بايع أنصاره ابنه الحسن، وكان جندب بن عبد الله قد دخل على الخليفة بعد طعنه وتيقن ألا أمل فى حياته، وسأله: يا أمير المؤمنين إن فقدناك – ولا نفقدك – أنبايع للحسن ؟ فقال: ما آمركم و لا أنهاكم، أنتم أبصر، ولم يوصِ لأحد من بعده، بل قال لهم: و لكن أدعو الله - تعالى- أن يجمعكم بعدى على خيركم كما جمعنا بعد نبينا على خيرنا –يقصد أبا بكر–، مرسخًا بذلك قاعدة الشورى التى اتُبِعَت فى بيعته هو وبيعة الثلاثة الراشدين من قبله

أراد أنصار الحسن أن يتأهبوا لقتال معاوية من جديد، لكنه رفض، ورأى عدم جدوى ذلك، بل إنه وقف ضد فكرة اقتتال المسلمين من البداية راسل الحسن معاوية بشأن الصلح، فسر به سرورًا عظيمًا، وجاء إلى الكوفة فى شهر ربيع الأول سنة ٤١هـ، بعد ستة أشهر من خلافة الحسن، وبايعه الحسن والحسين، وتبعهما الناس، وبهذا قامت الدولة الأموية رسميًّا، وأصبح معاوية خليفة للأمة الإسلامية كلها، ولُقب لأول مرة بأمير المؤمنين، وكان يلقب قبل ذلك بالأمير فقط استبشر المسلمون خيرًا بتلك المصالحة، وحمدوا الله على انتهاء الفتنة وسفك الدماء، وسُمُّوا ذلك العام عام الجماعة، وترك صنيع الحسن صدى طيبًا عند جمهور المسلمين، وأثنى عليه كثير من علماء أهل السنة، ورأوا فيما فعل تحقيقًا لنبوءة جده محمد صلى الله عليه وسلم، الذى قال ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

الخلافة الأموية وتطورها

قامت الخلافة الأموية رسميا في شهر ربيع الأول من سنة ٤١هـ، بعد أن تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب –رضى الله عنه –عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان –رضى الله عنه– وبايعه هو وأخوه الحسين، وتبعهما الناس في الكوفة، وأصبح بذلك معاوية خليفة للمسلمين وحده، ولُقِّب بأمير المؤمنين، وكان قبل ذلك يلقَّب بالأمير فقط. واستبشر المسلمون خيرًا بهذا التطور، وحمدوا الله – تعالي -علي انتهاء الفتن والحروب، وسمُّوا ذلك العام عام الجماعة؛ حيث عادت إلي الأمة الإسلامية وحدتها، واجتمع شملها علي خليفة واحد، بعد الفرقة والتراع، ولقي ما فعله الحسن بن علي كل تقدير وإجلال من جمهور المسلمين، وأثنى عليه كثير من العلماء، ورأوا فيما أقدم عليه تحقيقًا لنبوءة جده محمد حين قال: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين – صحيح البخاري.

تطور نظام الخلافة في العصر الأموي

عرفنا فيما سبق كيف قامت الخلافة الإسلامية عقب وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم وكيف كان يتم اختيار الخليفة في دولة الراشدين بالبيعة المباشرة من المسلمين لخليفتهم، بعد أن يرشحه عدد من الصحابة، كما حدث في خلافة الصديق، حيث بايعه عدد من الصحابة في سقيفة بني ساعدة بيعة خاصة، كانت بمثابة ترشيح له لمنصب الخلافة، ثم جاءت البيعة العامة له في مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم – بعد مواراة جسده الطاهر تحت الثرى لتزكى ذلك الترشيح وتوافق عليه، ومن ثم أصبح أبوبكر الصديق أول خليفة لرسول الله صلي الله عليه وسلم في حكم الدولة الإسلامية، باختيار حُر من المسلمين. وعندما مرض أبوبكر –رضى الله عنه – مرض الموت قال للمسلمين: إنه قد نزل بي ما ترون – يعنى المرض الشديد – ولا أظنني إلا ميِّتًا لما بي من المرض، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحلَّ عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمِّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم في حياة منِّى كان أجدر ألا تختلفوا بعدى. وتصرُّف أبي بكر الصديق دليل ساطع وبرهان قوى علي أن اختيار الحاكم من حق الأمة وحدها، لكن الصحابة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

فوضوه في اختيار خلف له، وألحُّوا عليه في ذلك، فقبل تكليفهم، ووقع اختياره علي عمر بن الخطاب –رضى الله عنه – لكفاءته وقدرته وسابقته في الإسلام، ولم يكتفِ الصديق باختياره هو لعمر بن الخطاب، بل استطلع آراء كبار الصحابة حول مرشحه، مع أنه مفوض من الصحابة في اختيار خليفة لهم، ويعلم بأن عمر هو أفضل الصحابة بعده، و أصلحهم لتولي الخلافة، لكنه آثر ألا ينفرد وحده باختيار خليفة له. ولما اطمأنت نفسه إلي أن الغالبية ممن شاورهم تؤيد اختيار عمر، جمع الناس حوله، وحدَّثهم قائلا: أترضون بمن أستخلف عليكم، فإني والله ما آلوت من جهد الرأي، ولا ولّيت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا ولم تنعقد بيعة عمر ليصبح خليفة إلا بعد وفاة أبي بكر، وبمبايعة الناس له بيعة عامة، ولو لم يرضَ الناس بترشيح أبي بكر، ورفضوا مبايعة عمر، ما كان لعهد أبي بكر الصديق عليهم حجة أو سلطان وجاء اختيار عثمان بن عفان – رضى الله عنه – ببيعة عامة حرَّة من بين الستة الذين رشحهم عمر بن الخطاب –رضى الله عنه – ليختاروا واحدًا منهم، وقد حصرها فيهم؛ لأنهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، والذين تُوفي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ ولما قُتل عثمان بن عفان شهيدًا، ألحَّ الصحابة علي علي بن أبي طالب أن يقبل الخلافة، بعد أن سادت الفوضى مدينة رسول الله صلي الله عليه وسلم، وامتنع كبار الصحابة عن قبول الخلافة، فقبل علي الخلافة؛ لينقذ الأمة من الفتن، وبايعه معظمهم، ولا جدال في أن قيام علي بالأمر في ذلك الوقت العصيب كان تضحية تنطوي علي شجاعة حيث تحمل المسئولية في أصعب الظروف وأدقها. وكان متوقعًا أن تنهي بيعته بالخلافة حالة الفوضى التي سادت البلاد بعد مقتل عثمان، لكن الأحداث تطورت سريعًا من سيئ إلي أسوأ، وانتهي به الحال أن قُتل شهيدًا، وقبل وفاته استشاره أصحابه في بيعة ابنه الحسن بعده، فقال لهم: لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر، لكنهم بايعوا الحسن، الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية كما ذكرنا وخلاصة ما سبق أن طريقة اختيار الخليفة في عهد الراشدين كانت تتم ببيعة حرة وعامة بعد ترشيح شخص أو أكثر، وأن ترشيح الخليفة السابق لم يكن ملزمًا للأمة، بل لها أن توافق أو تعترض، وهذا هو نظام الشورى في الإسلام الذي يشبه في مصطلحات العصر الحديث النظام الديمقراطي. ولم يفكر أي واحد من الخلفاء الراشدين في أن يعهد بالأمر إلي أحد من أبنائه أو أقربائه، حرصًا منهم علي إبعاد فكرة الوراثة عن نظام الحكم الإسلامي إبعادًا تاما، وقد وضَّح أبوبكر الصديق هذا المعنى عندما رشَّح عمر في قوله: أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإني والله ما آلوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، كما استبعد عمر بن الخطاب ابنه عبد الله تمامًا من الترشيح، بل استبعد ابن عمه سعيد بن زيد أيضًا من الترشيح مع أهل الشورى؛ دفعًا لشبهة القرابة مع أن الشروط تنطبق عليه.ولم يُؤثَر عن عثمان شيء من ذلك، وترك علي بن أبي طالب الأمر للأمة لاختيار من ترضاه، ورفض ترشيح ابنه الحسن للخلافة أو الوصاية له بالبيعة.

أسلوب اختيار الخليفة الأموي

لم يكن أحد يظن أن بيعة المسلمين لمعاوية بن أبي سفيان ستكون إيذانًا بتأسيس دولة أموية وراثية وكان المسلمون قد استبشروا خيرًا بهذه البيعة بعد فترة من الفتن والحروب، حتى إن بعض الصحابة الذين كانوا قد توقفوا في بيعة علي – رضى الله عنه – بايعوا معاوية، دعمًا لوحدة الأُمة ولمِّ شملها، مثل :سعد بن أبي وقاص عبد الله بن عمر. وربما توقَّع الناس أن معاوية سيحذو حذو من سبقه من الخلفاء الراشدين ويترك الأمر شورى للمسلمين، يختارون للخلافة من بعده من يرونه أهلا لتولي تبعات هذا المنصب الجليل، أو سيجتهد في اختيار شخص يراه أصلح الناس لتولي منصب الخلافة، ويكون بعيدًا عن قرابته كما فعل الخلفاء قبله، لكن معاوية فاجأ الأمة الإسلامية بترشيح ابنه يزيد للخلافة من بعده، وبدأ في أخذ البيعة له في حياته، بدعم من أهل الشام، ولما نجح في ذلك لم يكن صعبًا عليه أن ينتزع البيعة لابنه من بقية الأقطار الإسلامية، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى. ولم يعارض معاوية في خطواته هذه سوى أهل الحجاز، الذين رأوا في عمله خروجًا علي ما ألفه المسلمون في اختيار خليفتهم ببيعة حرة قائمة علي الشورى، وتركزت المعارضة في ثلاثة من أبناء كبار الصحابة، هم الحسين بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر. وقد تطورت معارضة الأولين إلي خروج الحسين علي يزيد بعد موت معاوية، واستشهاده في موقعة كربلاء المشهورة سنة ٦١هـ، وإلي دعوة عبد

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بن الزبير بالخلافة لنفسه بعد موت يزيد بن معاوية سنة ٦٤ه، ثم دخوله في صراع مع الأمويين، انتهي بمقتله سنة ٧٣ه، بعد دامت خلافته تسع سنوات، أمَّا عبد الله بن عمر، فقد بايع يزيد حفاظًا علي وحدة المسلمين، بعد أن رأي أن استمراره في معارضته لن يكون في مصلحة الأمة الإسلامية

وقد دافع عن عمل معاوية كثير من المؤرخين، و رأوا في صنيعه عملا ضروريا للحفاظ علي وحدة الأمة، واجتناب العودة إلي الحروب الأهلية، ويقف علي رأس هذا الفريق المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون مؤيِّدًا إقدام معاوية علي هذه الخطوة بقوله: والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس، واتفاق أهوائهم، باتفاق أهل الحل والعقد حينئذٍ من بنى أمية؛ إذ بنو أمية يومئذٍ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش –أي أكثرهم قوة– وأهل الحل أجمع، وأهل الغلب منهم، فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولي بها، وعدل عن الفاضل إلي المفضول؛ حرصًا علي الاتفاق واجتماع الأهواء، الذي شأنه أهم عند الشارع، لا يظن بمعاوية غير هذا، فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك، وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عليه، دليلٌ علي انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق، فإنهم كلهم أجلُّ من ذلك وعدالتهم مانعة. ويدعم ابن خلدون رأيه هذا بأن ولاية العهد من الخليفة القائم إلي شخص يتولى الخلافة بعده أمر جائز لا حرج فيه، فيقول: قد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة علي جوازه وانعقاده، إذ وقع من أبي بكر – رضى الله عنه – لعمر بن الخطاب بمحضر من الصحابة، وأجازوه وأوجبوا علي أنفسهم به طاعة عمر رضى الله عنه وعنهم وما قاله ابن خلدون يمكن الرد عليه بأن أبا بكر عهد إلي عمر؛ لأنه رآه أصلح الصحابة لتولي الخلافة بعده وتحمُّل تبعاتها،وقد كان كذلك بالفعل،ولم تكن تربطه به صلة قرابة قريبة، وقد أوضح ذلك بقوله: أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإني والله ما آلوت من جهد الرأي، ولا ولَّيت ذا قرابة، كما أن عمر لم يصبح خليفة بترشيح أبي بكر الصديق واختياره له فحسب، بل برضى المسلمين وبيعتهم له ولو أن معاوية عهد إلي أحدٍ غير ابنه، واجتهد في اختيار من هم أصلح للخلافة بعده، ما اعترض عليه أحد، ولحقَّق الغرض الذي قصده ابن خلدون من ولايةِ العهد، وهو سد أبواب الخلاف بين المسلمين، ومن ثم فإن الاعتراضات علي تصرف معاوية جاءت من اختياره ابنه لولاية العهد دون سواه، لا من فكرة ولاية العهد نفسها. وأياً ما كان الأمر فإن الخلافة حُصِرت في الأسرة الأموية، يتوارثها الأبناء والاخوة، ولم يكتفِ الخليفة منهم بتولية العهد لواحد فقط، بل درجوا علي تولية أكثر من ولي للعهد، وكان مروان بن الحكم مؤسس الفرع المروانِي أول من بدأ هذا التقليد، فقد عهد إلي ابنه عبد الملك ثم عبد العزيز بولاية العهد، وقد تابعه في هذا كل من جاء بعده حتى آخر دولتهم، وقد جرَّ هذا الأمر عليهم المتاعب، وأوقد نار الفتنة والصراع بين أبناء الأسرة الأموية، مما كان له أكبر الأثر في تدهور الدولة والإسراع بسقوطها في نهاية الأمر وعلي الرغم من استقرار الخلافة بنظام التوريث فإن الأمويين حافظوا علي نظام البيعة من حيث الشكل فكان الخليفة القائم يعهد من بعده بولاية الأمر إلي ابنه أو أخيه، ثم تؤخذ البيعة من الناس لمن صدر له كتاب العهد في حياة الخليفة القائم، ثم تجدد له بعد وفاته، ومغزى هذا أنهم كانوا علي يقين أن مجرد العهد ليس ملزمًا شرعًا للناس، بل لابد من البيعة العامة.

الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي

شهد العصر الأموي أوسع حركات الفتح الإسلامي وأكثرها نشاطًا في التاريخ الإسلامي كله بعد فتوحات الخلفاء الراشدين، التي شملت العراق وبلاد فارس كلها، ومصر والشام، ثم توقفت الفتوحات الإسلامية، أو كادت تتوقف بسبب الفتن والحروب الأهلية التي حدثت بين المسلمين وقد استأنف المسلمون فتوحاتهم بعد اجتماع شملهم علي معاوية بن أبي سفيان وتوحدهم تحت رايته في عام الجماعة سنة ٤١ه، وحقق الأمويون أعظم إنجازاتهم علي الإطلاق في ذلك الميدان العظيم، وامتدت فتوحاتهم إلي مناطق عديدة في قارات العالم القديم آسيا – إفريقيا – أوربا ففتحوا في عهد الوليد بن عبد الملك بلاد ما وراء النهر آسيا الوسطى وإقليم السند في شبه القارة الهندية، واستكملوا فتح الشمال الإفريقي كله من حدود مصر الغربية إلي المحيط الأطلسي، ثم عبروا مضيق جبل طارق إلي

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لقارة الأوربية، ليفتحوا الأندلس، وجنوبي فرنسا، كما استولوا علي معظم الجزر في شرقي البحر المتوسط وشرقيه وجنوبيه، ثم واصلوا ضغطهم علي مدينة القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية، وحاصروها أكثر من مرَّة

التيارات والأحزاب السياسية والدينية

شغلت الدولة الأموية في التاريخ الإسلامي إحدى وتسعين سنة ١٣٢٤١ - ٥، وامتدت حدودها من حدود الصين شرقًا إلي الأندلس غربًا، ومن بحر قزوين شمالا إلي المحيط الهندي جنوبًا، وعمل خلفاؤها في جد ومثابرة وحسن سياسة علي نشر الإسلام في تلك الرقعة الكبيرة، ونمت الحضارة الإسلامية ونهضت في عهدهم. وهذه الأعمال تشهد للأمويين بدورهم البارز في التاريخ الإسلامي، وتخفف كثيرًا من النقد الذي وجه إليهم، ومما يزيد المرء إعجابًا وتقديرًا لإنجازهم أنهم قاموا بتلك الأعمال الجليلة، وهم يصارعون أعداء أشداء من تيارات وأحزاب سياسية ودينية، لم يتركوا فرصة للثورة عليهم إلا انتهزوها. من تلك الأحزاب من تذرَّع بالدين يحارب به، ويتَّهم بني أمية بالخروج علي الدين وقواعده، وأنهم مغتصبون للسلطة، كالخوارج والشيعة. وهناك شخصيات أعلنت التمرد والثورة علي بني أمية لأهداف شخصية، ولتحقيق طموحات ذاتية، والوصول إلي الحكم بأي ثمن، مثل المختار بن أبي عبيد الثقفي، وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ويزيد بن المهلب

الخوارج

كان الخوارج من أنصار علي بن أبي طالب، وشهدوا معه معركتي الجمل وصفين، ثم انشقوا عليه لما قبل التحكيم بينه وبين معاوية، فسمَوا الخوارج، لخروجهم علي إمامهم، ولما بالغوا وتطرَّفوا في عدائهم له، وعاثوا في الأرض فسادًا، اضطر إلي مقاتلتهم في معركة النهروان، ثم عادوا بني أمية ودخلوا في صراع طويل معهم. وكانوا في مبدأ أمرهم فرقة واحدة، يدور خلافهم مع بقية الأمة حول الخلافة ومَن أحق بها، ومجمل أمرهم أن الخلافة حق لمن يصلح لها من المسلمين، وتتوافر فيه شروطها من العلم والأمانة والشجاعة، وليس من الضروري أن يكون عربيا فضلا عن أن يكون قرشيا. ولو أنهم حصروا خلافهم مع غيرهم في جدل وحوار نظري يقوم علي مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل لما كان في الأمر شيء ولكن الخطر كل الخطر جاء من لجوئهم إلي العنف واستخدام السيف في فرض آرائهم، وقد بدأ مع علي بن أبي طالب مما جعل خصومهم يواجهون القوة بالقوة، وتكبَّدت الأمة الإسلامية عشرات الآلاف من الضحايا من أبنائها نتيجة هذه الخصومة العنيفة. وظل الخوارج فرقة واحدة، تتبنَّى أفكارًا ومبادئ واحدة حتى وفاة يزيد بن معاوية سنة ٥٦٤، ثم بدأ الشقاق والخلاف يدب بينهم هم أنفسهم، فانقسموا فرقًا وأحزابًا، حتى وصل عددهم إلي ثلاثين فرقة، ثم تطور تفكيرهم بمرور الزمن، وبدءوا يخوضون في قضايا تدخل في صلب الدين، مثل مباحثهم في مرتكب الكبيرة هل مؤمن أو كافر، وغير ذلك من القضايا، وأشهر فرق الخوارج التي ناصبت الدولة الأموية العداء وشنت عليها الحرب، هي:

الأزارقة

هم أتباع نافع بن الأزرق، أحد زعماء الخوارج الكبار، وهي تعد أشد فرق الخوارج تطرفًا في أفكارها السياسية والدينية، فهي ترى الخروج علي الخليفة الذي يخالفها في آرائها وقتاله، وأتباعها يتبرءون ممن لا يوافقهم علي ذلك، ويَعدُّونهم من القاعدين، ويكفرون مرتكب الذنوب الكبيرة ويحكمون بخلوده في النار، مخالفين في ذلك صريح القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالي: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء النساء: من ٤٨ . ويبيحون دماء مخالفيهم في الرأي.

النجدات

وينسبون إلي نجدة بن عامر، وهم أقل تطرفًا من الأزارقة؛ لأنهم لا يقولون بكفر مرتكب الكبائر.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وينسبون إلي زعيمهم بيهس، وهم أقل تطرفًا من الأزارقة، و يرون أن مخالفيهم في الرأي منافقون، تجرى عليهم أحكام المنافقين، لكنهم يجيزون حوارهم، والتزاوج معهم، وميراثهم.

الصفرية

أتباع زياد بن الأصفر، وهم كذلك أقل تطرفًا من الأزارقة، ومعتدلون في أفكارهم.

الشيعة

تعنى كلمة الشيعة: الأهل والأتباع والأنصار، كما في قوله - تعالي، في معرض حديثه عن موسى، عليه السلام –: فاستغاثه الذي من شيعته علي الذي من عدوه . القصص: من ١٥ و كل قوم اجتمعوا علي أمر فهم شيعة، بعضهم لبعض، غير أن هذه الكلمة أصبحت علمًا علي أنصار علي بن أبي طالب –رضى الله عنه – وذريته من بعده، فإذا قيل: إن فلانًا من الشيعة، عُرف أنه منهم، أو قيل: في مذهب الشيعة كذا، أي :عندهم

وقد نشأ التشيع بسيطًا في أول الأمر ثم تطور بمضي الزمن، وأصبح مذهبًا دينيا وسياسيا، كما كان أتباعه فرقة واحدة، شأنهم في ذلك شأن الخوارج، ثم لم يلبثوا أن تفرعوا إلي فرق، مثل الإمامية الاثنا عشرية، والزيدية والإسماعيلية .ويخالف رأي الشيعة في الخلافة جمهور الأمة الإسلامية التي ترى أن الخلافة أمر من الأمور العامة، يفوض للأمة أمر البت في شأنها، وتختار من تراه الأصلح لدينها ودنياها لتولي منصب الخلافة. أمَّا هم فيرون أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلي الأمة، بل هي ركن من أركان الإسلام، لا يجوز للنبي صلي الله عليه وسلم إغفاله، ولا تفويض الأمة فيه، بل يجب عليه تعيين الإمام للأمة بعده، وأن الإمام لابد أن يكون معصومًا من الكبائر والصغائر، ويزعمون أن النبي صلي الله عليه وسلم فعل ذلك، وعيَّن علي بن أبي طالب، وقد تعددت ثوراتهم المسلحة ضد الدولة الأموية طلبًا للخلافة.

انتشار الإسلام في العصر الأموي

امتدت الفتوحات الإسلامية من حدود الصين إلي الأندلس، ومن بحر قزوين إلي المحيط الهندي، وأدخلت في الدولة الإسلامية شعوبًا كثيرة، مختلفة في الديانات والمذاهب واللغات والأجناس والثقافات والعادات والتقاليد، ولم تكن تلك الفتوحات غزوا عسكريا مستغلا للشعوب ناهبًا لثرواتها، وإنما كان فتحًا دينيا وثقافيا ولغويا، فانتشر الإسلام في البلاد المفتوحة بخطى حثيثة، وتغيرت أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

ويمكن القول: إن هذا العالم الفسيح أصبح عالمًا إسلاميا واحدًا، فسيادة المسلمين عليه لا تنازع، والإسلام هو الدين الغالب في سماحة ورحمة، والحاكم في عدل، ولم تأخذ المسلمين نشوة النصر والغلبة، التي قد تحملهم علي الكبر والتعالي وإذلال الشعوب المغلوبة، بل عاملوهم معاملة كريمة، وصانوا أرواحهم وأموالهم وعقائدهم، وحفظوا عهودهم ومواثيقهم معهم، ووفوا بها في صدق وإخلاص، وأشركوا أبناءهم في حكم بلادهم وإدارتها.

عوامل انتشار الإسلام

أولا عالمية الإسلام

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لا جدال في أن الإسلام دين عالمي، ورسالته للجنس البشرى كله؛ لقوله تعالي مخاطبًا نبيَّه صلي الله عليه وسلم: {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا. النبأ: ٢٨. وقال تعالي: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الأعراف: ١٥٨. وقال النبي صلي الله عليه وسلم: {إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؛ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين صحيح البخاري

وليس معنى عالمية الإسلام أن يُنشَر بالقوة وبحد السيف، كما يزعم أعداء الإسلام، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمر النبي صلي الله عليه وسلم

ثانيًا: التسامح

تعامل المسلمون الفاتحون مع أبناء الشعوب المفتوحة بتسامح ورحمة، وقد شهد بذلك غير المسلمين، فيقول جوستاف لوبون: لم يعرف التاريخ فاتحًا أرضى من العرب. وليس أدل علي وجود هذه السياسة المتسامحة من رد أبي عبيدة بن الجراح الجزية التي أخذها من أهل حمص إليهم، حين اضطر إلي الانسحاب من حمص للدفاع عن دمشق، ولما سألوه في دهشة عن سبب ذلك، قال لهم إنما رددنا عليكم أموالكم، لأنه بلغنا ما جُمِع لنا من الجموع – يقصد الروم الذين تجمَّعوا للهجوم علي دمشق– وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنَّ لا نقدر على ذلك، فرددنا عليكم ما أخذنا منكم. فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا لحاكمنا فيه من الظلم والغشم –يقصدون الحكم البيزنطي– وردَّكم الله إلينا سالمين، والله لو كانوا هم ما ردُّوا علينا شيئًا

ثالثًا: إشراك أبناء البلاد المفتوحة في إدارة بلادهم

أدرك المسلمون أن سير الأمور في البلاد المفتوحة سيرًا حسنًا، وتحقيق مصالح أهلها يكمُن في الأسلوب الإداري الذي سيتبعونه في إدارة البلاد، ومن ثم لم يترددوا في الاحتفاظ بالنظم الإدارية التي وجدوها في البلاد سواء التي كانت تابعة للدولة البيزنطية مثل مصر والشام وشمالي إفريقيا، أو التي كانت تابعة للفرس، مثل العراق وبلاد فارس نفسها، ولم يكتفُ بذلك، بل طوروا من النظم ما يرونه ضروريا، ليتفق مع دينهم ونظامهم السياسي والاجتماعي القائم علي أسس من الشريعة الإسلامية، وما يحقق الصالح العام للدولة وللأمة

وكان عمر بن الخطاب هو أول من سنَّ هذه السنة، فاقتبس نظام الدواوين، الذي يشبه نظام الوزارات في الدولة الحديثة من النظم الفارسية والبيزنطية، ولم يجد غضاضة في ذلك. ولم يقف المسلمون عند حد الاستفادة من النظم الإدارية التي وجدوها في البلاد المفتوحة، بل أبقوا أيضًا علي الجهاز الإداري الذي يسيِّر العمل، واحتفظوا لأنفسهم بالمناصب العليا كالإمارة، وقيادة الجيش والقضاء والشرطة. وإزاء هذه السياسة كان المجال رحبًا أمام أبناء البلاد المفتوحة الذين لم يعتنقوا الإسلام للوصول إلي المناصب العليا في الجهاز الإداري، التي كانوا محرومين من توليها في ظل الحكومات السابقة علي الفتح الإسلامي، علي حين كان الطريق مفتوحًا لمن يسلم منهم للوصول إلي مناصب الإمارة أو قيادة الجيوش، مثل طارق بن زياد الذي كان من أصل بربري، لكنه صار من كبار الفاتحين، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: إن روح الإسلام الحقَّة هي التي حفَّزت العرب إلي اتباع سياسة التسامح الديني نحو المصريين أي أن الأقباط أصبحوا يتمتعون بحرية تامة في الدين، كما أصبح لهم نصيب كبير في إدارة بلادهم ولم يقتصر القبط علي الأعمال الإدارية الصغيرة، بل شقوا طريقهم إلي أعمال لها خطورتها، ففي ولاية عبد العزيز بن مروان علي مصر ٦٥ – ٨٥ه كان هناك كاتبان قبطيان لإدارة مصر، واحد لمصر العليا – الصعيد – والآخر لمصر السفلي– الدلتا - بل أكثر من ذلك فقد تولي ولاية الصعيد والٍ قبطي اسمه بطرس كما كان حاكم مريوط قبطيا اسمه تاوناس. ولم يحدث هذا في مصر وحدها بل كان ذلك في البلاد المفتوحة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ها، ففي الشام – مقر الدولة الأموية – بقى أهم الدواوين وأخطرها، وهو ديوان الخراج - الذي يمثل وزارة المالية في الوقت الحاضر – في أيدي المسيحيين من أسرة سرجيوس الرومي

ونتيجة لهذه السياسة شعر أهل الذمة – اليهود والنصارى – بالأمان والاطمئنان، فأقبلوا علي اعتناق الإسلام في حرية تامة ودون إكراه

رابعا: الأوضاع الدينية في البلاد المفتوحة

أقبل كثير من أبناء البلاد المفتوحة علي اعتناق الإسلام لبساطته وملاءمته للفطرة الإنسانية، ولعدم اقتناعهم بالأديان التي كانت سائدة في بلادهم، ومعظمها كانت ديانات وضعية وثنية كالزرادشتية، والبوذية، والمانوية والمزدكية، حتى اليهودية والنصرانية دخلها الزيف والتحريف والتعقيد، وأصبحت كل منهما تستعصي علي الفهم. يقول أحد الباحثين المسيحيين: ومن المرجح أن تأثير المسيحية في السواد الأعظم من شعب مصر كان قليلا في القرن السابع – عند الفتح الإسلامي لها– وأن التعليقات النظرية التي استغلها زعماؤهم في إثارة شعور الكراهية والمقاومة في وجه الحكومة البيزنطية، كان يمكن أن يدركها عدد قليل جدا من الناس، كما أن سرعة انتشار الإسلام قد تكون راجعة إلي عجز ديانة كالديانة المسيحية، وعدم صلاحيتها للبقاء، أكثر من أن تكون راجعة إلي الجهود الظاهرة التي قام بها الفاتحون لجذب الآهلين إلي الإسلام

خامسًا: أثر سياسة الدولة الأموية في انتشار الإسلام

حافظ الأمويون علي روح التسامح الإسلامي في سياستهم للبلاد المفتوحة إلي حد كبير، فالتزموا بنصوص المعاهدات وروحها التي أعطيت لأهالي تلك البلاد، فلم ينكثوا عهدًا أو ينقضوا معاهدة، وإذا حدث شيء من هذا فإن الدولة تسارع بتصحيح الخطأ، ولم تذكر المصادر التاريخية سوى حدث واحد من هذا القبيل وقع في العصر الأموي، حين نقض قتيبة بن مسلم عهده مع أهل سمرقند، وكان قد دخل مدينتهم بناءً علي اتفاق معهم علي أن يخرج منها بعد أن يبنى فيها مسجدًا، لكنه لم يخرج منها ناقضًا اتفاقه معهم، فشكوا إلي عمر بن عبد العزيز، فأمر الوالي بأن يحقق في المسألة بإنصاف، فحكم القاضي المسلم بإخراج المسلمين من سمرقند، وأن ينابزوا أهلها علي سواء، فكرهوا القتال، وأقروا المسلمين علي البقاء فيها، وأسعدهم هذا المسلك من الحكومة الإسلامية التي لم تفرق بين المسلم وغير المسلم في العدل، فأقبلوا علي اعتناق الإسلام.

انتشار الإسلام في الشام

كان معظم سكان الشام عند الفتح الإسلامي من العرب الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام بعدة قرون، وأقاموا هناك ممالك وإمارات، وإلي جانب هؤلاء كانت هناك أقليات من اليهود والأرمن المسيحيين، والروم، والأكراد. وقد وقف عرب الشام في بداية الفتوحات الإسلامية في عهد الراشدين مع الروم ضد أبناء عمومتهم العرب الفاتحين، ظنا منهم أنهم جاءوا إلي الشام لمزاحمتهم فيه، وأخذ أرضهم وأموالهم، لكنهم حين فطنوا إلي أهداف المسلمين الرفيعة ورسالتهم السامية، القائمة علي العدل والحرية والمساواة، اطمأنت نفوسهم إلي الإسلام، وأَنسوا إلي جانب المسلمين، وبخاصة بعد انتهاء المعارك ووضوح نتائجها، وزوال سلطان الروم عنهم. وقد أدَّى ذلك إلي مشاركة عرب الشام عربَ الجزيرة في عقيدتهم ومثلهم وتطلعهم للحياة، وبخاصة أنهم وجدوا أبواب العمل في الدولة الإسلامية مفتوحة أمامهم، فمن أسلم أصبح منهم، وربما تدفعه مواهبه إلي الصفوف الأولي مع كبار القادة العظام، مثل حسان بن النعمان الذي كان ينتمي إلي الأسرة الحاكمة في الشام عند الفتح الإسلامي، ومن بقى علي مسيحيته شارك في ميادين العمل الإداري والماليوكان نشر الإسلام في الشام موضع عناية المسلمين وهدفهم، منذ الخطوات الأولي للفتح، فقد أرسل يزيد بن

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بي سفيان إلي عمر بن الخطاب يطلب معلمين من الصحابة، يعلمون الناس شرائع الإسلام ويقرئونهم القرآن، فبعث إليه عددًا من كبار الصحابة، منهم: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، رضى الله عنهم، وبدأت القبائل العربية التي كانت تقطن الشام قبل الفتح الإسلامي تقبل علي الإسلام عن اختيار وفي حرية تامة، فأسلمت أغلبية قبيلة الغساسنة كبرى القبائل العربية في الشام، وكانت لها دولة تبسط سلطانها علي جنوبي سوريا، وشرقي الأردن، وكذا قبائل لخم وجذام وكلب ولم يقتصر الدخول في الإسلام علي القبائل العربية بل اعتنق الإسلامَ كثيرٌ من المسيحيين غير العرب؛ كالأرمن والروم، لما فيه من بساطة وسماحة، بالقياس إلي المسيحية التي تحولت إلي طلاسم وألغاز وجدل عقيم. ويذكر توماس آرنولد أن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية كان نتيجة شعور بالاستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهللينية إلي اللاهو ت المسيحي، لأنها أحالت تعاليم المسيح – عليه السلام – البسيطة السامية إلي عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلي خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها، فلما أهلَّت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية التي اختلطت بالغش والزيف، وتمزَّقت بفعل الانقسامات الداخلية، قادرة علي مقاومة إغراء الدين الجديد – الإسلام – الذي بدَّد بضربة واحدة من ضارباته كل الشكوك التافهة، وقدَّم مزايا مادية جديدة إلي جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل، وحينئذٍ ترك الشرق المسيح، وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب. وكان من الطبيعي أن يكون حجم انتشار الإسلام في الشام كبيرًا، لقربه من الحجاز مترل الوحي، ووفود كثير من الصحابة إليه في الفتوحات وبعدها، وإقامتهم فيه، وإقامة كثير من أفراد جيوش الفتح الوافدة من الجزيرة العربية في الشام ولما قامت الدولة الأموية سنة ٤١ هـ واتخذت من دمشق عاصمة لها، اتسع نطاق انتشار الإسلام بين القبائل العربية، وأصبح الشام قطرًا عربيا إسلاميا خالصًا، يعيش فيه بعض الأقليات المسيحية واليهودية في حرية وأمان.

انتشار الإسلام في مصر

فُتحت مصر في عهد عمر بن الخطاب، ومنذ الأيام الأولي للفتح أقبل بعض المسيحيين علي الدخول في الإسلام بحرية تامة وحتى قبل تمام الفتح، فقد كتب يوحنا النقيوسي – وهو رجل دين مسيحي كان قريبًا من حوادث الفتح أن بعض المصريين تركوا الدين المسيحي وأسلموا، وصحبوا جيوش العرب أثناء الفتح، كان منهم يوحنا أحد رهبان دير سيناء. واستمرت حركة الدخول في الإسلام في زيادة مطردة، فدخل علي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أربعة وعشرون ألفًا منهم الإسلام دفعة واحدة سنة ١٠٨ هـ ولم يكن دخول الإسلام مقصورًا علي طبقة بعينها، بل دخل فيه ناس من كل الطبقات، كما اعتنقه كثير من الروم الذين بقوا في مصر بعد الفتح الإسلامي. وباستمرار دخول المسيحيين في مصر في الإسلام أصبح أغلبية السكان مسلمين، وتعلموا اللغة العربية، وأصبحت مصر بلدًا عربيا إسلاميا، وبقى بعض الأقباط علي دينهم حتى الآن، وهذا دليل سماحة الإسلام، وآية علي أن من اعتنق الإسلام منهم اعتنقه عن رضى واقتناع ودون إكراه، فلو أكره الفاتحون المسلمون الأقباط علي ترك دينهم والدخول في الإسلام؛ لما بقى مسيحي واحد في مصر. وكان دور المسلمين في جذب المسيحيين وغيرهم دور الداعي إلي دينه بالحكمة والموعظة الحسنة، والقدوة الطيبة، بالإضافة إلي جو الحرية وسريان روح الرحمة والتسامح الذي أشاعه الخلفاء والحكام والأمراء، ولم يعد المسلمون أنفسهم طبقة متميزة علي أهل البلاد، وإنما اختلطوا بهم وتعايشوا معهم وصاهروهم، وعاملوهم بتقدير واحترام، خاصة أن النبي أوصى المسلمين خيرًا بأهل مصر حين يفتحونها، فإن لهم ذمة ورحمًا، فهاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم، وكذلك مارية القبطية التي تزوجها النبي صلي الله عليه وسلم وأنجب منها إبراهيم.

انتشار الإسلام في شمالي إفريقيا

تشمل منطقة شمالي إفريقيا المنطقة التي تمتد من حدود مصر العربية حتى شاطئ المحيط الأطلنطي، وهي من أكثر المناطق التي أرهقت المسلمين في فتحها، الذي استغرق نحو سبعين سنة، وذلك بسبب المقاومة العنيدة التي لقيها المسلمون من سكان البلاد، ومعظمهم من

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ربر الذين يعتزون بحريتهم وكرامتهم. وكانت مقاومتهم الشديدة للفتح ترجع إلي جهلهم بطبيعة الإسلام وأهدافه ومبادئه، و
أن الفاتحين كغيرهم من الغزاة، جاءوا لاستغلال بلادهم والاستيلاء علي خيراتها، فلما فهموا الإسلام وما يحمله من عزة وكرامة، واحتكوا بالفاتحين المسلمين وسماحتهم ورحمتهم أقبلوا علي الإسلام بحماس لا نظير له، وحملوا رايته، وجاهدوا في سبيله، وشاركوا في فتوحاته، فكان لهم في فتح الأندلس بلاءٌ حسن. وعلي الرغم من طول أمد فتح شمالي إفريقيا؛ بسبب المقاومة العنيدة التي أبداها السكان فإن استجابتهم للإسلام واعتناقهم له كان أسرع وأوسع انتشارًا مما حدث في بلاد المشرق الأسبق فتحًا مثل العراق والشام ومصر وقد بدأ السكان يقبلون علي الإسلام منذ فتح عمرو بن العاص برقة في عهد عمر بن الخطاب، وظل هؤلاء متمسكين بإسلامهم علي الرغم من توقف الفتوحات فترة طويلة؛ بسبب الفتن الداخلية في الدولة، بدليل وجود كثير من أهل البلاد في جيش عقبة بن نافع، عندما أسند إليه معاوية قيادة جيش الفتح في شمالي إفريقيا، كما أسلم علي يدي عقبة في تلك الفترة أعداد كبيرة. ثم خطا الإسلام في المغرب خطوات واسعة، وسعى سعياً حثيثًا في عهد أبي المهاجر دينار؛ لحسن سياسته التي جذبت ملك البربر كسيلة إلي الإسلام، وأسلم بإسلامه أعداد هائلة، وكان أبو المهاجر يبني مسجدًا في كل مدينة يفتحها، ويعمل علي امتزاج العرب الفاتحين بأهالي البلاد؛ ليكون لذلك أثره في تعليمهم الدين واللغة العربية. ثم كان ظهور حسان بن النعمان ومن بعده موسى بن نصير في شماليّ إفريقيا من عوامل التمكين للإسلام في البلاد؛ فاستطاع حسان أن يقضى علي الوجود البيزنطي قضاءً تاما، ثم علي مقاومة الكاهنة التي تزعمت البلاد بعد مقتل كسيلة. والعجيب أن هذه المرأة العنيدة وهي تخوض معركتها الأخيرة مع حسان، أوصت أبناءها بالانضمام إليه واعتناق الإسلام إن هي هزمت في الحرب، فلما حدث ذلك أسلم أبناؤها، وعيَّنهم حسَّان أمراء علي قبائلهم، وأسلم بإسلامهم اثنا عشر ألف رجل دفعة واحدة. وأمَّا موسى بن نصير فقد ركز اهتمامه علي نشر الإسلام بين السكان، وكان يأمر جنده العرب بتعليم البربر المسلمين في جيشه القرآن الكريم، وتفقيههم في الدين، كما ترك بين قبائل المصامدة سبعة عشر رجلا من العرب ليقوموا بالغرض نفسه. وكان لعمر بن عبد العزيز أثر كبير في نشر الإسلام بالمغرب، فقد أرسل عشرة رجال من الصالحين التابعين إلي هناك، ليعلموا الناس الدين، فتوافد عليهم الناس من أنحاء البلاد كلها، ليتلقوا عنهم أمور دينهم ومن المعروف أن المسيحية قد دخلت شمالي إفريقيا منذ القرون الأولي لميلاد السيد المسيح، عليه السلام، وبخاصة في منطقة الساحل المطلة علي البحر المتوسط في حين بقيت المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل علي وثنيتها.

انتشار الإسلام في الأندلس

لَّما فتح المسلمون الأندلس في أواخر القرن الهجري الأول ٩٥٩٢ - ٥ كانت ديانة معظم السكان هي المسيحية الكاثوليكية، بالإضافة إلي جالية يهو دية كبيرة وبعض الوثنيين، ثم بدأت أعداد كبيرة منهم تعتنق الإسلام، يأتي في مقدمتهم طبقة الرقيق التي وجدت في الإسلام نجاتها وخلاصها من الظلم والاضطهاد الذي كانت تعانيه تحت حكم القوط ولم تكن طبقة الرقيق وحدها هي التي أسرعت إلي اعتناق الإسلام، بل اعتنقه كثير من الوثنيين وأشراف المسيحيين، بالإضافة إلي أعداد كبيرة من الطبقات الوسطى والدنيا، بل إن بعض القساوسة اعتنق الإسلام، مثل تيود سكلوس الذي كان رئيس أساقفة إشبيلية وقد حدث ذلك كله في السنوات الأولي، التي أعقبت الفتح الإسلامي مباشرة، دون إكراه من المسلمين لإجبار أهل الأندلس وحملهم علي الإسلام حملا، بل أقبلوا عليه عن رضى واقتناع تام، ساعد علي ذلك بساطة الإسلام وبعده عن التعقيدات الكهنوتية التي حفلت بها ديانتهم، واختلاط المسلمين الفاتحين بأهل البلاد ومصاهرتهم، و قد فعل ذلك أعداد كبيرة من المسلمين، حتى الأمراء منهم، فقد تزوج عبد العزيز بن موسى بن نصير بابنة الملك القوطى رذريق، وحذا حذوه كثير من القادة والجنود،ونتج عن هذه المصاهرات جيل جديد في الأندلس عُرف بالمولدين، وهم الذين ولدوا من آباء عرب وأمهات أندلسيات، وهؤلاء نشئوا مسلمين بطبيعة الحال، وسرعان ما تزايد عددهم، وأصبحوا يشكلون غالبية السكان، واحتلوا مكانة كبيرة في المجتمع وكان لهم دورهم في تسيير أمور الدولة الإسلامية و قد أصبح هذا الجزء

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الذي يقع في جنوبي غربي أوربا بلدًا عربيا مسلمًا في حرية تامة ودون تعصب أو إكراه، ولم يستغل الفاتحون المسلمون انتصارهم في القوط في استئصال المسيحية من البلاد كما فعل فرديناند و إيزابيلا في استئصال المسلمين بعد ذلك بثمانية قرون.

انتشار الإسلام في العراق

كان معظم سكان العراق عند الفتح الإسلامي عربًا من قبائل ربيعة، مثل: بكر بن وائل وتغلب،ثم جاء المناذرة اللخميون ومن هم من قبائل اليمن، فأقاموا في العراق إمارة عربية عُرفَت بإمارة المناذرة، كانت خاضعة للفرس، تأتمر بأمرهم، وتصد غارات القبائل العربية عليهم، وهجمات البيزنطيين وحلفائهم غساسنة الشام، و قبيل ظهور الإسلام أنهى الفرس سنة ٦٠٢م حكم المناذرة، وحكموا العراق حكمًا مباشرًا ولم يكن موقف عرب العراق من الفاتحين المسلمين عدائيا صريحًا، وإنما تراوح بين العداء والوقوف مع الفرس وتأييدهم وبين التعاون مع العرب الفاتحين، ثم الترحيب بهم بعد توالي انتصاراتهم علي الفرس في القادسية ونهاوند وقد وجد سكان العراق أنفسهم بعد الفتح تحت حكم المسلمين يعاملون معاملة حسنة، تُحفظ لهم كرامتهم وحريتهم، وتصان عقائدهم، ولم تنتزع أرضهم، ولم يجبرهم أحد علي الدخول في الإسلام، وكانوا قبل ذلك أقرب ما يكونون إلي حال الرق، ذلا واستعبادًا للفرس، فأقبلوا علي اعتناق الإسلام في حرية تامة ولم يسلم عرب العراق فقط، بل أسلم كثير من الفرس أنفسهم، الذي يعيشون في العراق، وقدموا للمسلمين مساعدات كثيرة، ووقفوا إلي جانبهم في المعارك، فاستشار سعد بن أبي وقاص من أسلم من الفرس في كيفية التغلب علي الفيلة الفارسية المدربة علي الحرب و القتال، ولم تكن للفاتحين المسلمين خبرة بمواجهتها في ساحات المعارك، فدلوه علي مقاتلها، بأن تُضرب في عيونها ومشافرها، فلا تستطيع القتال بعد ذلك. ثم ازداد إقبال الفرس علي الدخول في الإسلام بعد انتصار المسلمين في القادسية، فأسلم أربعة آلاف من الديلم دفعة واحدة، وجاهدوا مع الفاتحين في نهاوند، و يدل تزايد الإقبال علي الدخول في الإسلام، سواء من العرب أومن غيرهم علي أن اشتراك الطبقات المقهورة مع الفرس ضد المسلمين في البداية، إنما كان خوفًا من بطشهم، فلما تحطمت قوتهم في القادسية زال الخوف، وأقبل الناس علي الإسلام وإلي جانب هؤلاء أسلمت أعداد كبيرة من الأساورة والأشراف وعلية القوم، فرحَّب بهم القادة العرب، وأشركوهم معهم في الحكم، فيروى الطبري أن سعد بن أبي وقَّاص كتب إلي عبد الله بن المعتم أن أخلف علي الموصل مسلم بن عبد الله الذي كان قد أُسِرَ في القادسية، وأن القعقاع بن عمرو التميمى استخلف علي حلوان – مدينة فارسية شمالي شرقي المدائن– بعد فتحها، رجلا فارسيا اسمه قباذ. وقد أخذ الإسلام ينتشر في العراق باطِّراد إلي أن أصبح بلدًا عربيا إسلاميا خالصًا في العصر الأموي، ومركزًا ودعامة لتثبيت الحكم الإسلامي في بلاد فارس، ومنطلقًا للفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر والسند.

انتشار الإسلام في بلاد فارس

كانت الديانة الرئيسية في بلاد فارس قبل الفتح الإسلامي هي الديانة الزرادشتية، وهي ديانة وثنية، تؤمن بأن للعالم إلهين، أحدهما إله الخير، والآخر إله الشر، وإلي جانب تلك الديانة التي كان يدين بها ملوك آل ساسان توجد البوذية والمانوية والمزدكية بالإضافة إلي اليهودية والمسيحية علي نطاق ضيق. ولم يأخذ المسلمون من هذه الأديان موقفًا عدائيا، ولم يتخذوا إجراءً ضدها، بل صانوا للناس حرية الاعتقاد، إلي الحد الذي اعتدُّوا فيه بالمجوسية الفارسية وهي عبادة النار، وعاملوا أتباعها معاملة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقبلوا منهم الجزية نظير بقائهم علي دينهم ولما اطمأنت نفوس أهل فارس أو معظمهم إلي حكم الفاتحين نظروا إلي دينهم، مقارنين بينه وبين ما لديهم من أديان فلم يجدوا وجهًا للمقارنة، فكلها أديان وثنية مليئة بالخرافات والأوهام، فتركوها غير آسفين، وأقبلوا علي الإسلام في حرية تامة، ودون ضغط أو إكراه، و لم يفعل ذلك أتباع الديانات الوثنية فقط، وإنما فعله كثير من المسيحيين. يقول آرنولد: وقد أدَّى تغير الحكومة – الساسانية – إلي تخليص الكنيسة المسيحية المضطربة في فارس من استبداد ملوك الساسانيين الذين أثاروا الخلافات وزادوا في فوضى الطوائف – المسيحية – المتنافرة، ولعل هذه الأحوال المضطربة قد هيأت عقول الناس لذلك

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

التحول الفجائي في شعورهم، الذي سهل تغيير العقيدة، و إلي جانب الاضطراب السياسي في الدولة ظهرت تلك الفوضى الأخلاقية التي ملأت عقول المسيحيين.. فمالوا إلي هذا النظام العجيب من التنسيق العقلي، الذي ينمو فيه الدين الجديد في سهولة ويسر، ويكتسح أمامه أكثر الأديان الأخرى، ويحاول أن يقيم الحالة الدينية و الاجتماعية علي أسس جديدة، وبعبارة أخرى كان أهل فارس قد بلغت عقليتهم درجة ساعدتهم علي التحول إلي ذلك الدين الجديد، و الترحيب باعتناقه في حماسة ملحوظة؛ لما يمتاز به من البساطة، و هكذا قدر للإسلام أن يبدد بضربة واحدة كل هذه الغيوم، وأن يفتح أمام الناس سبلا واضحة من الآمال الكبيرة، وأن يخلصهم في أقرب وقت من عبوديتهم وحالتهم السيئة و قد تتابع دخول الفرس بأعداد كبيرة في الإسلام دون إكراه، مدفوعين بالدعوة الصادقة التي يقوم بها المسلمون لدينهم، و التعريف به وشرح مبادئه، والالتزام بها في حياتهم، كل ذلك كان له عظيم الأثر في التمكين للإسلام في البلاد. ثم خطا الأمويون خطوات واسعة أدَّت إلي انتشار الإسلام واللغة العربية في بلاد فارس، تمثلت في تهجير عشرات من القبائل العربية إلي الأقاليم الفارسية وتسكينهم فيها، فنقل زياد بن أبي سفيان و الي العراق في خلافة معاوية سنة ٥٥١ خمسين ألف أسرة عربية من أهل البصرة والكوفة إلي خراسان دفعة واحدة، وتتابعت بعد ذلك الهجرات العربية إلي الأقاليم الفارسية بأعداد كبيرة؛ مما كان له أثر كبير في نشر الإسلام عن طريق المعايشة، و القدوة العملية، وإقامة شعائر الدين. وفي الوقت نفسه هاجرت أعداد كبيرة من الفرس إلي المدن العربية الجديدة كالبصرة والكوفة، بقصد العمل في التجارة والأعمال الحرفية، كأعمال البناء التي لا يجيدها العرب، كما عمل كثيرون منهم في دواوين الدولة، وقد بلغ عدد العمال من الفرس – أي الموظفين – المقيدين في ديوان عبيد الله بن زياد والي البصرة ٥٥ ٥٦٤ مائة وأربعين ألفًا، وهو رقم غير مبالغ فيه، لأن ديوان البصرة كان يشمل الموظفين المدنيين في جنوبي العراق، وكل المقاطعات الجنوبية الشرقية من بلاد فارس حتى خراسان شمالا. وقد علل ابن زياد استخدام هذا العدد الكبير من الفرس في الديوان بكفاءتهم ومهارتهم وأمانتهم في العمل، وهذا يعنى ثقة الدولة بالموظفين من الفرس، وهذه الثقة شجعتهم علي الدخول في الإسلام. وأدَّى وجود أعداد كبيرة من الفرس في البيوت العربية، ومصاهرتهم للعرب، إلي انتشار الإسلام بينهم، واتخاذ أسماء وألقاب عربية ويمكن إجمال القول بأن غالبية الشعب الفارسي تحولت إلي الإسلام في العصر الأموي، وأصبحت عنصرًا مؤثرًا في المجتمع والدولة الإسلامية ذاتها، وكانت في طليعة المجاهدين في فتح بلاد ما وراء النهر.

موقف الموالي الفرس من الدولة الأموية

كان لبعض الموالي الفرس مواقف عدائية ضد الدولة الأموية، علي الرغم من تسامح الحكومة مع الفرس وإشراكهم في الإدارة، بل تفضيلهم أحيانًا علي العرب أنفسهم؛ فلم يتركوا فرصة للخروج عليها إلا انتهزوها، ولا دعوة لثائر إلا انضموا تحت لوائه، أيا كان اتجاهه السياسي، فانضموا إلي ابن الزبير، والمختار الثقفي، وعبد الرحمن بن الأشعث، ويزيد بن المهلب، وغيرهم، وناصروا الخوارج، وتحالفوا مع الشيعة دائمًا. وهذه المواقف العدائية من الدولة الأموية جعلت بعض الباحثين يظنون أنهم فعلوا ذلك لظلم وقع عليهم من الدولة، وراحوا يكيلون التهم جزافًا للأمويين بأنهم متعصبون للعرب ضد الفرس، وهذا اتهام لا دليل عليه وبعيد عن واقع الأمر، فالدولة الأموية عُرفَت بتسامحها مع غير المسلمين من أهل الذمة، فكيف يضيق صدرها بالمسلمين من الموالي ولعل السبب الرئيسي في عداء الموالي للدولة الأموية يكمن في أن كثيرين من أبناء فارس لم يستطيعوا التخلص تمامًا من ماضيهم، حيث كانوا أصحاب السيادة علي العرب، ولهم نفوذ في العالم، فلما فتح المسلمون بلادهم عزَّ عليهم أن يحكمهم العرب، فعملوا كل ما في وسعهم لتقويض الدولة الأموية. ولم يكن الموالي كلهم يعادون العرب، ولذا نستطيع أن نقسم الموالي إلي أربع طوائف رئيسية، هي

-الطائفة الأولي: أسلمت إسلامًا حقيقيا، ارتفع بها فوق العصبية القومية، مثل: سلمان الفارسي، رضي الله عنه، والحسن البصري التابعي المعروف، وهذه الطائفة لم تر بأسًا في أن يحكمها العرب، و نظرت إليهم نظرة تقدير واحترام؛ لأنهم سبب هدايتها، وبادل العرب هذه الطائفة ودا بود وتقديرًا بتقدير، وكان كبار التابعين من الموالي، مثل الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعطاء بن يسار، وعطاء بن أبي رباح، موضع احترام المجتمع والدولة، وكان تأثيرهم في الحركة العلمية عظيمًا

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

-الطائفة الثانية: وهي التي أسلمت إسلامًا رقيقًا، ولم تتخلص من الماضي تمامًا، وظلت تفخر بالأمجاد الفارسية القديمة، وهذه الطا لم ترفض الإسلام دينًا ولكنها رفضت السيادة والحكم العربيين، وظلت تسعى للقضاء عليهما بدأب شديد، وكانت نواة الحركة الشعوبية التي نادت بتفضيل الفرس علي العرب

-الطائفة الثالثة: وهي التي أسلمت نفاقًا، لأنها رأت أن السبيل إلي المال والجاه والسلطان لا يكون إلا بالدخول في الإسلام، فأعلنت اعتناقه ولم يدخل الإيمان قلوبها، ولم تدع فرصة للكيد للعرب إلا انتهزتها، كما دعت إلي الشعوبية والمذاهب الدينية القديمة، وهذه الطائفة كانت أساسًا لحركة الزندقة

-الطائفة الرابعة: وهي التي لم تسلم، وبقيت علي مجوسيتها بفضل الحرية التي منحها العرب لأهل بلاد فارس. والذي نريد أن نخلص إليه أن القول باضطهاد الدولة الأموية للموالي، وعداء الموالي للدولة كان رد فعل لذلك، هو قول بعيد عن الحقيقة، فلم تكن هناك سياسة مرسومة للأمويين تعادى الموالي الفرس، وفي الوقت نفسه لا ننكر أن يكون بعض العرب قد نظر إلي الموالي الفرس نظرة تعالٍ وتكبر، لكن ذلك لم يكن سياسة دولة، وإنما كان نظرة البد و الجفاة الذين لم يفهموا الإسلام علي وجهه الصحيح.

انتشار الإسلام في بلاد ما وراء النهر

فتح قتيبة بن مسلم الباهلي بلاد ما وراء النهر – آسيا الوسطى– في خلال عشر سنوات ٨٦ – ٩٦ه، وأقبل كثير من أهالي تلك البلاد علي الدخول في الإسلام، لما فيه من عدل وسماحة ورحمة، وشجعهم علي ذلك أن معظمهم وثنيون يعبدون الأصنام، وبعضهم يدين بالأديان التي كانت منتشرة في بلاد فارس المجاورة لهم، مثل الزرادشتية والمانوية والمزدكية، و كلها أديان فاسدة، ولم يكن تمسك الناس بها قويا، ولذا سرعان ما أقلعوا عنها بعد أن قارنوا بينها وبين الإسلام، فأقبلوا عليه في حماس شديد وعندما دخل قتيبة بن مسلم مدينة سمرقند سنة ٩٣ه، وجد فيها عددًا كبيرًا من الأصنام، فقرر تحطيمها، فخوفه سكانُها من ذلك، وقالوا له: إن من يقترب منها تهلكه، فلم يبالِ بذلك، وأقسم ليحطمنَّها بيده، فحطمها وحرقها بالنار، فلما رأي الناس ذلك ولم يحدث لقتيبة شيء أدركوا أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، وأسرعوا إلي اعتناق الإسلام .وقد تردَّد صدى هذه الحادثة في المدن الأخرى، فأسلم من أهلها أعدادٌ هائلة، حتى إنه لما سار قتيبة لفتح إقليم الشاش فيما وراء نهر سيحون سنة ٩٤ه، أي بعد سنة واحدة من تحطيمه لأصنام سمرقند، كان جيشه يضم عشرين ألف مسلم من أهل بخاري. و حرص الفاتحون المسلمون علي دعوة الناس إلي الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والتأثير فيهم بالقدوة الطيبة، وكان قتيبة بن مسلم يُعنَى ببناء المساجد في المدن والقرى؛ حتى تؤدى فيها الصلاة، ويقوم الدعاة فيها بتعليم الناس شعائر الإسلام وشرائعه. غير أن تزايد إقبال الناس علي الإسلام جعل الولاة المسلمين أمام مشكلة مالية، جعلتهم يأخذون الجزية من المسلمين الجدد من أهل البلاد، مخالفين بذلك قواعد الإسلام التي تقرر أن لا جزية علي من أسلم، ولم يطل هذا الأمر كثيرًا، إذ صحح عمر بن عبد العزيز هذا الإجراء الخاطئ وكتب إلي الولاة موبخًا إياهم علي فعلتهم، قائلا قولته المشهورة قبَّح الله رأيكم، إن الله بعث محمدًا صلي الله عليه وسلم هاديًا ولم يبعثه جابيًا .وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز معنيا بنشر الإسلام في تلك المنطقة، وكتب إلي ملوك بلاد ما وراء النهر وأمرائهم ودعاهم إلي الإسلام، فأسلموا وتسمَّوا بأسماء عربية وتتابعت جهود الأمويين لنشر الإسلام في هذه البلاد بعد عمر بن عبد العزيز، وبخاصة في عهد هشام بن عبد الملك ١٠٥ – ١٢٥ه، الذي أسند ولاية خراسان وما وراء النهر إلي أشرس بن عبد الله السلمي، المسمى بالكامل لصلاحه وتقواه، فما إن استقر في خراسان حتى شرع في توجيه الدعاة والفقهاء إلي بلاد ما وراء النهر؛ لدعوة الناس إلي الإسلام وقد مضت حركة نشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر مطَّردة مزدهرة، بفضل جهود صالح بن طريف وأمثاله من أهل الصلاح والتقوى، وإن اعترض ذلك بعض المعوقات التي كانت تأتى في الغالب من بعض الولاة الذين كانوا يفضلون الجباية علي الهداية، مخالفين بذلك قواعد الإسلام، غير أن هذه السياسة الخاطئة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لا تجد دائمًا من يصححها ويقومها من الخلفاء والولاة. وقد استاء المسلمون الجدد من أهل بلاد ما وراء النهر من دفع الجز لكونها عبئًا ماليا كبيرًا فحسب، بل لإحساسهم بالمهانة من دفعها وهم مسلمون؛ إذ لا جزية علي المسلم، ومن ثم تمسكوا بحقهم الشرعي الذي كفله لهم الإسلام، فقاوموا الولاة، ومن أجل ذلك وجدوا استجابة من قمة الدولة لإنصافهم، وتضامنًا من إخوانهم العرب المسلمين لمساعدتهم علي الحصول علي حقهم وخلاصة القول أن غالبية الناس في بلاد ما وراء النهر تحولت إلي الإسلام، وأصبحت بلادهم جزءًا عزيزًا من العالم الإسلامي، وأهدت إلي العالم الإسلامي عددًا لا حصر له من العلماء في شتى العلوم الإسلامية، وغدت بعض مدنه مثل بخاري وسمرقند وجرجان من أكبر المراكز الحضارية في العالم الإسلامي وأشهرها. وقد رسخ الإسلام في تلك المنطقة رسوخًا عميقًا، ظهر أثره في ثبات أهلها أمام موجات الغزو العاتية التي تعرضت لها، مثل غزوات المغول المدمِّرة في القرن ٧ ه = ١٣ م، كما تعرضت لمحنة الحكم الشيوعي الملحد في القرن ١٤ ه = ٢٠ م، الذي حاول بشتى الطرق وبأقسى الأساليب الوحشية محو الإسلام، لكنه فشل فشلا ذريعًا أمام ثبات المسلمين وإصرارهم علي التمسك بعقيدتهم، وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي سنة ١٤١١ه = ١٩٩١م وزوال الحكم الملحد، تنفَّس الناس الصعداء وعادت بلادهم إلي حظيرة العالم الإسلامي

ولم يكتفِ أهالي تلك المنطقة باعتناق الإسلام، وإنما جنَّدوا أنفسهم للدفاع عنه علي حدوده الشرقية عند الصين والأتراك الشرقيين، و أصبحت بلادهم معبرًا رئيسيا للإسلام إلي الصين وغيرها من بلاد شرقي آسيا وجنوبي شرقيها إلي حوض نهر الفولجا شمالا؛ حيث كانت قوافل الدعاة والتجار تجوب الطرق التجارية بين العالم الإسلامي وتلك البلاد، يدعون إلي الإسلام، وقد وجدوا استجابة طيبة و سريعة.

انتشار الإسلام في السند

كان إقليم السند مملكة مستقلة عندما فتحه المسلمون في أواخر القرن الأول الهجري بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، وسادت فيه عدة ديانات كانت هي نفسها السائدة في سائر ممالك شبه القارة الهندية وولاياتها، مثل: البرهمية، والبوذية ويؤكد لنا التاريخ أن الاتصال بين أهل السند والمسلمين سبق بزمن طويل فتح بلادهم، وأنهم عرفوا كثيرًا عن الإسلام ومبادئه، بل إن بعضهم أسلم مبكرًا، يروى البلاذرى أن كثيرين من أهل السند – المنبوذين – قد أسلموا مبكرًا، بعد أن انحازوا إلي المسلمين؛ فرارًا من اضطهاد البراهمة، فعندما كان أبو موسى الأشعري يفتح إقليم الأهواز غربي بلاد فارس، في عهد عمر ابن الخطاب أرسل له زعيم سندي اسمه سياه قائلا: إننا قد أحببنا الدخول معكم في دينكم علي أن نقاتل معكم عدوكم من العجم واشترط أن يفرض له ولقومه من العطاء، وأن ينزلوا حيث شاءوا من البلاد، فوافق عمر بن الخطاب علي ذلك لما كتب له أبو موسى يستأذنه. وبعد انتهاء الفتح، نزل هؤلاء البصرة، وفرض لهم العطاء، ثم سألوا أي القبائل أقرب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم، فقيل لهم: بنو تميم، فحالفوهم وخططت لهم الأحياء السكنية. وقد عمل كثير منهم في بيت المال؛ لخبرتهم في الشئون المالية، فقد كان في بيت مال البصرة منهم في عهد علي بن أبي طالب أربعون رجلا، كما عمل بعضهم في الأعمال الحرَّة، وبخاصة في الصرافة، فيروى الجاحظ: إنك لا ترى في البصرة صيرفيًا إلا وصاحب كيسه = أي خزانته – سندي. وكل هذه الشواهد تؤكد اتصال أهل السند بالمسلمين قبل فتح بلادهم، ومن الطبيعي أن يتردد بعضهم علي وطنه، وينقل للناس هناك أخبار الإسلام والمسلمين، ومعاملتهم الرحيمة مما هيأ قلوبهم للإسلام، والإقبال عليه بعد الفتح الإسلامي لبلادهم. فمنذ الخطوات الأولي للفتح بدأت شخصيات كبيرة تعتنق الإسلام، وعندما تقدَّم محمد بن القاسم بعد فتح الديبل، وجه الدعوة إلي الأمراء والحكام والوزراء والأعيان وعامة الشعب؛ للدخول في الإسلام فاستجاب له كثيرون و كانت هناك أقاليم تدخل في الإسلام جملة واحدة، مثل إقليم سوسيان، فقد روى في سبب إسلامهم أنهم كانوا قد أرسلوا جاسوسًا من عندهم إلي معسكر المسلمين لمعرفة أخبارهم، وأثناء اختفائه حان وقت الصلاة، فقام أحد الجنود وأذَّن بالصلاة بصوت خاشع جميل مؤثر، ثم اصطف الجنود خلف قائدهم محمد بن القاسم في صفوف منتظمة، فلما رأي الجاسوس السندي هذا المشهد

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

لرائع تأثر به تأثرًا كبيرًا، وعاد إلي قومه، وأخبرهم بما رأي، فقالوا: إذا كان العرب متحدين متمسكين بدينهم علي هذا النحو و في وقت الحرب، فإننا لا يمكننا التغلب عليهم، وقرروا إرسال وفد منهم إلي محمد بن القاسم، وانتهي الأمر بإسلامهم جميعًا، وانضمامهم إلي المسلمين، وأقاموا حفل تكريم للقائد المسلم محمد بن القاسم الذي هداهم للإسلام. و كان إقبال أهل السند علي الإسلام عظيمًا علي اختلاف طبقاتهم، فأسلم إلي جانب عامة الشعب الحكامُ والقواد والوزراء وأمراء المناطق المختلفة، مثل الأمير كاكة بن جندر ابن عم الملك داهر ملك السند. وأدَّى سلوك المسلمين السويُّ إلي جذب الناس إلي الإسلام، وبخاصة سلوك محمد بن القاسم الذي اهتم بإقامة المساجد وأداء الشعائر الدينية، فلم يكن يدخل مدينة إلا ويبنى فيها مسجدًا، وقد تابع خلفاء محمد بن القاسم في السند سياسته في بناء المساجد. وقد بلغ قمة النجاح في انتشار الإسلام في السند في خلافة عمر بن عبد العزيز ٩٩ – ١٠١هـ، الذي كان لسمعته الطيبة أثر عظيم في دخول أعداد كبيرة من أهل السند في الإسلام لما دعاهم إلي ذلك، فأسلموا وتسمَّوا بأسماء عربية وأصبح هذا الإقليم منذ دخول الإسلام فيه جزءًا عزيزًا من العالم الإسلامي، ولا يزال يمثل قوة رئيسية من قواه؛ فقد شارك في صنع التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، فلولا الإسلام لبقى ذلك الإقليم مزويًا في عزلته، دون أن يكون له مثل ذلك الدور الذي قام به في ظل الإسلام، ونختم الحديث عن انتشار الإسلام في السند بشهادة واحد من أبنائه هو العلامة أبو الحسن الندوي الذي يقول: إن دخول الإسلام إلي بلاد السند وبلاد الهند، كان فاتحة عصر جديد، عصر علم ونور وحضارة وثقافة لم يكن العرب المسلمون من طراز أولئك الغزاة الذين إذا دخلوا قرية أفسدوها، واعتبروها بقرة حلوبًا، أو ناقة ركوبًا، يحلبون ضرعها، ويركبون ظهرها، ويجزون صوفها، ثم يتركونها هزيلة عجفاء، و لا يعتبرون أنفسهم كالإسفنج، يتشرب الثروة من مكان، ويصبها في مكان آخر، كما كان شأن الإنجليز في الهند، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى، وإيطاليا في طرابلس وبرقة، وهولندا في إندونيسيا، لم يكن العرب المسلمون مثل هؤلاء الغزاة المستغلين، بل وهب العرب البلاد التي فتحوها أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة، وأخلاق وسجايا، ومقدرة و كفاية، وتنظيم وإدارة، وأقبلوا عليها بالعقل النابغ، والشعور الرقيق، والذوق الرفيع، والقلب الولوع، واليد الحاذقة الصناع، فنقلوها من طور البداوة إلي طور الحضارة، ومن عهد الطفولة إلي عهد الشباب الغض، فأمنت بعد خوف، واستقرت بعد اضطراب، وأخذت الأرض زخرفها، وبلغت المدنية أوجها، وتحولت الصحارى الموحشة والأراضي القاحلة إلي مدن زاخرة وأرض خصبة، وتحولت الغابات إلي حدائق ذات بهجة، والأشجار البرية إلي أشجار مثمرة مدنية، ونشأت علوم لا علم للأولين بها، وفنون وأساليب في الحضارة لا عهد لهم بها في الماضي، وانتشرت التجارة، فكأنما ولدت هذه البلاد في العهد الإسلامي ميلادًا جديدًا، ولبست ثوبًا.

قيام الخلافة العباسية

ينتسب خلفاء بنى العباس إلى جدهم العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم، الذى عاش فى مكة وأسلم بها، وكانت له مكانته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أنجب العباس عددًا من الأبناء، أشهرهم: عبد الله بن عباس الذى أُطلق عليه ترجمان القرآن وحَبْر الأمة لسعة علمه وحدة ذكائه. ترك عبد الله كثيرًا من الأبناء منهم على بن عبد الله، الذي يُقال له السجَّاد؛ لكثرة عبادته، وأنجب السجاد أولادًا كثيرين، أشهرهم محمد بن على، الذى نظم الدعوة العباسية وخرج بها إلى حيز الوجود، وأحاط تحركاته بجو من السرية والكتمان، حتى أطلق على المرحلة التي مرت بها الدعوة العباسية فى عهده المرحلة السرية،و تمتد من سنة ١٠٠هـ = ٧١٨م إلى سنة ١٢٩هـ٧٤٦ = م، وتحركت الدعوة فيها من ثلاثة أماكن هي

الحميمة: وهى قرية صغيرة منعزلة فى جنوب الشام، اتخذها الأسرة العباسية مقرا لها

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

كوفـــة: وتعد المركز الرئيسي لنشاط الدعاة العباسيين، وتتوسط بلاد الشام والعراق و خراسان

خراسان: حيث نجح الدعاة العباسيون فى اجتذاب الآلاف إليهم

و بـــدأت الدعـــوة بـــجمـــــاعـــة تُسمَّى النقبـــاء، قـــاموا بتكوين مجـــلس شورى برئـــاســـة ســـليمـــان بن كثير الخزاعـــي، و كان مركز الدعوة فى الكوفة يتلقى التعليمات من مقر البيت العباسي فى الحميمة ويرسلها إلى أنصار الدعوة فى كل مكان، وخاصة خراسان و عـــقب وفـــاة الإمـــام محمد بن عـــلى سنـــة ١٢٥هـــ٧٤٢ = م تولى ابنه إبراهيم – المعروف بـــالإمام – شئون الدعوة، وقد نشطت فى عهده، واتخذت اللون الأسود شعارًا لها. وقـــد تـــهيـــــأ للدعـــوة العبـــاسيـــة أسبـــاب النجـــاح منذ أن أسندت مهمـــة الإشراف عـــلى الدعوة فى خراسان إلى أبى مسلم الخراساني، الذي جمع حوله الأنصـــار والأعوان، وخـــاض بهم ســـاحات القتال محققًا العديد من الانتصارات، وقام بدور مهم فى قيام الدولة العباسية و قـــد واجـــه العـــبـــــاســـيون بـــزعـــامـــة أبـــى مســـلم قوى مختـــلفـــة فـــى خـــراســـــان، فـــور إعـــلان ثـــورتهم ليـــلة الخميس ٢٥ من رمضـــان سنـــة١٢٩ هـــ = ٩مـــن يـــونـــيو ســـنـــــة ٧٤٧م، و تمثـــلت هذه القوى فـــى نصر بن سيار الوالي الأموي، و قبائل اليمن و ربيعة، والخوارج، لكن أبـــا مســـلم استطـــاع بذكـــائه ودهائه أن يوقع بينها مستغلا العنصر القبلي وإثارة العصبية بين أفرادها و بـــعد معـــارك كثيرة استطـــاعت قوات أبـــى مســـلم الخراســـانـــي أن تـــدخـــــل مـــديـــنـــــة مرو عـــاصمـــة إقـــليم خراســـان، ثم استولت عـــلى هـــمدان ونهـــاوند وحـــلوان وخـــانقين وغيرهـــا، حتـــى دخـــلت العراق، وكان وراء ذلك النجاح الكبير الذى أحرزه العباسيون فى نشاطهم الدعائي والعسكري أسباب كثيرة، منها الدعـــوة الدائبـــة والمنظمـــة التـــي استمرت مـــا يقرب من ثـــلاثين سنـــة على أيدي دعاة مدربين كثرة الجيوش العباسية واندفاعها لاكتساح القوات الأموية القيـــادة الحكيمـــة التـــي استطـــاعت تنظيم أنصـــار الدعوة العبـــاسية وتسليحهم وتوجيههم إلى ميادين القتال المختلفة تمزق صفوف الجيوش الأموية بسبب العصبية القبلية نجاح العباسيين فى جذب مجموعة من القادة الأكفاء الذين أداروا المعركة باقتدار ضد الأمويين، ومنهم أبو مسلم الخراسانى، وأبو سلمة الخلال كبير الدعاة العباسيين بالكوفة، وابن شبيب الطائي الذى قاد الجيوش العباسية المتجهة إلى العراق. انتقـــلت الأسرة العباسية من الحميمة سرا إلى الكوفة، بعد إلقاء القبض عـــلى إبراهيم الإمـــام وقتله فى أحد سجون دمشق، وكان قد أوصى بتولية أخيه عبد الله شئون الدعوة و فـــى الكوفـــة أقـــامت الأسرة العبـــاسيـــة عند أبـــى ســـلمة الخلال كبير الدعـــاة أربعين يومًا حتـــى تهيـــأت الظروف لمبـــايعـــة أول خـــليفـــة عباسي و هو عبد الله بن محمد .

العصر العباسي الأول

يمتد العصر العباسي الأول قرنًا من الزمان، من سنة ١٣٢ هـــ ٧٤٩م إلى سنة ٢٣٢ هـــ ٨٤٧م، ويعد العصر الذهبي للخلافة العباسية؛ حيث تمتع الخلفاء بسلطتهم الدينية والدنيوية وخلفاء هذا العصر تسعة، هم

أبو العباس عبد الله ١٣٢–١٣٦ هـــ ٧٤٩– ٧٥٣م

المنصور ١٣٦ – ١٥٨ هـــ ٧٥٣ – ٧٧٥م

المهدي ١٥٨– ١٦٩ هـــ ٧٧٥– ٧٨٥م

الهادي ١٦٩ – ١٧٠ هـــ ٧٨٥ – ٧٨٦م

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الرشيد ١٧٠– ١٩٣ هـ ٧٨٦ – ٨٠٩م

الأمين ١٩٣ – ١٩٨ هـ ٨٠٩ – ٨١٣م

المأمون ١٩٨ – ٢١٨ هـ ٨١٣ – ٨٣٣م

المعتصم ٢١٨ – ٢٢٧ هـ ٨٣٣–٨٤٢م

الواثق ٢٢٧ – ٢٣٢ هـ ٨٤٢ – ٨٤٧م

الخليفة الأول: أبو العباس ١٣٢-١٣٦ هـ ٧٥٣٧٤٩ ـم

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم،ولد سنة ١٠٠ هـ ٧١٨م تقريبًابويع أبو العباس في الكوفة في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩م .واستمر في الحكم أربع سنوات، استطاع خلالها توطيد أركان الخلافة العباسية، والقضاء على كل مقاومة ظهرت في عهده

موقف العباسيين من الأمويين

مما لاشك فيه أن هناك بعض التجاوزات التي حدثت في إقليم الشام على يد الوالي العباسي عبد الله بن علي، عم الخليفة أبي العباس؛ حيث تعقَّب الأمويين في كل مكان وقتل كثيرًا منهم، مما دفع بعضهم إلى الفرار إلى مناطق بعيدة، كما فعل عبد الرحمن بن معاوية – صقر قريش– الذي فر إلى المغرب ومنها إلى الأندلس؛ حيث أسس دولة أموية هناك سنة ١٣٨ هـ ٧٥٥م، كما حاول بعضهم الآخر التخفِّي وطلب العفو ومن ناحية أخرى لم يقف أنصار الأمويين وأعوانهم مكتوفي الأيدي أمام انتصارات العباسيين، وما ارتكبه بعض ولاتهم من مذابح تجاه البيت الأموي، فقاموا بعدة ثورات في أماكن متفرقة، إحداها بالبلقاء و حوران سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩م، وأخرى في قِنَّسرين، وثالثة في دمشق،لكن قوات العباسيين استطاعت الانتصار عليها والسيطرة على الموقف.

موقف الخلافة من بعض زعماء الدعوة العباسية

واجهت الدولة العباسية قبيل إعلانها وفي بداية قيامها انحراف بعض المسؤولين فيها، ولم تكن الظروف السياسية التي صاحبت قيام الدولة العباسية تسمح بالتخلّص من هؤلاء، فلما بويع أبو العباس بالخلافة وبدأت الدولة تأخذ طريقها إلى الاستقرار، قامت بمعاقبة هؤلاء، وكان أول من عوقب أبا سلمة الخلال بسبب عدم تحمسه كثيرًا لانتقال أفراد البيت العباسي من الحميمة إلى الكوفة، ولم يأذن لهم بدخول الكوفة إلا بعد فترة، وحاول نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي إلا أنه فشل في ذلك، كما حاول قتل أبي العباس وفشل في ذلك أيضًا، فلما استقرت أمور الدولة استقر رأي أفراد البيت العباسي على أخذ رأي أبي مسلم الخراساني، الذي وافق على التخلص منه، فتم اغتياله وأعلنت القيادة العباسية أن جماعة من أعداء الدولة هم الذين نفذوا هذه المؤامرةكما قام أبو مسلم الخراساني والي إقليم خراسان بالتخلص من أحد كبار الدعاة وهو سليمان بن كثير، الذي كان يُعرف بنقيب النقباء، عقب اتهامه بالاتصال بأحد أبناء البيت العلوي وتحريضه على الثورة ضد البيت العباسي وتُوفي الخليفة العباسي الأول أبو العباس بالأنبار في ١٣ من ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ ٩ من يونيو سنة ٧٥٤م، وعمره نحو ست وثلاثين سنة

الخليفة الثاني: أبو جعفر المنصور ١٣٦ ـ ١٥٨ هـ ٧٧٥٧٥٣ ـم

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وكنيته أبو جعفرولد سنة ٩٥ هـ ٧١٤م في قرية الحميمة بالشام، وتربى وسط كبار الرجال من بني هاشم، فنشأ فصيحًا عالمًا يسير الملوك والأمراء، ودرس النحو والتاريخ والأدب شعرًا ونثرًا وغير ذلك، كما كان كثير الأسفار والتنقل ولما تولى أخوه أبو العباس الخلافة استعان به في محاربة أعدائه وتصريف أمور الدولة، وكان ينوب عنه في الحج، كما أوصى أبو العباس قبيل وفاته مباشرة بولاية عهده لأخيه أبي جعفر، الذي كان غائبًا في موسم الحج، فلما تُوفِّي أبو العباس قام ابن أخيه عيسى بن موسى بأخذ البيعة لأبي جعفر من بني هاشم وغيرهم، وأرسل إلى عمه أبي جعفر بوفاة أخيه ومبايعته بالخلافة. ولما وصل أبو جعفر إلى الأنبار استكمل أخذ البيعة من القادة والرؤساء، ثم خطب فيهم مبيِّنًا سياسته في إدارة الدولة في النقاط الآتية ١زهده في منصب الخلافة، وأنه لم يكن يتطلع إلى ذلك أو يرغب فيه

٢تعهده بتنفيذ ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

٣تعهده بإقرار العدل ورفع الظلم عن الناس، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها

يُعدُّ أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، وقد واجه بحزم واقتدار العديد من المشاكل والثورات حتى نجح في السيطرة عليها والقضاء على القائمين بها،و منها: ثورة عمه عبد الله بن علي، وتمرد أبي مسلم الخراساني، و ثورة محمد النفس الزكية، وثورات الفرس، وحركات الخوارج

أولاً: ثورة عبد الله بن علي

يُعدُّ عبد الله بن علي –عم الخليفة أبي جعفر المنصور– من الشخصيات العسكرية البارزة في الدولة العباسية، وقد شارك مثل غيره من أفراد البيت العباسي، في النشاط العسكري والسياسي حتى قامت الدولة العباسية، وتولى إمارة الشام، فلما تُوفِّي الخليفة الأول أبو العباس، رفض عبد الله بن علي مبايعة الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور، وأعلن أنه أحق منه بمنصب الخلافة، وأن الخليفة أبا العباس كان قد وعده بذلك، ولم يكن هذا صحيحًا؛ لأن الخليفة أبا العباس كتب وصيته قبل وفاته بتولية أخيه أبي جعفر الخلافة، كما أنه لم يرد عن أحد من أفراد البيت العباسي ما يؤيد دعوى عبد الله بن علي. وقد أحدث هذا خللاً شديدًا في كيان البيت العباسي، فحاول أبو جعفر رأب هذا الصدع، وأرسل إلى عمه عدة رسائل يدعوه إلى الدخول في طاعته، ولزوم الجماعة، إلا أن عمه رفض ذلك، فأرسل إليه أبو جعفر قائده أبا مسلم الخراساني على رأس جيش كبير، ودارت معركة فاصلة بين الجيشين في جمادى الآخرة سنة ١٣٧ هـ نوفمبر سنة ٧٥٤م، انتهت بانتصار جيش أبي مسلم وفرار عبد الله بن علي إلى البصرة، ثم استطاع الخليفة أبو جعفر إحضاره منها إلى الكوفة وسجنه حتى مات سنة ١٤٧ هـ ٧٦٤م.

ثانيًا: تمرد أبي مسلم الخراساني

اختلفت المصادر التاريخية في بيان أصل أبي مسلم الخراساني، والراجح أنه من أصلٍ فارسي، وقد التحق في بداية أمره بخدمة إبراهيم الإمام الذي أُعجب به ووثق فيه، واستعان به في أموره المهمة، وكان له دور بارز في نجاح الدعوة العباسية، وقيام دولتها ورغم الجهود والأعمال التي قام بها أبو مسلم فإنه ارتكب بعض الأخطاء الجسيمة في حق الخلافة العباسية منها: انفراده بالحكم في خراسان، وتجاهله شيوخ الدعوة العباسية و نقباءها هناك، وعدم تنفيذ أوامر الخليفة أبي العباس ثم تجاهله لأبي جعفر في مناسبات كثيرة، وتحريضه ابن أخيه عيسى بن موسى على الثورة والاستئثار بمنصب الخلافة، وغير ذلك وقد حاول الخليفة أبو جعفر –في البداية– معالجة الأمور بهدوء، فاستدعى أبا مسلم من خراسان إلا أنه رفض الحضور فواصل الخليفة مراسلاته، واستعان ببعض الزعماء للضغط على أبي مسلم للحضور إلى مقر الخلافة في العراق، إلا أن أبا مسلم رفض ذلك، فأرسل الخليفة إليه يهدده ويتوعده إن لم

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يرضخ ويستجب لأمره، وبعد مشاورات بين أبي مسلم وأنصاره استجاب وحضر إلى قصر الخلافة، فعدد عليه الخليفة أبو جعفر ما ارتكبه من أخطاء في حق الدولة، ثم أمر بقتله.

ثالثًا: ثورة محمد النفس الزكية

هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بالنفس الزكية، زعيم البيت العلوي والشيعة، ومنذ مقتل الإمام علي –كرم الله وجهه– والشيعة يحاولون الوصول إلى مقعد الحكم عن طريق الثورات والخروج على السلطة، باعتبارهم أصحاب الحق الشرعي وبقيام الدولة العباسية وتولّي العباسيين الخلافة انتقل صراع العلويين على الخلافة من محاربة الأمويين إلى محاربة أبناء عمومتهم العباسيين وعلى الرغم من أن أسرة محمد النفس الزكية لم تتخذ موقفًا عدائياً واضحًا في بدء الخلافة العباسية فإن الأمر تغير حين تولّى أبو جعفر المنصور الخلافة وبدأ يتعقب محمدًا النفس الزكية وأخاه إبراهيم اللذين اختفيا وأخذا يعملان سرا في الدعوة لنفسيهما والخروج على الدولة العباسية ولما فشل أبو جعفر المنصور في القبض على محمد النفس الزكية أمر بالقبض على عدد كبير من أفراد أسرته، وحملهم إلى سجون العراق وعذَّبهم لإرغام محمد النفس الزكية على الظهور، وقد نجح أبو جعفر في ذلك؛ فظهر محمد النفس الزكية في المدينة المنورة في رجب سنة ١٤٥ هـ سبتمبر سنة ٧٦٢م وقتله العباسيون هناك، كما قتلوا أخاه إبراهيم بالعراق، وكثيرًا من أهلهما.

رابعًا: ثورات الفرس

واجهت الخلافة العباسية في عهد أبي جعفر عدة ثورات فارسية، كانت تعبيرًا عن معارضة بعض العناصر الفارسية للخلافة الإسلامية، ومن هذه الثورات

حركة سنباذ سنة ١٣٧ هـ ٧٥٤م

حيث قاد سنباذ –وهو أحد أتباع أبي مسلم– حركة ثورية للثأر لمقتل أبي مسلم الخراساني، ومحاربة الإسلام، وأحس الخليفة المنصور بخطر هذه الحركة فأرسل جيشًا كبيرًا استطاع القضاء على قوات سنباذ وقتله وهو في طريقه لاجئًا إلى حاكم طبرستان. حركة الراوندية ١٤١ هـ ٧٥٨م: وهم قوم من أهل خراسان، سُموا بذلك نسبة إلى قرية رواند القريبة من أصفهان، وكانوا من أتباع أبي مسلم الخراساني، إلا أنهم زعموا أن ربهم الذي يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وأعلنوا إيمانهم بفكرة تناسخ الأرواح واستطاعوا دخول مدينة الهاشمية، عاصمة الخلافة العباسية آنذاك، وهاجموا قصر الخلافة فتصدَّى لهم بعض الجنود البواسل، وعلى رأسهم معن بن زائدة الشيباني، واستطاعوا القضاء على هذه الحركة. حركة أستاذ سيس سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧م: أستاذ سيس رجل فارسي ادَّعى النبوة، وقاد حركة تهدف إلى تخليص بلاد فارس من قبضة العباسيين، واستطاع بجيوشه الضخمة بسط نفوذه على مناطق سجستان وهراة وكور خراسان وغيرها، فحشدت له الخلافة العباسية قوات ضخمة بقيادة خازم بن خزيمة التميمي، استطاعت القضاء على هذه الحركة، وانتهى الأمر بالقبض على أستاذ سيس وإعدامه.

خامسًا: حركات الخوارج

نظر الخوارج إلى العباسيين على أنهم مغتصبون للخلافة التي ينبغي أن يتقلدها أجدر المسلمين بها بالانتخاب، بغض النظر عن نسبه، ومن ثم شهد العصر العباسي الأول عددًا من حركات الخوارج، بغرض القضاء على الخلافة العباسية، ومنها

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

رة ملبد بن حرملة الشيبانى سنة ١٣٧ هـ ٧٥٤م بأرض الجزيرة ديار بكر وشكلت خطرًا كبيرًا على العباسيين، إلا أن قائد خازم بن خزيمة استطاع القضاء عليها ثورة حسان بن مجالد الهمدانى بالموصل سنة ١٤٨ هـ ٧٦٥م انتهت بالفشل لتفرق أنصاره عنه

وفاة المنصور

تُوفي المنصور في ٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ ٧ من أكتوبر سنة ٧٧٥م، وهو في طريقه إلى الحج وقد أشار ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ إلى أن المنصور كان يجعل نهاره لتصريف أمور الدولة، فإذا صلّى العصر جلس مع أهل بيته، فإذا صلّى العشاء الآخرة جلس ينظر فيما ورد إليه من رسائل البلاد، حتى يمضى ثلث الليل الأول فينام، ثم يقوم في الثلث الأخير فيتوضأ ويصلى حتى يطلع الفجر، فيصلى بالناس، ثم يجلس في ديوانه لتصريف أمور البلاد، وهكذا يقضى وقته

الخليفة الثالث: محمد المهدي ١٥٨- ١٦٩ هـ ٧٨٥٧٧٥ ـم

هو محمد بن عبد الله بن محمد وُلد بالحميمة سنة ١٢٦ هـ ٧٤٣م، وقد هيأه والده المنصور وأعده ليكون جديرًا بمنصب الخلافة من بعده، فنشأ على ثقافة عربية واسعة، ودراية بفنون الحرب وأساليب الإدارة. وقد أوصى المنصور ابنه وولي عهده محمدًا وصية جامعة، قبيل وفاته تضمنت التمسك بأن تظل بغداد عاصمة للخلافة الاهتمام بأهل بيته وحاشيته وأهل خراسان لدورهم في قيام الدولة تقوى الله وإبعاد النساء عن السياسة تجنب إهدار دماء المسلمين، ومعاقبة المفسدين والملحدين وتتبعهم الاستعداد المستمر بالقوة والسلاح، وأن يباشر الأمور بنفسه وعقب وفاة المنصور بويع المهدي بيعة خاصة من قبل الزعماء بمكة، ثم بايعه جمهور المسلمين في بغداد في ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ أكتوبر سنة٧٧٥ م.

سياسة المهدي العامة

اختلفت سياسة المهدي عمن سبقه، فاتسم عهده بالاستقرار والهدوء والتسامح والصفح، فأطلق سراح المسجونين السياسيين، واهتم بإقرار العدل بين الناس، وجلس للنظر في مظالم الناس مستعينًا بالقضاة، وأمر بالإنفاق على مرضى الجذام؛ حتى لا يختلطوا بالناس فتصيبهم العدوى، كما اهتم اهتمامًا خاصا بالحرمين الشريفين وبكسوة الكعبة. وقد عفا المهدي عن بعض آل البيت ومنحهم الأموال والإقطاعات، وحينما أدى فريضة الحج سنة ١٦٠ هـ ٧٧٧م وزع أموالاً كثيرة على أهل مكة والمدينة، وأصدر عفوًا عاما عمن عاقبهم المنصور من أهل الحجاز؛ لمشاركتهم في الثورة العلوية، واختار خمسمائة من رجال الأنصار وكوَّن منهم حرسه الخاص، كما قام ببث العيون والجواسيس بالبلاد لرصد أي تحرك معادٍ للدولة، ورغم ذلك فقد حاول بعض العلويين مثل عيسى بن زيد بن علي وعلي بن العباس بن الحسن القيام بثورة ضد الخلافة العباسية، لكنها لم تنجح؛ حيث عاجلهما الموت.

سياسة المهدي تجاه الخوارج

واجه المهدي عدة ثورات من الخوارج وقضى عليها بحزمه وسرعة مواجهته، منها

ثورة يوسف بن إبراهيم البرم في خراسان سنة ١٦٠ هـ ٧٧٧م

حركة عبد السلام بن هاشم اليشكرى في قنسرين سنة ١٦٠ هـ٧٧٧ م

حركة الخوارج بالموصل بزعامة ياسين الموصلى التميمى سنة ١٦٨ هـ٧٨٤ م

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ترك المنصور بعد وفاته في بيت المال أربعة عشر مليون دينار وستمائة مليون درهم، قام المهدي بتوزيعها على الناس؛ فشاع بينهم الترف والنعيم واللهو واللعب، كما اتبعه الناس في حبه للآداب والفنون؛ فارتقت الآداب والفنون، وسادت بين طبقات الشعب، وكان المهدي أول خليفة يُحمل إليه الثلج إلى مكة في الحج، كما كان مترفًا في ملبسه ومأكله

وفاة المهدي

تُوفي المهدي سنة ١٦٩ هـ ٧٨٥م وعمره ثلاث وأربعون سنة، وقد قضى في الحكم إحدى عشرة سنة

الخليفة الرابع: موسى الهادي ١٦٩ – ١٧٠ هـ ٧٨٦٧٨٥ ـ م

هو موسى ابن الخليفة المهدي، تولى الخلافة في ٢٢ من المحرم سنة ١٦٩ هـ ٥ من أغسطس سنة ٧٨٥م

سياسته

اتصف الخليفة الهادي بالغيرة والشهامة والجرأة، ورفض تدخل أمه الخيزران في سياسة الدولة كما كانت تفعل في عهد والده المهدي. وقد واجه الهادي مشاكل خطيرة على رأسها ثورة البيت العلوي بقيادة الحسين بن علي بن الحسن في المدينة سنة ١٦٩ هـ ٧٨٥م، إلا أن الهادي أرسل جيشًا على وجه السرعة نجح في القضاء عليها في ٨ من ذي الحجة سنة ١٦٩ هـ ١١من يونيو سنة ٧٨٦م وحاول الهادي نقل ولاية العهد من أخيه الرشيد إلى ابنه جعفر، الذي لم يكن قد بلغ الثامنة من عمره مخالفًا وصية والده في ترتيب ولاية العهد، إلا أن الموت عاجله فلم يتحقق له ما أراد

وفاته

تُوفي الهادي ليلة الجمعة، نصف ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ نصف أغسطس٧٨٦ م وبذلك تكون مدة خلافته سنة وشهرًا واثنين وعشرين يومًا

الخليفة الخامس: هارون الرشيد ١٧٠- ١٩٣ هـ ٨٠٩٧٨٦ ـ م

هو هارون بن محمد المهدي، وُلد بالرى في آخر ذي الحجة سنة ١٤٥ هـ فبراير سنة ٧٦٣م، وتولى الخلافة في الليلة التي مات فيها أخوه الهادي وعمره اثنان وعشرون عامًا ويُعدُّ الرشيد أشهر خلفاء العباسيين وأبعدهم صيتًا، فقد ملأت أخباره كتب التاريخ شرقًا وغربًا

سياسته العامة

لما استقر الرشيد في بغداد عاصمة الخلافة العباسية قلَّد يحيى البر مكي منصب الوزارة وفوضه في إدارة شؤون البلاد، ومنحه لقب أمير؛ فكان أول من لُقِّب بذلك من الوزراء الفرس في الدولة العباسية

اهتم الرشيد بإقامة العدل في الناس، فأمر بإعادة الأراضي التي اغتصبها أهل بيته في عهد الخلفاء السابقين إلى أصحابها، ورفع الظلم عن المسجونين ظلمًا، وقسم أموال ذوي القربى بين بنى هاشم كلهم بالعدل، وأصدر عفوًا عن المعتقلين السياسيين، فأخرج من كان

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

السجن من العلويين، وسمح لهم بالعودة إلى المدينة، ومنحهم الرواتب، كما أجرى الرشيد تعديلات واسعة في مناصب الدولة كل من مكة والمدينة والطائف والكوفة وخراسان وأرمينية والموصل

موقفه من الشيعة

حاول الرشيد في الأعوام الأولى من خلافته مسالمة العلويين والعفو عنهم، إلا أنه كان يخشى خطورة اثنين منهم فرَّا عقب موقعة الفخ، أما أولهما فهو إدريس بن عبد الله الذي نجح في الوصول إلى المغرب الأقصى وكون دولة الأدارسة، وأما الآخر فهو يحيى بن عبد الله الذي فرَّ إلى بلاد الدَّيلم وتجمع حوله المتشيعون لآل البيت، فأرسل إليه الرشيد جيشًا بقيادة الفضل بن يحي؛ لإرجاعه إلى حظيرة الخلافة، فعاد به إلى بغداد حيث لقيه الرشيد بكل ما أحب، إلا أن الحاسدين سرعان ما وشوا به عند الخليفة بسبب قيام الكثير من العلويين بزيارته والتودد إليه، فأمر الرشيد بسجنه حتى مات

وقد استطاع بعض رجال الحاشية الذين يكنون العداء للبيت العلوي تعميق خوف الرشيد من زعماء البيت العلوي واستغلال ذلك للقضاء عليهم، كما حدث مع موسى الكاظم؛ حيث أمر الرشيد بحبسِه حتى أدركه الموت

موقفه من الخوارج

واصل الخوارج نشاطهم العسكري ضد الخلافة العباسية في عهد الرشيد، فقام الوليد بن طريف الخارجي بحركة تمرد وعصيان في العراق واستولى على أماكن عديدة، إلا أن الرشيد أرسل إليه جيشًا بقيادة يزيد الشيبانى استطاع القضاء على هذه الحركة وقتل قائدها في رمضان سنة ١٧٩ هـ نوفمبر سنة ٧٩٥م

موقفه من البرامكة

تمتع البرامكة في بداية عهد الرشيد بالسلطة والجاه والنفوذ، وتقلدوا مناصب الدولة المهمة، حتى إذا جاء شهر صفر سنة ١٨٧ هـ يناير سنة ٨٠٣م أمر الرشيد بسجنهم، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، فيما عرف في التاريخ بنكبة البرامكة .وقد تضافرت عدة عوامل كانت سببًا فيما فعله الرشيد بالبرامكة، منها

اتهامهم بالزندقة والخروج عن الإسلام باعتبارهم من أصل مجوسي محاولتهم إبعاد العرب عن المناصب المهمة وتقديمهم الفرس لشغلها استبدادهم بالأمور وإظهارهم ما لا تحتمله نفوس الملوك قيام الحاسدين والحاقدين بتضخيم أخطاء البرامكة أن الرشيد كلف جعفر بن يحيى البرمكى بقتل رجل من آل أبي طالب فلم يفعل.

المجتمع في عهد الرشيد

ازدهر المجتمع في عهد الرشيد اقتصاديا وثقافيا وعلميا وعمرانيا .فقد تدفقت الأموال من كل مكان، واتسعت رقعة الدولة واستقر الأمن بها وازدهرت التجارة، وأصبحت بغداد قبلة للطامحين في الثراء والترف، كما قصدها النوابغ والعباقرة والصناع المهرة من سائر الشعوب، وشيدت فيها القصور الرائعة والمساجد الكبيرة، وانتشرت الحدائق العامة، والأسواق المتخصصة كسوق الذهب والنحاس، والنسيج وغير ذلك. وكان الرشيد على قدر عالٍ من الثقافة والمعرفة، واجتمع عنده أقطاب العلم والعمل والسياسة والحرب مثل: أبي يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة، والأصمعي الراوية المشهور، وأبي العتاهية وأبي نواس من الشعراء، وداهية السياسة يحيى البرمكى وابنيه الفضل وجعفر، ومن المغنين إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، ومن الموسيقيين زلزل وبرصوم، وغيرهم من أمراء العباسيين القادة والخطباء والشعراء والساسة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أثناء سفر الرشيد من بغداد إلى خراسان اشتد المرض عليه، وتُوفي صباح يوم الجمعة ٢ من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـــ ٢٣ من مارس سنة ٨٠٩م، وعمره خمس وأربعون سنة. وقد حكم الرشيد البلاد ثلاثة وعشرين عامًا، بلغت فيها الدولة العباسية ذروة مجدها، وقد تحدث عنه كثير من المؤرخين، فقال عنه الطبري: غزا سبع مرات، وجهز عشرين حملة للجهاد في البر و البحر. وقال عنه ابن خلكان: حج في خلافته تسع حجج، وكان يصلى في اليوم مائة ركعة

الخليفة السادس: محمد الأمين ١٩٣ - ١٩٨ هـ ٨١٣٨٠٩ - م

هو محمد بن هارون الرشيد، وُلد بالرصافة وأمه زبيدة ابنة جعفر الأكبر بن المنصور، تولى الخلافة عقب وفاة أبيه هارون الرشيد باعتباره ولي عهده، وكان عمره حينئذٍ ثمانية وعشرين عامًا

الصراع بين الأمين والمأمون

تشير مصادر التاريخ إلى أن بداية الخلاف كانت من جانب الأمين، حين خالف أمر والده الرشيد في مرضه، بأن يكون ما في معسكره من أموال ومتاع وجند لأخيه المأمون، في مرو؛ مما أحدث أثرًا سيئًا في نفس المأمون. وكانت الخطوة التالية قيام الأمين بتعيين ابنه موسى وليا للعهد بدلاً من أخويه المأمون والمؤتمن، فقام المأمون بإسقاط اسم الأمين من الطرز والسّكَة، ومنع البريد من الوصول إليه بأخبار خراسان، ثم طلب من أخيه الأمين أن يرد إليه مائة ألف دينار كان والده الرشيد قد أوصى بها إليه فرفض الأمين، ثم تطور الصراع بينهما إلى المواجهة العسكرية، فجهز الأمين جيشًا بقيادة علي بن عيسى بن ماهان، وجهَّز المأمون جيشًا ضخمًا بقيادة طاهر بن الحسين، ودارت عدة معارك بين الجيشين انتهت بمحاصرة بغداد ومقتل الأمين سنة ١٩٨ هــــ ٨١٣م، وقد دامت خلافة الأمين أربع سنوات وثمانية أشهر وخمسة أيام.

الخليفة السابع: عبد الله المأمون ١٩٨ - ٢١٨ هـ ٨٣٣٨١٣ - م

هو عبد الله بن هارون الرشيد، وُلد في منتصف ربيع الأول سنة ١٧٠ هــــ أغسطس سنة ٧٨٦م وأمه أم ولد فارسية تُسمَّى مراجل، وكان يكنى أبا العباس، ويُلقب بالمأمون. نشأ المأمون نشأة إسلامية، وتلقى العلوم العربية، وتدرَّب على فنون القتال والتزال وقيادة الجند، كما أسند والده الرشيد إلى وزيره جعفر البرمكى مهمة الإشراف على تنشئته، وقد أظهر المأمون نبوغًا خلال دراسته ولما تولى المأمون الخلافة عزم أن يقدم القدوة الصالحة والسيرة الحسنة في الناس حتى يقتدي به رجال دولته، وكان يقول: أول العدل أن يعدل الملك في بطانته، ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ إلى الطبقة السفلىكما اتصف المأمون بالعفو والحلم حتى اشتهر بذلك وهو القائل: لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا إلّي بالجرائم، وأخاف ألا أؤجر عليه، يعني لكونه طبعًا له يستلذ به

سياسة المأمون

انتهج المأمون سياسة واعية تقوم على أسس واضحة منهاتأليف القلوب بالعفو والعطاء، وقد عد اليعقوبى سبع عشرة حادثة يستحق صاحب كل واحدة منها القتل عند أمثال المنصور، لكنها قوبلت عند المأمون بالعفو

العناية بالعلم والعلماء: كان للمأمون ولعٌ بالأمور العلمية والفلسفية، فكان يعقد مجالس المناظرة ويبعث في طلب العلماء والأعلام من بيزنطة لحضورها، وكان يتصيَّد الكتب النادرة ويدفع فيها المبالغ الطائلة، ويجعل حصوله عليها شرطًا من شروط الهدنة ووقف القتال

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ع الروم، كما أقام بيت الحكمة وجعل فيها مكتبة ضخمة، وجهازًا كبيرًا للترجمة من مختلف اللغات إلى اللغة العربية، حشد له سبعين مترجمًا

المأمون والشيعة جمعت سياسة المأمون تجاه الشيعة بين أمرين هما السخط والرضا

أما العنف فقد تمثل في سياسة المأمون تجاه الثورات الشيعية المسلحة التي اندلعت في عدة أماكن، مثل حركة ابن طباطبا العلوي سنة ١٩٩ هـ ٨١٤م، وحركة الحسين بن الحسن في الحجاز، وحركة عبد الرحمن بن أحمد في اليمن سنة ٢٠٧ هـ ٨٢٢م، وقد انتهت هذه الحركات بالفشل في تحقيق أغراضها

وأما الرضا فقد تمثل في قيام المأمون باختيار أحد أبناء البيت العلوي وهو على بن موسى الرضا ليكون ولي العهد من بعده، وهو ما لم يفعله أحد من خلفاء بنى العباس قبله، وقد اختلف المؤرخون في تعليل قيام المأمون بهذا الأمر، فمنهم من فسر ذلك بميول المأمون الشيعية وحرصه على تولية أفضل العناصر ولاية العهد، وآخرون أرجعوا ذلك إلى تأثير الفضل بن سهل وميوله الشيعية. وقد أحدثت بيعة المأمون لعلي بن موسى الرضا بولاية العهد ردود فعل عنيفة في أنحاء الدولة العباسية فرفض أفراد البيت العباسي ومؤيدوهم هذه البيعة، وبايعوا إبراهيم بن المهدي عم المأمون بالخلافة سنة ٢٠٢ هـ ٨١٧م ولما علم المأمون بذلك وهو في مرو بخراسان تحرك قاصدًا بغداد لمعالجة الموقف، وأثناء ذلك مات على الرضا ولي العهد، فهدأ الموقف، وهرب إبراهيم بن المهدي من بغداد، ودخلها المأمون، ثم عفا عنه.

المأمون والفرس

يمكن تقسيم نشاط الفرس في عهد المأمون إلى قسمين :

نشاط سياسي: ويتمثل هذا النشاط في الدور الذي لعبه بنو سهل مع الخليفة المأمون، وهو يشبه تمامًا دور البرامكة مع هارون الرشيد،حيث سلم المأمون الفضل بن سهل مقاليد الأمور، فصارت مهام الدولة في يده، وبدأ في إبعاد العناصر العربية من بلاط المأمون، وتعصب للعنصر الفارسي، وارتكب مجموعة أخرى من الأخطاء؛ مما جعل المأمون يفكر في التخلص منه، فقتل أثناء سفر المأمون إلى بغداد

نشاط عسكري: أما النشاط العسكري فيتمثل في حركة بابك الخرمى،التي تُعدُّ أخطر الحركات الفارسية المعادية للخلافة العباسية، فقد استمرت ما يزيد على عشرين عامًا واتسمت بدقة التنظيم وبراعة القيادة، والاتصال السياسي بالأكراد والأرمن وغيرهم، وكانت تؤمن بمبادئ هامة منها:

الإيمان بالحلول والتناسخ حتى إن زعيمها بابك ادَّعى الألوهية

المشاعية المزدكية في الأموال والأعراض ضرورة التخلص من السلطان العربي والدين الإسلامي. وقد ألحقت هذه الحركة العديد من الهزائم بالجيش العباسي ولم يتم القضاء عليها إلا في عهد المعتصم بالله

وفاة المأمون

ظل المأمون خليفة للمسلمين عشرين سنة وخمسة أشهر وعشرين يومًا، وقد تُوفي في ١٨من رجب سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣م

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

هو محمد بن هارون الرشيد، وُلد في شعبان سنة ١٨٠ هـــ أكتوبر سنة٧٩٦ م، وأمه جارية تركية اسمها ماردە، وقد تولى الخلافة عقب وفاة أخيه المأمون. كان المعتصم يتميز بقوته الجسمية وشدته في الحرب، حتى قيل عنه: إنه كان يصارع الأسود ويحمل ألف رطل ويمشي به خطوات ويشد على الدينار بأصبعه السبابة والوسطى فيمحو كتابته، وقال عنه المؤرخون: إنه لم يكن في بنى العباس قبله أشجع منه ولا أتم تيقظًا ولا أشد قوة. ومع ذلك فقد كان المعتصم على خلاف أخويه الأمين والمأمون في العلوم والآداب، فقد كان قليل البضاعة منهما، حتى ذكر بعض المؤرخين أنه نشأ أميا لا يكتب، أو أنه كان ضعيف الكتابة على حد قول ابن خلكان وابن كثير.

سياسة المعتصم

اختلفت الأوضاع السياسية في عهد المعتصم عنها في عهد من سبقه،بسبب ظهور عوامل جديدة على مسرح الأحداث، كان في مقدمتها ظهور العنصر التركى قوة مؤثرة في حركة الأحداث؛ فتمتع الأتراك بصفات عسكرية كالشدة والقوة والتحمل جعل المعتصم يستكثر منهم، يضاف إلى ذلك أن أمه تركية. إلا أن كثرة الأتراك سببت أضرارًا كبيرة لسكان بغداد، مما دفع المعتصم إلى البحث عن مكان جديد يكون عاصمة له فوقع الاختيار على المكان الذي بنيت عليه مدينة سُرّ من رأى سامراء حاليا التى بُدء البناء فيها سنة ٢٢١ هـــ ٨٣٦م، ويتميز موقعها بميزات سياسية واقتصادية وعسكرية، فمن الناحية السياسية فإنها في موقع متوسط يسهل الاتصال بأنحاء الدولة، ومن الناحية الاقتصادية فإن موقعها يسهل عمليات التبادل التجارى بين النواحى الشمالية والجنوبية، وعسكريا فإن إحاطة المياه بها يجعلها في مأمن من أى عدوان خارجى. ومن الأعمال العظيمة التى تنسب إلى المعتصم بالله نجاحه في القضاء على ثورة بابك الخرمى، فحينما تولى أمر البلاد جهز جيشًا بقيادة الأفشين وزوَّده بكل أدوات القتال وبالمال اللازم؛ حيث دارت عدة معارك، انتهت بالقبض على بابك الخرمى وإعدامه.

المعتصم والشيعة

لم تظهر في عهد المعتصم حركات علوية مؤثرة كالحركات التى حدثت في عهد الخلفاء السابقين، وإنما حدثت بعض الحركات الضعيفة، و منها حركة محمد بن القاسم المعروف بالصوفي، سنة ٢١٩ هـــ ٨٣٤م: والذي تحرك في عدة أماكن كالحجاز والكوفة ثم استقر في خراسان، وشكلت حركته خطرًا على الدولة العباسية، فكلف المعتصم واليه على خراسان عبد الله بن طاهر بالتصدى لهذه الحركة؛ حيث نجح في القضاء عليها

وفاة المعتصم بالله سنة ٢٢٧ هـ ٨٤١م

تُوفي المعتصم بالله في شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـــ ديسمبر سنة٨٤١ م، وقد أطلق عليه بعض المؤرخين المُثَمن، لأن خلافته دامت ثمانى سنين وثمانية أشهر ويومين، ومولده في الشهر الثامن من العام الهجرى، ومات عن ثمانية بنين وثمانى بنات

الخليفة التاسع :الواثق بالله: ٢٢٧ - ٢٣٢ه = ٨٤١ - ٨٤٧م

هو هارون بن المعتصم بالله، يكنى أبا جعفر وأمه أم ولد رومية تُسمى قراطيس، وكان فطنًا لبيبًا فصيحًا ينظم الشعر ويحب الموسيقى. وقد تولى الواثق بالله الحكم يوم وفاة والده المعتصم

سياسة الواثق بالله

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

أولاً: تمسكه بمذهب المعتزلة، حتى جعله المذهب الرسمى للدولة، مما أثار أهل السنة ضده، إلا أنه تصدى لهم وقبض على زعمائهم

ثانيًا: تقريبه للأتراك جريًا على سياسة والده المعتصم، حتى إنه قسم البلاد بين رجلين من الأتراك، الأول أشناس وأعطاه الشطر الغربى من الدولة إلى آخر بلاد المغرب، والثانى قائده إيتاخ وأعطاه الشطر الشرقى: دجلة وفارس والسند، وكان كل منهما يعين الولاة الذين يريدهم، هذا بالإضافة إلى عدد من القادة الأتراك الذين شغلوا مناصب خطيرة، مثل: وصيف التركى الذي أوكل إليه الواثق القضاء على ثورة المتمردين الأكراد، وبغا الكبير الذي أخمد ثورة الأعراب بنواحى المدينة. وكان الواثق يغدق عليهم الأموال والهدايا

ثالثًا: مصادرة أموال كبار الموظفين، مثل أحمد بن إسرائيل، الذي أخذ منه ثمانين ألف دينار، وسليمان بن وهب كاتب إيتاخ، الذي أخذ منه أربعمائة ألف دينار، وغيرهما، مما ترك آثارًا سيئة في الجهاز الإدارى والاستقرار المالى للدولة، وأصابهما بالفساد والخلل

رابعًا: إحسانه إلى بعض طوائف الأمة، وفي مقدمتهم العلويون حيث أغدق عليهم الأموال.

وفاة الواثق بالله

استمر الواثق في مقعد الخلافة خمس سنين وتسعة أشهر، ثم أُصيب بمرض الاستسقاء، ومات في ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ يوليو سنة ٨٤٧م، وعمره اثنان وثلاثون عامًا، وقيل: ستة وثلاثون

.السمات العامة للعصر العباسي الأول ١٣٢ – ٨٤٧٥٢٣٢ - ٧٤٩ = م

امتد العصر العباسي الأول مائة سنة، تولى الخلافة خلالها تسعة خلفاء، بدءًا من أبي العباس وانتهاءً بالواثق بالله، ويمكن تقسيم هذا العصر إلى ثلاثة عهود رئيسية

عهد التأسيس من سنة: ١٣٢ هـ ٧٤٩م إلى سنة ١٥٨ هـ ٧٧٥م، ويشمل خلافة أبي العباس والمنصور

عهد الاستقرار: من سنة ١٥٨ هـ ٧٧٥م إلى سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣م، ويشمل خلافة المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون

عهد القلق: من سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣م إلى سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٧م، ويشمل المعتصم بالله والواثق بالله

ويتميز العصر العباسي الأول بالسمات الآتية

أولاً: كثرة الصراعات :ومن ذلك

الصراع بين العرب –ومنهم أسرة الخلافة–والفرس–ومنهم الوزراء والإداريون وغيرهم مثلما حدث بين الرشيد و البرامكة، والمأمون وبنى سهل الصراع بين فروع البيت الهاشمي: العباسيين، والعلويين، مثلما حدث بين الخليفة المنصور ومحمد النفس الزكية

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

الصراع بين الخلافة العباسية والحركات المعادية لها من العرب وغيرهم، وقد تمثل ذلك في حركات الخوارج الصراع بين الإسلام الدين الرسمي للدولة– وبين العقائد الأخرى التى ظهرت في بلاد فارس كالخُرَّمية وغيرها من العقائد الفاسدة ثانيًا: اتساع العلاقات الخارجية فقد بسطت الخلافة العباسية سلطانها على بلادٍ كثيرة شرقًا وغربًا، وتعددت علاقاتها مع الدول الأخرى وفي مقدمتها

الدولة البيزنطية

وكانت العدو التقليدي للدولة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد اشتد هذا العداء بعد استيلاء المسلمين على بعض المناطق التي كانت خاضعة للدولة البيزنطية، كالشام ومصر والمغرب وخلال العصر العباسي الأول حدث الاحتكاك المباشر بين القوات الإسلامية والبيزنطية على الحدود الشمالية في منطقة الشام، فقد استغلت الدولة البيزنطية انشغال الخليفة العباسي الأول أبي العباس عبد الله بن محمد، بتثبيت أركان الدولة سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩م، وقامت بمهاجمة الحصون والثغور الإسلامية؛ فأمر الخليفة أبو العباس واليه على الشام بالإعداد لمواجهة البيزنطيين، ولكن الموت عاجله، وجاء المنصور فأمر بتحصين الثغور وإعادة بناء ما هدمه البيزنطيون، وجعل لها حكمًا إدارياً مستقلاً، وحشد فيها آلاف المقاتلين والمرابطين في سبيل لله

وكانت هذه الثغور تنقسم إلى قسمين

الثغور الجزرية: للدفاع عن الجزيرة الفراتية وشمال العراق وأهم حصونها ملطية والمصيصة، ومرعش.

الثغور الشامية: وتقع غرب الثغور الجزرية، وهى للدفاع عن الشام، وأهم حصونها طرسوس، وأدنة

وفي سنة ١٦٢ هـ ٧٧٩م أرسل المهدي جيشًا ضخمًا بقيادة الحسن بن قحطبة، فتوغل في بلاد الروم ونشر الرعب بين صفوفهم

وفي سنة ١٦٣ هـ ٧٨٠م خرج المهدي بنفسه على رأس الجيش متجهًا إلى الحدود البيزنطية، ووصل إلى الموصل ثم حلب؛ حيث ترك ابنه هارون الرشيد ليتابع جهاده ضد البيزنطيين، وفي عهد الرشيد ١٧٠– ١٩٣ هـ ٧٨٦– ٨٠٩م أمر بجعل منطقة الثغور منطقة مستقلة باسم الثغور والعواصم وأقام خطين للدفاع عن حدود الدولة مع البيزنطيين، الخط الأول هو الثغور، والخط الثانى إلى الجنوب من الخط الأول، ويُسمَّى :العواصم

كما قام الرشيد ببناء حصون جديدة، مثل عين زرية، وزبطرة وغيرهما .وقد حاول نقفور إمبراطور الدولة البيزنطية الامتناع عن دفع الجزية للخلافة العباسية، فأرسل إليه الرشيد يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام. وخرج الرشيد بنفسه على رأس جيش ضخم ألحق الهزيمة بالقوات البيزنطية وأرغم الإمبراطور نقفور على الخضوع ودفع الجزية مرة أخرى

ونظرًا لكثرة المعارك بين العباسيين والبيزنطيين، فقد وقع كثير من جنود الطرفين أسرى، وقد حرصت الخلافة العباسية على فداء أسرى المسلمين، في عهد الرشيد سنة ١٨١ هـ ٧٩٧م. وقد سار المأمون ١٩٨ – ٢١٨ هـ ٨١٣ – ٨٣٣م على سياسة والده نفسها، في استمرار النشاط العسكري ضد البيزنطيين، وكان النصر حليف المسلمين

وتعدُّ معركة عمورية سنة ٢٢٣ هـ ٨٣٨م، أبرز المعارك بين المسلمين والبيزنطيين في عهد المعتصم بالله، وكان سببها اعتداء الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل على بعض الثغور و الحصون على حدود الدولة الإسلامية، وحين بلغ المعتصم ما وقع للمسلمين في هذه المدن، وصيحة امرأة مسلمة وقعت في أسر الروم: وامعتصماه، فأجابها وهو جالس على سريره: لبيك لبيك، و

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

جيشًا ضخمًا أرسله على وجه السرعة لإنقاذ المسلمين، ثم خرج بنفسه على رأس جيش كبير وفتح مدينة عمورية، وهى من أعظم المدن البيزنطية، واستولى على ما بها من مغانم وأموال كثيرة جدا.

الدولة الأموية بالأندلس

وكانت علاقة العباسيين بها علاقة عداء وتربص، فقد استطاع عبد الرحمن بن معاوية–بعد فراره من العباسيين إلى الأندلس –أن يؤسس الدولة الأموية بالأندلس وعاصمتها قرطبة سنة ١٣٨ هـ ٧٥٥م

وقد حاولت الخلافة العباسية بسط نفوذها على بلاد الأندلس و القضاء على الدولة الأموية بها، فدبَّر أبو جعفر المنصور ثورة العلاء بن مغيث الجذامى في مدينة باجة الأندلسية سنة ١٤٦ هـ ٧٦٣م، وقام المهدي بمساندة الثورات الداخلية التي كانت تقوم لحساب الدولة العباسية، ولكن كل هذه المحاولات والثورات باءت بالفشل بسبب يقظة الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل وحزمه، وقد لقبه أبو جعفر المنصور بصقر قريش، بل إن عبد الرحمن الداخل أشاع عزمه على غزو الشام وانتزاعه من الدولة العباسية، وكتب إلى أنصاره في الشام بذلك وعهد إلى ابنه سليمان بولاية الأندلس، وذلك بغرض إزعاج الدولة العباسية وإرغامها على وقف محاولاتها المستمرة لاسترداد بلاد الأندلس

الدولة الكارولونجية

وكانت إحدى القوى الناشئة في غربي البحر المتوسط جنوبي فرنسا حاليا، وقام بينها وبين الدولة العباسية علاقات سياسية، وجرى

تبادل السفراء بين الدولتين في عهد هارون الرشيد، وقد سعى زعيم الدولة الكارولونجية شارلمان إلى كسب وده لتعزيز موقفه الداخلي و الخارجي، وتبادل معه الهدايا الثمينة.

الأوضاع الحضارية في العصر العباسي الأول

أولاً: النظام السياسي والإداري،ويشمل الخلافة

وقد أقام العباسيون دولتهم سنة ١٣٢هـ = ٧٤٩م وتولى أول خلفائهم أبو العباس عبد الله بن محمد السلطة بناءً على وصية أخيه إبراهيم الإمام بعد وقوعه فى قبضة الأمويين، وقد حكم أبو العباس أربع سنوات، وقبيل وفاته عهد إلى أخيه أبى جعفر المنصور بولاية العهد من بعده، ومن بعد أبى جعفر، عيسى بن موسى، وكتب العهد بهذا وصره فى ثوب وختم عليه بخاتمه وخواتم أهل بيته وسلمه إلى عيسى بن موسى

ومن هنا نلاحظ أن الحكم قد بدأ وراثيا فى عهد الدولة العباسية منذ اللحظة الأولى، واقتصر على أهل البيت العباسي، كما أن أكثر الخلفاء كان يوصى بولاية العهد إلى أكثر من شخص؛ مما أدى إلى صراعات ساعدت على تصدع الدولة العباسيةوحين تولى أبو جعفر المنصور الخلافة واجه اعتراضًا من عمه عبد الله بن على الذي رفض مبايعته، ودعا لنفسه بالخلافة مدعيًا أنه ولى عهد أبى العباس، مما دعا المنصور إلى توجيه جيش له بقيادة أبى مسلم الخراسانى تمكن من القبض عليه والقضاء على دعوته وقد نقل المنصور ولاية العهد من ابن أخيه عيسى بن موسى إلى ابنه محمد، الذي تولى الخلافة بعد أبيه المنصور سنة ١٥٨هـ = ٧٧٥م ولقب بالمهدى، واستمر فى منصبه حتى تُوفِّى سنة ١٦٩هـ = ٧٨٥م؛ حيث تولى ابنه موسى الملقب بالهادي، ولم يمكث سوى سنة واحدة فى الحكم؛ حيث تولى

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

من بعده أخوه هارون الرشيد، ومنذ عهد الرشيد أصبح الصراع السياسي على السلطة إحدى السمات المميزة للعصر العباسي الأول، وكان الصراع بين الأمين والمأمون من الأمثلة المعبرة عن هذه السمة، وقد انتهى بقتل الأمين وتولية المأمون الخلافة.

الوزارة

تُعدُّ الوزارة المنصب الثاني بعد الخلافة فى الدولة العباسية وقد قسَّم فقهاء المسلمين الوزارة إلى نوعين

وزارة التفويض حيث يفوض الخليفة الوزير فى تدبير أمور الدولة برأيه واجتهاده، فتكون له السلطة المطلقة فى الحكم والتصرف فى شئون الدولة

وزارة التنفيذ حيث يكون الوزير وسيطاً بين الخليفة والرعية والولاة، ومجرد منفذ لأوامر الخليفة.

وقد أحدث العباسيون نظام الوزارة فى بداية دولتهم متأثرين فى ذلك بالنظم الفارسية، ولم تكن مسئوليات الوزير فى بداية الأمر تبعد كثيرًا عن مسئوليات الكاتب، وقد حصر أبو جعفر المنصور مهمة الوزير فى التنفيذ وإبداء الرأي والنصح، ولم يكن له وزير دائم، ومن وزرائه: الربيع بن يونس الذي اشتهر باللباقة والذكاء وحسن التدبير والسياسة

وقد ظهرت شخصية الوزراء إلى حد كبير فى عهد الخليفة المهدى، لما ساد الدولة من هدوء نسبى، ومن هؤلاء الوزراء الأقوياء يعقوب بن داود، ثم صار للوزارة شأن كبير فى عهد الرشيد، والمأمون لاعتماد الأول على البرامكة، والثاني على بنى سهل، فمُنِحَ يحيى البر مكي وزير الرشيد، والفضل بن سهل وزير المأمون صلاحيات وسلطات واسعة، جعلت نفوذهما يمتد إلى جميع مرافق الدولة، ولكن سرعان ما تم التخلص منهما.

الكتابة كانت طبقة الكُتَّاب ذات أهمية كبيرة فى الدولة العباسية، وكان الكاتب ذا علم واسع وثقافة عريضة؛ لأنه يقوم بتحرير الرسائل الرسمية والسياسية داخل الدولة وخارجها، كما يتولَّى نشر القرارات والبلاغات والمراسيم بين الناس، ويجلس على منصة القضاء بجوار الخليفة لينظر فى الدعاوى والشكاوى ثم يختمها بخاتم الخليفة. ومن أشهر الكُتَّاب فى العصر العباسي الأول يحيى بن خالد بن برمك فى عهد الرشيد، والفضل والحسن ابنا سهل، وأحمد بن يوسف في عهد المأمون، ومحمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب، وأحمد بن المدبر في عهد المعتصم والواثق

الحجابة وهي وظيفة تقوم بمساعدة الحكام فى تنظيم الصلة بينهم وبين الرعية، فالحاجب واسطة بين الناس والخليفة، يدرس حوائجهم، ويأذن لهم بالدخول بين يدي الخليفة أو يرفض ذلك إذا كانت الأسباب غير مقنعة؛ وذلك حفاظًا على هيبة الخلافة وتنظيمًا لعرض المسائل حسب أهميتها على الحاكم الأعلى للبلاد

وقد اقتدى العباسيون بالأمويين فى اتخاذ الحُجَّاب، وأسرفوا فى منع الناس من المقابلات الرسمية، ولعل هذا هو السبب المباشر فى نشأة ما أسماه ابن خلدون الحجاب الثاني، فكان بين الناس والخليفة حاجزان عبارة عن دارين، أحدهما يُسمَّى دار الخاصة والآخر دار العامة، وكان الخليفة يقابل كل طائفة حسب حالتها وظروفها فى إحدى هاتين الدارين تبعًا لإرادة الحُجَّاب على أبوابها

ولاية الأقاليم المقصود بالأقاليم: المناطق التي تتكون منها الدولة ▪وقد كان النظام الإداري فى الدولة العباسية نظامًا مركزيا؛ حيث صار الولاة على الأقاليم مجرد عمال للخليفة على عكس ما كانوا عليه فى الدولة الأموية

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

قسم العباسيون الولاية على الأقاليم إلى قسمين، وخصوصًا فى عهد الرشيد، الأول: الولاية الكبرى وهى التي تكون لأحد الخليفة أو شخص مقرب من الخليفة؛ حيث يتولى هذا الوالي عدة أقاليم فى الدولة ويقوم بتصريف أمورها من العاصمة، أو من أحد تلك الأقاليم بعد الرجوع إلى الخليفة، ويرسل إليها ما يشاء من الولاة. الثاني: الولاية الكاملة: حيث يتمتع الوالي ببعض السلطات التي توسع دائرة نفوذه، مثل النظر فى الأحكام وجباية الضرائب والخراج وحماية الأمن وإمامة الصلاة وتسيير الجيوش للغزو

الدواوين ظهرت الدواوين فى الدولة الإسلامية، كبقية المؤسسات الإدارية، نتيجة لاحتياج المسلمين إليها، وقد جعل ابن خلدون وجود الديوان من الأمور اللازمة للملك. وللديوان أهمية كبرى فيما يتعلق بأموال الدولة وحقوقها وحصر جنودها ومرتباتهم، ويرجع الفضل فى تنظيم الدواوين فى العصر العباسي إلى خالد بن برمك

وقد اهتم الخلفاء العباسيون بالدواوين؛ فكثرت اختصاصاتها وتنوعت بسبب التعاون الوثيق بين العباسيين والفرس، فقد أخذ العباسيون الخبرة الفارسية فى مجال الإدارة، كما احتفظوا ببعض تنظيمات الدولة الأموية، خصوصًا فى الدواوين والدوائر الرسمية، كما استحدثوا بعض الدواوين كديوان المصادرات، وديوان الأزمّة المحاسبة وديوان المظالم، وغيرها

القضاء وهو من الوظائف المهمة فى الدولة الإسلامية، ويقوم على المحافظة على حقوق الرعية وإقرار العدل والإنصاف بين جميع الطبقات، وحماية الأخلاق العامة، مستمدا أحكامه من الكتاب والسنة ، ونظرًا لأهمية هذا المنصب فقد وضع العلماء المواصفات التي يجب توافرها فى القاضي، و منها: أن يكون رجلاً قوياً عاقلاً حرا مسلمًا عادلاً، ويتمتع بالسلامة فى السمع والبصر، وأن يكون عالمًا بأحكام الشريعة وقد حظي القضاة فى العصر العباسي الأول بالتبجيل والاحترام، وكان تعيينهم وعزلهم يتم بأمر الخليفة، وأول من فعل ذلك الخليفة المنصور، فقد عين قضاة البلاد بأمره سنة ١٣٦هـ = ٧٥٣موقد استقرت المذاهب الفقهية فى عهد الدولة العباسية، وتحددت مهام القضاة وكيفية الإجراء القضائي، وتوحد القانون وأصبحت جلسات القاضي علنية فى المسجد وخصوصًا فى عهد المأمون كما اهتم خلفاء العباسيين بالتثبت من الأحكام، فعيَّنوا جماعة من المُزَكِّين، وظيفتهم تتبع أحوال الشهود، فإذا طعن الخصم فى شهادة أحد الشهود سُئل عنه المزكي، كما اهتموا بأحوال القضاة المادية حتى يعيشوا فى يسر ورخاء وقد تطور القضاء بصورة ملحوظة فى العصر العباسي الأول، وظهر منصب قاضى القضاة، وكان يقيم فى عاصمة الدولة، ويقوم بتعيين القضاة فى الأقاليم والبلاد المختلفة، وأول من لقب قاضى القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، صاحب كتاب الخراج، فى عهد الرشيد

ثانيًا: الأوضاع الاقتصادية والعمرانية

أدرك الخلفاء العباسيون أهمية الاقتصاد وتنمية الموارد المالية لمواجهة النفقات المتعددة للدولة، واتخذ المنصور عدة خطوات لزيادة موارد الدولة، فاستحدث نظام المصادرات للاستيلاء على الأموال لمواجهة أعباء الثورات والحركات التي واجهها، وأعاد النظر فى مقادير الضرائب المفروضة على الكور وفى عهد الرشيد ازدهرت أحوال الدولة الاقتصادية، وارتفع مستوى المعيشة، بسبب تدفق الأموال على خزانة الدولة فى بغداد، وتعدد موارد الدولة المالية، فكان منها الزكاة، والخراج، والجزية، وأخماس المعدن، والرسوم على التجارة الخارجية، وغيرها. وقد أسهمت تلك الموارد فى سدّ النفقات فى مجال النشاط العسكري والأمني، ومجال البناء والتعمير وإنشاء المدن، مثل مدينة بغداد وسامراء.

مدينة بغداد

يرجع الفضل فى بنائها إلى الخليفة أبي جعفر المنصور ودفعه إلى ذلك عدة أسباب، منهاثورة الرواندية سنة ١٤١هـ = ٧٥٨م وما شكّلته من خطر كبير على المنصور نفسه؛ الأمر الذي جعله يفكر جديا فى الانتقال من الهاشمية لأنها لم تكن بالعاصمة الحصينة التي

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

يامن فيها على نفسه أن الهاشمية وهى العاصمة المؤقتة للدولة العباسية كانت قريبة من الكوفة مركز التشيع؛ مما يشكل خطرًا على العباسيين رغبة المنصور فى إنشاء عاصمة جديدة تليق بالدولة وتخلد ذكره من بعده وقد جرت عدة محاولات لاختيار المكان المناسب لبناء عاصمة الدولة الجديدة، حتى وقع الاختيار على المكان الذي بنيت فيه مدينة بغداد؛ وروى فيها أن تتمتع بمزايا عديدة أهمها أنها قريبة من خراسان مهد الدعوة العباسية، فضلاً عن قربها من المراكز العربية الأخرى، وبعدها عن مراكز الاحتكاك البيزنطي وأنها تقع بين نهرين كبيرين هما دجلة والفرات، وهما يشكلان خطين للدفاع عن المدينة وأنها تقع وسط العراق وعلى مسافة متساوية بين البصرة والموصل؛ مما يجعلها سوقًا للبضائع والمنتجات،وملتقى للقوافل التجارية البرية والنهرية؛ إذ إنها تقع أيضًا على طريق الشام الخليج العربيهذا بالإضافة إلى طبيعة المكان السهلة والمفتوحة؛ مما يشبع رغبة العرب والمسلمين الذين اعتادوا السكنى فى مثل هذه الأماكن وقد حشد المنصور لبنائها العمال المهرة فى الصناعة والبناء، وابتدأ فى بنائها سنة ١٤٥هـ٧٦٢ = م، وفقًا لأرجح الأقوال وقد تم تصميم المدينة على شكل دائري، يحيط بها سور، ولها أربعة أبواب، وبلغت نفقات بنائها حينئذٍ ثمانية عشر مليون درهم، وأُطلق عليها اسم دار السلام، إلا أن الشائع هو اسمها القديم بغداد.

مدينة سامراء

أسسها الخليفة العباسي المعتصم بالله ٢١٨ – ٢٢٧هـ٨٤٢–٨٣٣ = م وجعلها عاصمة للخلافة، وقد دفعه إلى إنشائها احتكاك الجنود الأتراك الذين جلبهم الخليفة للإقامة معه فى بغداد، بسكان المدينة وجنودها السابقين، مما أدى إلى حدوث إصابات كثيرة بين سكان بغداد ومقتل كثير من النساء والأطفال والشيوخ، فاضطر الخليفة المعتصم بالله إلى البحث عن مكان جديد، ينتقل إليه مع جنوده وحاشيته؛ فوقع الاختيار على أرض سامراء، على بعد ستين ميلاً شمالي بغدادوقد حشد لها المعتصم العمال والبنائين وأهل الصناعات المهرة، وشرع فى بنائها سنة ٢٢١هـ = ٨٣٦م

ثالثًا: الحياة الفكرية

شهد العصر العباسي الأول نهضة فكرية عظيمة، وطفرة ثقافية كبيرة فى شتى مجالات العلم والمعرفة نتيجة امتداد رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها واهتمام الخلفاء بالحياة الفكرية وقد ميز علماء المسلمين بين نوعين من العلوم

علوم تتصل بالقرآن الكريم، وهى العلوم النقلية أو الشرعية، وتشمل علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة والبيان والأدب

علوم أخذها العرب عن غيرهم من الأمم، وهى العلوم العقلية وتشمل: الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا

وقامت المساجد بدور فعَّال فى نشر الثقافة الإسلامية؛ حيث كانت تكتظ بحلقات العلم والدرس، وبخاصة العلوم الشرعية التي ازدهرت فى العصر العباسي، ونشأت فى كنف علمي التفسير والحديث، ولم يكن الحديث مقصورًا على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما ضم أيضًا ما كان مأثورًا عن الصحابة، ومن أشهر رجال الحديث فى ذلك العصر: حماد بن سلمة المتوفى سنة ١٦٥هـ، وسفيان بن عيينة بمكة المتوفى سنة ١٩٨هـ، ووكيع بن الجراح بالكوفة المتوفى سنة ١٩٦هـ، وعبد الله ابن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ، وسفيان الثوري بالكوفة المتوفى سنة ١٦١ه، وعبد الرحمن الأوزاعى بالشام المتوفى سنة ١٥٧هـ، وعبد الملك بن جريح المتوفى سنة ١٥٠هـ، ومعمر بن راشد باليمن ١٥٣هـ، وسعيد بن أبى عروبة بالبصرة المتوفى سنة ١٥٦هـ، ومالك بن أنس بالمدينة

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

من أبرز المؤلفات فى هذا المجال: كتاب الموطأ الذي ألفه الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة المدينة المنورة بناءً على طلب المنص
فيروى أن الخليفة أبا جعفر المنصور قابل الإمام مالكًا فى موسم الحج، وكلَّمه فى مسائل كثيرة من العلم، ثم قال له: يا أبا عبد الله لم يبقَ فى الناس أفقه منى ومنك، وإني قد شغلتني الخلافة فاجمع هذا العلم ودونه ووطئه للناس توطئة، وتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر، ورُخَص عبد الله بن عباس، وشواذ عبد الله بن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضى الله عنهم. فاعتذر الإمام مالك، فلم يقبل المنصور منه، فوضع مالك كتاب الموطأ. ولم تظهر الطريقة المنظمة فى التفسير إلا فى العصر العباسي الأول؛ حيث كان قبل ذلك غير منظم ويقتصر على تفسير آيات صغيرة غير مرتبة حسب ترتيب السور والآيات باستثناء تفسير ابن عباس

وأهم المفسرين فى العصر العباسي الأول مقاتل بن سليمان الأزدى المتوفى سنة ١٥٠هـ، ومحمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ، ولم يصل من تفاسير هؤلاء شئ إلينا

وازدهرت دراسة الفقه ازدهارًا عظيمًا وكانت له مدرستان، الأولى مدرسة أهل الرأي والقياس فى العراق ومؤسسها أبو حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠هـ، وخلفه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٨٢هـ، ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ، والثانية مدرسة أهل الحجاز ومؤسسها مالك بن أنس وتسمى مدرسة أهل الحديث، ثم جاء الإمام الفقيه محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة٢٠٤ هـ، وجمع بين هاتين المدرستين، أي جمع بين طريقة الحجازيين فى الاعتماد على الكتاب والسنة و طريقة العراقيين فى الاعتماد على الرأي، ومن العلوم التي ظهرت وتطورت في ذلك العصر: علم الكلام، ويقصد به الجدل الديني في الأمور العقيدية ويسمى المشتغلون به المتكلمين، ومن أشهر فرقهم المعتزلة الذين دخلوا في محاورات ومجادلات مع غيرهم من المرجئة والرافضة والشيعة، والنصارى، واليهود، والمانويين وأهم رجال المعتزلة واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١هـ، وعمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٥هـ، وبشر بن المعتمر المتوفى سنة ٢١٠هـ، و ثمامة بن أشدس المتوفى سنة ٢١٣هـ، وأبو الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٢٧هـ

و شهد ذلك العصر نخبة كبيرة من علماء اللغة، منهم: أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ٥٤هـ، وخلف الأحمر المتوفى سنة ١٨٠هـ، والأصمعي صاحب الأصمعيات المتوفى سنة ٢١٣ هـ، وأبو زيد الأنصاري صاحب كتاب النوادر المتوفى سنة٢١٤ هـ، وأبو عبيدة صاحب نقائض جرير والفرزدق المتوفى سنة ٢١٠هـ، ومحمد بن سلام الجمحي، وحماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥هـ، والمفضل الضبي، وأبو عمرو الشيبانى المتوفى سنة ٢٠٦هـ، وأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ

وفي النحو: عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩هـ، و الخليل الواضع الحقيقي لعلم النحو المتوفى سنة ١٧٠هـ، و سيبويه المتوفى سنة ١٨٠هـ، ومعاذ بن مسلم الهراء المتوفى سنة ١٨٧هـ، والكسائي المتوفى سنة ١٨٩هـ، والفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ، و عنى كثير من اللغويين والنحاة بكتابة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأشهرهم محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ، وابن هشام المتوفى سنة ٢١٣هـ، ومحمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات المتوفى سنة٢٣٠ هـ

كما نشطت كتابة التاريخ فى العصر العباسي الأول، وأشهر من اشتغل بذلك العلم: محمد بن الحسين بن زبالة، وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدى المتوفى سنة ١٥٧هـ، وسيف بن عمر التميمي المتوفى سنة ١٨٠هـ، وهشام بن محمد الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤هـ، والمدائنى المتوفى سنة ٢٢٥هـ. كما شهد ذلك العصر نخبة كبيرة من فحول الشعراء على رأسهم بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٨هـ، وأبو نواس الحسن ابن هانىء المتوفى سنة ١٩٥هـ، وأبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١هـ، ومسلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨هـ، وأبو تمام حبيب بن أوس المتوفى سنة ٢٣١هـ، وتطور النثر فى العصر العباسي الأول بعد دخول كثير من الثقافات

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ليونانية والفارسية والهندية التي امتزجت به، وأهم فنون النثر فى ذلك الوقت الخطابة والوعظ،و المناظرات، والرسائل الديوانية – العهود والوصايا والتوقيعات– والرسائل الإخوانية والأدبية، ومن أعلام الكتاب فى ذلك العصر

ابن المقفع المتوفى سنة ١٤٣هـ، وسهل بن هارون المتوفى سنة ٢١٥هـ، وأحمد بن يوسف المتوفى سنة ٢١٣هـ، وعمرو بن مسعدة ٢١٧هـ.

وقد شجع الرشيد العلم والعلماء، وأنشأ بيت الحكمة، وجمع فيه كثيرًا من المؤلفين، والمترجمين والنساخ. ومن أشهرهم: سهل بن هارون، والحسين بن سهل، والفضل بن نوبخت، وكانوا يترجمون من الفارسية إلى العربية. وحنين بن إسحاق، ويوحنا البطريق، ويوحنا بن ماسويه، وكانوا يترجمون من اليونانية والسريانية إلى العربية،

وفى عهد المأمون نشطت حركة الترجمة والنقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، فأرسل البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب

وبجانب اهتمام الخلفاء بحركة الترجمة والنقل، اهتم ذوو اليسار الأغنياء بتشجيع العلم والإنفاق على الترجمة إلى اللغة العربية، ومنهم محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر الذين أنفقوا أموالاً ضخمة فى ترجمة كتب الرياضيات، وكانت لهم آثار قيمة فى الهندسة والموسيقى والنجوم، وقد أرسلوا حنين بن إسحاق إلى بلاد الروم فجاءهم بطرائف الكتب وفرائد المصنفات

وقد اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي تُرجمت إلى العربية، وتفسيرها والتعليق عليها، وتصحيح أخطائها، ومن هؤلاء: يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي ترجم كثيرًا من كتب الفلسفة وشرح غوامضها، ونبغ فى علوم الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم. ومن العوامل التي ساهمت فى ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسي الأول ظهور الورق واستخدامه فى الكتابة، وقد أنشأ الفضل بن يحيى البرمكي مصنعًا للورق فى عهد الرشيد ببغداد، فانتشرت الكتابة فيه لخفته بعد أن كانوا يكتبون على الجلود والقراطيس المصنوعة بمصر من ورق البردي.

العصر العباسي الثاني٦٥٦ - ٢٣٢ هـ = ٨٤٧ ١٢٥٨ - م

يمتد العصر العباسي الثاني أكثر من أربعة قرون، وقد قسم المؤرخون هذه الفترة إلى أربعة عصور رئيسية هي:

أولا– عصر نفوذ الأتراك

ثانيا– عصر البويهيين

ثالثا– عصر السلاجقة

رابعا– عصر ما بعد السلاجقة

أولاً: عصر نفوذ الأتراك ٢٣٢ - ٣٣٤هـ٩٤٥ - ٨٤٧ = م

كان المأمون أول من استخدم الأتراك وقربهم، ولكنهم كانوا محدودي العدد والنفوذ في عهده، فلما تولى الخليفة المعتصم الحكم جعلهم عنصرًا أساسيا في جيشه، وبلغ عددهم بضعة عشر ألفًا، وكانوا تحت سيطرة الخليفة. وبدأ نفوذ الأتراك يتزايد في عهد الواثق، ثم ازداد حدة واتساعًا في عهد الخليفة المتوكلويمتد عصر نفوذ الأتراك إلى ما يزيد قليلاً على قرن من الزمان، تعاقب خلاله على كرسي الخلافة ثلاثة عشر خليفة هم

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وكل على الله جعفر بن المعتصم ٢٤٧ – ٢٣٢ هـ = ٨٤٧ – ٨٦١م

المنتصر بالله محمد بن المتوكل ٢٤٧ – ٢٤٨ هـ = ٨٦١– ٨٦٢م

المستعين بالله أحمد بن المعتصم ٢٥٢ – ٢٤٨ هـ = ٨٦٢– ٨٦٦م.

المعتز بالله محمد أبو عبد الله بن المتوكل ٢٥٢ – ٢٥٥ هـ = ٨٦٦ – ٨٦٩م.

المهتدى بالله محمد بن الواثق بن المعتصم ٢٥٥ – ٢٥٦ هـ = ٨٧٠٨٦٩ – م.

المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم ٢٥٦ – ٢٧٩ هـ = ٨٩٢٨٧٠ – م.

المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ٢٧٩ – ٢٨٩ هـ = ٩٠٢٨٩٢ – م.

المكتفي بالله أبو محمد على بن المعتضد ٢٨٩ – ٢٩٥ هـ = ٩٠٨٩٠٢ – م.

المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن محمد ٢٩٥ – ٣٢٠ هـ = ٩٣٢٩٠٨ – م.

القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد ٣٢٠ – ٣٢٢ هـ = ٩٣٤٩٣٢ – م.

الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد ٣٢٢ – ٣٢٩ هـ٩٤١–٩٣٤ = م.

المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر ٣٢٩ – ٣٣٣ هـ = ٩٤٥٩٤١ – م.

المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي ٣٣٣– ٣٣٤ هـ = ٩٤٦٩٤٥ – م.

المتوكل على الله

وقد تولى الخلافة في ذي الحجة سنة ٢٣١ هـ = ٨٤٧م، وكان عهده بداية حقبة الضعف والتدهور، وتفكك بنيان الخلافة العباسية

ورغم أن المتوكل: كان قوى الشخصية، وافر الهيبة فإنه لم يستطع أن يضع حدا لاستفحال النفوذ التركى في عهده، الذي كان له دور في توليته الخلافة بعد أن كادت البيعة تتم لمحمد بن الواثق، وكان غلامًا وقد نجح المتوكل في البداية في التخلص من أخطر العناصر التركية في عهده، وهو إيتاخ الذي استفحل خطره حتى إنه هـمَّ يومًا بقتل الخليفة المتوكل حين تبسَّط معه في المزاح، لكن الخليفة نجح في التخلص منه سنة ٢٣٥هـ٨٤٩ = م، كما عزم على التخلص من قادة الأتراك ووجوههم، مثل وصيف وبُغا، إلا أنهم استغلوا ما بينه وبين ابنه وولى عهده محمد المنتصر من خلاف وجفوة ودبروا مؤامرة انتهت بقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان في الخامس من شوال سنة ٢٤٧هـ = ٨٦١م، وبايعوا ابنه المنتصر خليفة وقد استطاع المتوكل في عهده أن يظفر بمكانة عظيمة في قلوب جماهير المسلمين، حين منع النقاش في القضايا الجدلية التي أثارها المعتزلة، مثل قضية خلق القرآن، كما رد للإمام أحمد بن حنبل اعتباره وجعله من المقربين إليه، بعد أن اضطُهد في عهد المأمون والمعتصم والواثق؛ لعدم إقراره القول بخلق القرآن، كما أمر المتوكل الفقهاء والمحدِّثين أن يجلسوا للناس ويحدثوهم بالأحاديث التي فيها رد على المعتزلة فأثنى الناس عليه، حتى قالوا: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بنى أمية، والمتوكل محا البدع وأظهر السنة .

المنتصر بالله

تولى الخلافة في اليوم الذي قُتل فيه أبوه، وذلك في شوال سنة ٢٤٧هـ = ديسمبر سنة ٨٦١م، و عمره ستة وعشرون عامًا.
وحاول التصدي للنفوذ التركي بكل حزم، وصار يسب الأتراك ويقول:هـؤلاء قتلة الخلفاء ورغم أن المنتصر بالله كان وافر العقل قوى الشخصية فإن الأتراك احتالوا على قتله، فأعطوا طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار، ففصده بمبضع مسموم فمات، في ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ = يونيو سنة ٨٦٢م بعد حكم دام ستة أشهر فقط، ويروى أنه حينما احتضر، قال لأمه : يا أماه ذهبت منى الدنيا والآخرة، عاجلت أبي فعوجلت ومن مآثر المنتصر بالله، خلال فترة حكمه القصيرة، إحسانه إلى العلويين، وإزالته عنهم ما كانوا فيه من خوف وضيق في عهد أبيه المتوكل.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

هو أحمد بن المعتصم، تولى الخلافة في السادس من ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ = يونيو سنة ٨٦٢م، وعمره ثمانٍ وعشرون سنة، فعقب وفاة المنتصر اجتمع الأتراك بزعامة بُغا الصغير وبُغا الكبير، وقرروا عدم تولية أحد من أولاد المتوكل الخلافة، خوفًا من انتقامه منهم، وبايعوا أحمد بن المعتصم، الملقَّب بالمستعين بالله، و كان من الطبيعي ألا يكون للمستعين بالله مع الأتراك أمر ولا نهى، ولم يمضِ وقت طويل حتى غضب عليه الأتراك وقرروا خلعه ومبايعة المعتز بالله محمد بن المتوكل؛ فاشتعلت الحرب بين أنصار المستعين وأنصار المعتز، وانتهت بالقبض على المستعين وقتله في سجنه في شوال سنة ٢٥١ هـ = ديسمبر سنة ٨٦٦م و قد شهدت خلافة المستعين بالله قيام الدولة العلوية بطبرستان سنة ٢٥٠هـ = ٨٦٤م، على يد الحسن بن زيد العلوى الملقب بالداعى الكبير، واستمرت هذه الدولة حتى سنة ٣١٦هـ = ٩٢٨م

المعتز بالله محمد بن المتوكل

بويع له بالخلافة في شوال سنة ٢٥١ هـ = ديسمبر سنة٨٦٦ م، وعمره تسعة عشر عامًا، وقد استضعفه الأتراك وطلبوا منه مالاً فاعتذر لهم بفراغ بيت المال، فثاروا عليه وضربوه ومزقوا ملابسه، وأقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى من شدة الحر، ثم سجنوه وعذبوه حتى مات في شعبان سنة ٢٥٥هـ = يوليو سنة ٨٦٩م و كان من أهم الأحداث التي شهدتها خلافة المعتز قيام الدولة الصفَّارية في فارس بزعامة يعقوب بن الليث الصفَّار وذهاب أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤هـ = ٨٦٨م نائبًا عن واليها، لكنه استطاع في فترة لاحقة أن يستقل بها عن العباسيين، وأن يضم إليها الشام مكونًا بذلك الدولة الطولونية في مصر والشام

المهتدى بالله محمد بن الواثق

بايع الأتراك المهتدى بالله خليفة للمسلمين فيرجب سنة٢٥٥ هـ = يونيو سنة ٨٦٩م، عقب الإطاحة بالمعتز، وقد كان المهتدى تقيا شجاعًا حازمًا، وكان يتخذ عمر بن عبد العزيز مثله الأعلى، ويقول: إنـي أستحيي أن يكون في بنى أمية مثله، ولا يكون مثله في بنى العباس، ولذلك نبذ الملاهي وحرَّم الغناء والخمور وحارب الظلمحاول المهتدى بالله أن يوقف طغيان الأتراك واستبدادهم فقتل بعضهم، فثاروا عليه وأسروه وعذبوه ليخلع نفسه فرفض، فقاموا بخلعه وسجنه وتعذيبه حتى مات في رجب سنة ٢٥٦هـ = يونيو ٨٧٠م. وقد كان من أهم الأحداث التي شهدها عصر المهتدى بالله

ثورة الزَّنج :وسُميت بذلك لأن أعدادًا كبيرة من الذين شاركوا فيها كانوا عبيدًا سودًا، واندلعت هذه الثورة في البصرة بزعامة على بن محمد، الذي قيل إنه ينتسب إلى آل البيت، وحققت مكاسب سياسية ومادية؛ فاستولت في مدة قصيرة على بعض المدن المهمة في العراق، مثل البصرة وواسط والأهواز، ووصلت إلى البحرين وهجر، وارتكبت مذابح بشعة ضد السكان الآمنين، وقد استطاع القائد العباسي الموفق طلحة بن المتوكل القضاء على هذه الثورة –فيما بعد -سنة ٢٧٠هـ = ٨٨٣م في خلافة أخيه المعتمد على الله

المعتمد على الله، وصحوة الخلافة

تولى المعتمد على الله أحمد بن المتوكل الخلافة بعد خلع المهتدى سنة ٢٥٦هـ = ٨٧٠م، وقد أتاحت الظروف التي تولى فيها المعتمد مقاليد الحكم ظهور ما عُرف باسم صحوة الخلافة في العصر العباسي الثاني فقد تصاعد النزاع الداخلي بين القادة الأتراك، وساءت معاملتهم لجنودهم، كما ازدادت شكوى الجمهور من مضايقاتهم، مما أدى إلى ظهور اتجاه قوى داخل الجيش بحتمية جعل القيادة العسكرية العليا في يد أحد أمراء البيت العباسي؛ يقوم الخليفة باختياره، ويدين له الجميع بالطاعة، وقد اختار المعتمد أخاه الموفق

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

دًا للجيش، فكانت صحوة الخلافة؛ حيث استردت قوتها وهيبتها واستطاع الموفق بحكمته وحزمه وصلابة إرادته أن يكبح جماح الأتراك، وأن يعيد تنظيم الجيش، ويقر الأمن والنظام

و رغم أن المعتمد بالله كان الخليفة الرسمي فإن أخاه الموفق كان صاحب السلطة الفعلية، فكان له الأمر والنهى، وقيادة الجيش ومحاربة الأعداء، ومرابطة الثغور، وتعيين الوزراء والأمراء، وكان قضاء الموفق على ثورة الزنج سنة ٢٧٠هـ = ٨٨٣م أعظم إنجاز له و قد تُوفي الموفق في صفر سنة ٢٧٨هـ = مايو سنة ٨٩١م، وفي العام التالي تُوفي الخليفة المعتمد في رجب سنة ٢٧٩هـ = سبتمبر سنة ٨٩٢م، بعد أن حكم البلاد ثلاثة وعشرين عامًا. وقد حفل عهده بالعلماء الأعلام في مجالات المعرفة المختلفة.

المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق

تولى الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد، وكان قوى الشخصية؛ فحفظ هيبة الخلافة، كما كانت في عهد أبيه الموفق وعمه المعتمد، يقول السيوطى: كان المعتضد شهمًا جلدًا، موصوفًا بالرُّجلة أى الشجاعة، وقد خاض الحروب وعُرف فضله، فقام بالأمر أحسن قيام، وهابه الناس ورهبوه أحسن رهبة، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيبته، وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء و قد تمكن المعتضد خلال حكمه الذي دام عشر سنوات من تهيئة المزيد من القوة والاستقرار للدولة العباسية، فقضى على مصادر الفتن والثورات، وأخمد ثورة بنى شيبان بأرض الجزيرة سنة ٢٨٠هـ = ٨٩٣م، و ثورة حمدان بن حمدون – رأس الأسرة الحمدانية – بالموصل، واستولى على قلعة ماردين التي كان يتحصن بها سنة ٢٨١ هـ = ٨٩٤م، كما قضى على ثورة الخوارج في الموصل بزعامة هارون بن عبد الله الشارى الذي وقع في الأسر، وأمر المعتضد بضرب عنقه سنة ٢٨١ هـ =٨٩٦م، ومن أخطر الحركات التي شهدها عصر المعتضد.

حركة القرامطة

و ترجع بداية هذه الحركة إلى عام ٢٧٨هـ = ٨٩١م قبل تولّى المعتضد الخلافة بعام، حين قدم إلى الكوفة رجل اسمه حمدان ولقبه قَرْمَط، تظاهر بالعبادة والتقشف والدعوة إلى إمام من آل البيت، فلقيت دعوته صدى كبيرًا عند أنصار آل البيت، وحين خمدت سيطرته الروحية عليهم أخذ يبث فيهم أفكارًا غريبة عن الإسلام، منها: الشهادة بأن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله، وأن القبلة إلى بيت المقدس، وأن النبيذ حرام والخمر حلال، وغير ذلك من الأفكار الشاذة و قد اشتد خطر هذه الحركة بعد ظهور زعيمها أبى سعيد الجنَّابى في البحرين سنة ٢٨٦هـ = ٨٩٩م؛ حيث استطاع بسط سلطانه على البحرين وهجر، وكسب أنصارٍ كثيرين له في المناطق التي ينتشر فيها التشيع. وقد تحولت البحرين إلى مركز رئيسى للقرامطة، خرجت منه حملاتهم الحربية في اتجاه العراق و الحجاز والشام؛ لنشر أفكارهم الهدامة التي تهدف إلى هدم كيان المجتمع الإسلامي، وبسط نفوذهم بواسطة خداع العامة بمبادئ وشعارات براقة، كالعدالة والمساواة والبساطة، ومساعدة الآخرين، ولم تدرك الخلافة العباسية مدى الخطورة التي تنطوى عليها هذه الحركة، ووجهت جهودها الحربية إلى حركات أخرى تبدو أكثر منها خطورة، مثل الحركة الصفارية و الطولونية وغيرهما، ومن هنا لم تظفر هذه الحركة من الخليفة المعتضد – الذي عاصر بدايتها الأولى – بما تستحقه من اهتمام.

انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد

ظلت مدينة سامراء أو سر من رأى عاصمة الخلافة العباسية منذ حوالى سنة ٢٢١ هـ = ٨٣٦م – في خلافة المعتصم بالله – إلى أوائل خلافة المعتضد الذي بنى القصر الحسنى ببغداد، وقرر انتقال عاصمة الخلافة إليها سنة ٢٨٠هـ٨٩٣ = م

وفاة المعتضد

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وفي المعتضد في ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ = ٩٠٢م، وكان عصره يموج بالحركة العلمية والدينية والأدبية، فقد عاش في عصره عدد من العلماء والأدباء البارزين.

المكتفي بالله علي بن المعتضد

تولى الخلافة في ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ = مارس سنة ٩٠٢م عقب وفاة أبيه، وعمره خمس وعشرون سنة، ورغم أنه كان حسن السيرة محبوبًا لدى الرعية فإنه لم يكن يتمتع بما كان يتمتع به أبوه المعتضد، من قوة الشخصية والحزم، فكانت خلافته تمهيدًا لعودة الأمور إلى أوضاعها السابقة، وفترة انتقالية بين صحوة الخلافة وانتكاستها و قد شهد عهد المكتفي أحداثًا كثيرة، منها: ازدياد خطر القرامطة وتهديدهم للشام والحجاز واليمن، وقد جرت على يد زعيمهم زكرويه بن مهرويه مذابح بشعة ضد حجاج بيت الله الحرام وعامة الناس، ونشروا الفزع في أنحاء العالم الإسلامي، واستطاع زكرويه أن يهزم جيشًا للخليفة المكتفي، وأن يقتل منه عددًا كبيرًا، فأعد له المكتفي جيشًا حشد فيه أكفأ القواد، نجح في قتل زكرويه وكثيرًا من أتباعه عام ٢٩٤هـ = ٩٠٧م، وتتبعهم في العراق، ولكنه لم يستطع القضاء عليهم تمامًا، فظلوا من بعده مصدر خطر مؤكد على كيان الخلافة و مما شهده عصر المكتفي أيضًا من أحداث: تولية المكتفي أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي ولاية الموصل والبلاد التابعة لها سنة ٢٩١ هـ =٩٠٦م، وكان ذلك مقدمة لاستقلال الحمدانيين بالموصل –فيما بعد– وضمهم حلب إليها، ونشأة الأسرة الحمدانية.

وفاة المكتفي

تُوفي المكتفي وفاة طبيعية في ذى القعدة سنة ٢٩٥هـ = أغسطس سنة ٩٠٨م، وترك خزانة الدولة ممتلئة بالأموال، وقد أرجع المؤرخون ذلك إلى الجهد الذي بذله أبوه المعتضد في جلب أسباب الاستقرار الاقتصادي إلى الدولة، وحسن سيرة المكتفي بالله

المقتدر بالله جعفر بن المعتضد

تولى الخلافة بعد أخيه المكتفي بعهد منه في ذى القعدة سنة ٢٩٥هـ = أغسطس سنة ٩٠٨م، وكان صبيا في الثالثة عشرة من عمره، ولم يلِ الخلافة قبله أصغر منه. أثار تولى المقتدر الخلافة اعتراض كثير من رجال الدولة بسبب صغر سنه، وعدم قدرته على الاضطلاع بشئون الخلافة مع وجود الأقدر منه على تحمل المسئولية، خاصة عبد الله بن المعتز الشاعر المعروف بتمام العقل وجودة الرأي، فاتفق رأى عدد منهم على خلع المقتدر و تولية عبد الله بن المعتز، وكان عمره نحو تسعة وأربعين عامًا، وعندما عرضوا الأمر على ابن المعتز وافق بشرط ألا يسفك دم أو تنشب حرب، فأخبروه أن الأمر يُسلَّم إليه عفوًا، وأن جميع من وراءهم من الجند والقواد والكُتَّاب قد رضوا به فبايعهم على ذلك، وتمت البيعة لابن المعتز في ١٩من ربيع الأول سنة ٢٩٦هـ = نوفمبر سنة ٩٠٨م، ولقب بالراضي بالله، ولكن أنصار المقتدر – وعلى رأسهم مؤنس الخادم – لم يرضوا بهذه البيعة، وتوجهوا نحو ابن المعتز وأنصاره وقبضوا عليهم وفتكوا بهم وأعادوا تنصيب المقتدر في اليوم التالي لبيعة ابن المعتز، الذي لم يمكث في الخلافة إلا يومًا أو بعض يوم، ولهذا يتجاهله المؤرخون عند ذكرهم قائمة خلفاء بنى العباس

و قد تدهورت الأوضاع في عهد المقتدر، وانتشرت الفتن وازداد تمزق الدولة، وأصبحت الخلافة نهبًا للطامعين بسبب صغر سنه، وأفلت زمام الأمور من يده، و تحكم النساء والخدم في شئون البلاد، فكانت أم المقتدر وتسمى شغب تولِّى من تشاء وتعزل من تشاء، كما كان مؤنس الخادم صاحب مكانة متميزة وخطيرة في عهد المقتدرو قد ازداد خطر القرامطة اتساعًا وعنفًا في عهد المقتدر، ووصل مداه سنة ٣١٧هـ = ٩٢٩م، حينما دخلوا مكة بقيادة أبي طاهر القرمطى وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام، واستولوا على الحجر الأسود وأخذوه إلى مركزهم الرئيسى هَجَر حتى تم رده إلى مكانه في عهد المطيع سنة ٣٣٩هـ = ٩٥٠م.

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

و من أهم الأحداث في عهد المقتدر بداية ظهور العُبيديين أو الفاطميين في شمالى إفريقيا ويرجع الفضل في قيام الدولة الفاطمية إلى أبى عبد الله الحسين بن أحمد، المعروف بأبى عبد الله الشيعى، أحد دعاة الفاطميين البارزين في المغرب وكان يعرف أحيانًا باسم المحتسب؛ لأنه كان مراقبًا لأسواق البصرة بالعراق قبل انتقاله إلى المغرب. وقد تمكن أبو عبد الله الشيعى من القضاء على دولة الأغالبة في المغرب، والاستيلاء على عاصمتهم رقادة سنة ٢٩٦هـ = ٩٠٩م، وتم تنصيب أول إمام من أئمة الفاطميين وهو عبيد الله المهدى – وكنيته أبو محمد– الذي قيل إنه من سلالة الإمام الحسين بن على بن أبي طالب و قد تلقب عبيد الله المهدى بأمير المؤمنين، وبنى مدينة المهدية عاصمةً له، وانتقل إليها من رقادة سنة ٣٠٨هـ = ٩٢٠م، وقد نجح الفاطميون في الاستيلاء على مصر سنة ٣٥٨هـ = ٩٦٩م، في عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله.

قيام دولة بنى حمدان

و من الأحداث المهمة التي شهدها عهد المقتدر – أيضًا - قيام دولة بنى حمدان في الموصل، فقد استمر أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان يحكم الموصل والبلاد التابعة لها من قِبل الخليفة المكتفي حتى وفاته سنة ٣١٧هـ = ٩٢٩م، فورثه ابنه حسن الملقب ناصر الدولة على ولاية الموصل، واستطاع أن يمد سلطانه إلى ديار ربيعة ومضر بأرض الجزيرة، وقد اتسع نفوذ الحمدانيين وملكهم بعد وفاة الخليفة المقتدر، ونجحوا في بسط سلطانهم على حلب وشمال الشام سنة ٣٣١ هـ = ٩٤٥م بقيادة زعيمهم المعروف سيف الدولة الحمدانى، الذي قال فيه المتنبى أروع قصائد المديح و قد أسهم أمراء بنى حمدان وفي مقدمتهم سيف الدولة الحمدانى في صد غارات الروم البيزنطيين عن مناطق الثغور الإسلامية، وفي رعاية الحركة العلمية والأدبية التي بلغت في عهدهم مركزًا مرموقًا.

وفاة المقتدر بالله

ساءت العلاقة بين المقتدر بالله وخادمه مؤنس الخادم؛ مما أدى إلى مقتله على يد أنصار مؤنس في أواخر شوال سنة ٣٢٠هـ = ٩٣٢م، بعد أن ظل في الحكم خمسًا وعشرين سنة، هي أطول مدة يقضيها خليفة عباسي في الحكم حتى عصره و رغم تدهور أحوال البلاد السياسية في عهد المقتدر فإن الحياة العلمية قد شهدت ازدهارًا ملحوظًا في هذا العصر. وبمقتل المقتدر دخل عصر نفوذ الأتراك مراحله الأخيرة.

القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد

تولى الخلافة في شوال سنة ٣٢٠هـ = ٩٣٢م، عقب مقتل المقتدر، وعمره ثلاث وثلاثون سنة وقد اتصف القاهر بالغلظة وقلة التثبت، ورغم أنه نجح في التخلص من مؤنس الخادم، صاحب النفوذ الأكبر في عهد المقتدر، ومن غيره من أعيان الدولة فإن سوء سياسته كان سببًا في تدبير الانقلاب عليه والإطاحة به و قد لعب الوزير المشهور أبو على بن مقلة الدور الأساسي في خلع القاهر والتنكيل به، لخوفه منه واعتقاده أنه كان يدبر للقضاء عليه، فهاجم أعوانه الخليفة القاهر في دار الخلافة وقبضوا عليه وسملوا عينيه وعذبوه وأعلنوا خلعه في الثالث من جمادى الأولى سنة ٣٢١ هـ = ٩٣٤م و لعل من أبرز التطورات السياسية التي شهدها عهد القاهر –رغم قصره– ظهور النفوذ البويهى في بلاد فارس سنة ٣٢١ هـ = ٩٣٣م، وكان ذلك مقدمة لامتداد نفوذهم إلى العراق وسيطرتهم على مقاليد الأمور هناك في سنة ٣٣٤هـ٩٤٥ = م، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الخلافة العباسية في عصرها الثاني، كما سنبين بعد قليل.

الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

بايع الجند الراضي بالله في السادس من جمادى الأولى سنة ٣٢١ هـ وعمره خمسة وعشرون عامًا، وقد كان من خيار الخلفاء، فاضلاً سمحًا جوادًا،شاعرًا محبا للعلماء ورغم ما كان يتحلى به الراضي من صفات حميدة فإن أمر الخلافة قد اختل في عهده اختلالاً خطيرًا، وازداد تمزق الدولة واستفحل نفوذ المتطلعين للسيطرة على زمام الأمور؛ فقد ازداد نفوذ البويهيين في فارس وتطلعوا للاستيلاء على العراق، وتمتع بنو حمدان بنفوذ مطلق في الموصل وديار بكر وربيعة ومضر، واستقلت الدولة الإخشيدية في مصر والشام عن الخلافة العباسية، وكذلك الدولة السامانية في خراسان وما وراء النهر بزعامة نصر بن أحمد السامانى، وأصبح للأمويين خلافة مستقلة في الأندلس تحت حكم عبد الرحمن الثالث الأموى الملقب بالناصر ٣٠٠-٣٥٠ هـ = ٩١٣ – ٩٦١م، وسيطر القرامطة بزعامة أبى طاهر القرمطى على البحرين واليمامة.

ظهور منصب أمير الأمراء

و تدهورت الأوضاع في أوائل عهد الراضي تدهورًا كبيرًا، بسبب عجز الوزراء وازدياد نفوذ كبار القواد وتدخلهم في شؤون الدولة، وكان محمد بن رائق والى واسط والبصرة واحدًا من أبرز هؤلاء القواد وأكثرهم نفوذًا وتأثيرًا، فاختاره الخليفة الراضي ليقوم بمهمة إنقاذ الخلافة من التدهور الإداري الحاد الذي تعانى منه، وأسند إليه منصب أمير الأمراء في عام ٣٢٤هـ = ٩٣٦م و قد أصبح محمد بن رائق بمقتضى هذا المنصب الخطير الذي لم يظهر قبل ذلك على مسرح الأحداث السياسية في الدولة الإسلامية، القائد الأعلى للجيش، والمسئول عن إدارة شئون الدولة والخراج، وأصدر الخليفة الراضي أمرًا بأن يُخطَب لابن رائق على جميع المنابر في جميع النواحي الخاضعة للخلافة، وبذلك تحولت الخلافة إلى منصب شرفي، وأصبح شاغل منصب أمير الأمراء هو الحاكم الفعلي للبلاد؛ مما جعل كبار رجال الدولة أمثال أبي عبد الله البريدي صاحب الأهواز، وبَجْكم التركي، وناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل، وتوزون التركي رئيس الشرطة وغيرهم، يتصارعون للوصول إليه، حتى جاء البويهيون فسيطروا على زمام الأمور ووضعوا حدا لهذا الصراع و قد تُوفي الخليفة الراضي بالله وفاة طبيعية في منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ = ديسمبر سنة ٩٤٠م، بعد أن فقد السيطرة على مقاليد الأمور بصورة تكاد تكون كاملة.

المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر

تولى الخلافة في ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ = ديسمبر سنة٩٤٠ م بتدبير أمير الأمراء بَجْكم التركى وكاتبه أبى عبد الله الكوفي، وكان عمره حينئذٍ أربعًا وثلاثين سنة و قد كانت خلافة المتقى القصيرة ٣٢٩ – ٣٣١ هـ = ٩٤٠-٩٤٤م سلسلة من الصراع بين كبار رجال الدولة على منصب أمير الأمراء، مما أضاف مزيدًا من الاضطراب والفوضى إلى الأوضاع الداخلية، وفقد المتقى سيطرته على زمام الأمور، فقام أمير الأمراء توزون التركى بسمل عينيه وخلعه، وبذلك انتهت خلافته في صفر سنة ٣٣١ هـ =سبتمبر سنة ٩٤٤م

المستكفي بالله وانتهاء عصر نفوذ الأتراك

تمت بيعته بالخلافة في صفر سنة ٣٣١ هـ = سبتمبر سنة ٩٤٤ بحضور أمير الأمراء توزون التركى وإشرافه، وعمره واحد وأربعون عامًا ولم يكن له أدنى سلطة في إدارة شئون البلاد، بل استمر زمام الأمور في يد أمير الأمراء أبى الوفاء توزون التركى، وكاتبه أبى جعفر بن شيرزاد، وكان من أبرز الأحداث التي شهدتها خلافة المستكفي بالله امتداد سلطان الحمدانيين بقيادة سيف الدولة الحمدانى على حلب وحمص اللتين كانتا تحت سيطرة الإخشيديين و تدهورت الأحوال الداخلية في عهد المستكفي بشكل غير مسبوق؛ مما أدى إلى تطلع البويهيين –أصحاب النفوذ في بلاد فارس– منذ سنة ٣٢١ هـ٩٣٣ = م إلى بسط سلطانهم على العراق، وقد نجحوا في

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

ت سنة ٣٣٤هـ = ٩٤٥م، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ العصر الثاني للخلافة العباسية، عُرفت فيما بعد باسم عصر نفوذ البويهيين

الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية في عصر نفوذ الأتراك

لم ينحصر ظهور الحركات الاستقلالية في عصر نفوذ الأتراك، بل ظهرت هذه الحركات منذ فجر الخلافة العباسية، فاستقل عبد الرحمن الداخل بالأندلس سنة ١٣٨هـ = ٧٥٥م في عهد أبي جعفر المنصور، وقامت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى على يد إدريس بن عبد الله، ودولة الأغالبة على يد إبراهيم بن الأغلب في تونس، في عهد هارون الرشيد

و في خلافة المأمون تأسست الدولة الطاهرية في خراسان على يد طاهر بن الحسين قائد المأمون المشهور، وكانت دولتا الأغالبة، والطاهرية تدينان بالولاء الأسمى للخليفة العباسي، وقد مرت إشارات سريعة إلى الدول التي استقلت عن الخلافة في عصر نفوذ الأتراك وهي : الدولة الصفَّارية، والسامانية والطولونية والإخشيدية والحمدانية ودولة القرامطة، والدولة الفاطمية، والبويهية

وفيما يلى نبذة مختصرة عن أهم هذه الدول

الدولة الصفارية ٢٥٤- ٢٨٩هـ = ٨٦٨ - ٩٠٢ م:

أسسها يعقوب بن الليث الصفَّار في بلاد فارس وخراسان على أنقاض الدولة الطاهرية، في عهد المعتز بالله ٢٥٢-٢٥٥هـ بعد أن أظهر كفاءة ملحوظة في محاربة الخارجين على الخلافة والتخلص من الطاهريين بإذن من الخليفة العباسي المعتز بالله و استطاع يعقوب بن الليث أن يضم إلى الدولة الصفارية كثيرًا من الأماكن التي استطاع السيطرة عليها في بلاد فارس وخراسان وأعلن ولاء دولته – في البداية– للخلافة العباسية و عندما تولى المعتمد على الله الخلافة، أصر أخوه الموفق على أن يكون ولاء الدولة الصفارية للخلافة ولاءً تاما لا صوريا، إلا أن يعقوب بن الليث رفض ذلك، وتدهورت العلاقة بين الطرفين، وهدد يعقوب بدخول عاصمة الخلافة وبسط سلطانه عليها، مما أدى إلى حدوث صدام مسلح بين الدولة الصفارية، والخلافة في منطقة واسط بالعراق، وكان لظهور الخليفة العباسي المعتمد على رأس جيش الخلافة أثر كبير في هزيمة يعقوب بن الليث، ورغم هزيمته فقد استمر في تحدى الخلافة ورفض التفاهم معها حتى تُوفي في جنديسابور سنة ٢٦٥هـ = ٨٧٩م ثم تولى رئاسة الدولة الصفارية بعد وفاة يعقوب بن الليث أخوه عمرو بن الليث، الذي كان حريصًا على كسب ود الخلافة حتى يؤكد سلطانه الروحى في بلاده، فاعترف به الخليفة المعتمد واليًا على خراسان والسِّند وسجستان وكرمان وفارس وأصبهان، وعندما تولى المعتضد الخلافة بعد وفاة عمه المعتمد أقر عَمْرًا على ما في يده و قد نشط عمرو في توسيع حدود دولته وتطلع إلى غزو بلاد ما وراء النهر، حيث الدولة السامانية، وعبر نهر جيحون ولكن السامانيين تصدوا له بقيادة زعيمهم إسماعيل بن أحمد السامانى وهزموه، وأخذوه أسيرًا إلى الخليفة المعتضد الذي سجنه حتى مات في سجنه سنة ٢٨٧هـ = ٩٠٠م، وقد تولى زعامة الصفاريين بعد هزيمة عمرو وأسره حفيده طاهر بن محمد بن عمرو، ولكن أحوال الصفاريين تدهورت بشدة خلال هذه الفترة نتيجة الهجمات المتلاحقة التي شنها عليهم السامانيون، وسقطت دولتهم سنة٢٨٩ هـ = ٩٠٢م

وقد لاحظ المؤرخون أن قادة هذه الدولة اتبعوا في حياتهم مبدأ العدالة والمساواة والأخوة، والبعد عن مظاهر الترف، فكانت حياة رئيس الدولة لا تكاد تختلف في مظهرها عن حياة أحد جنوده، وكان العطاء يوزع بالإنصاف والعدل، وقد ازدهر اقتصاد الدولة نتيجة البعد عن إنفاق الأموال في غير وجوهها، فيروى أن يعقوب ابن الليث ترك في خزانة الدولة عند وفاته ثمانين مليون دينار

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

وخمسين مليون درهم، ولكن يؤخذ عليه اعتداده بقوته وطاعة جنده فتمرد على الخلافة وحاول الاستقلال عنها؛ مما زعزع ثقتها به وكان له آثاره السلبية في تماسك الدولة واستمرارها.

الدولة السامانية ٢٦١ - ٣٨٩هـ = ٩٩٩٨٧٥ - م

ظهر السامانيون على المسرح السياسى لدولة الخلافة العباسية في عصر الخليفة المأمون ١٩٨ – ٢١٨هـ = ٨١٣ – ٨٣٣م، وسموا بذلك نسبة إلى قرية سامان القريبة من سمرقند؛ حيث كانوا يتوارثون إمارتها، ويسمى أميرهم سامان خداه، أى كبير قرية سامان وصاحبها

و قد اعتنق أحد السامانيين الإسلام أثناء خلافة الأمويين، وسمى ابنه أسدًا، كاسم حاكم خراسان في عهد هشام بن عبد الملك، واسمه أسد بن عبد الله القسرى ، وطال العمر بأسد السامانى حتى أدرك المأمون، فذهب إليه في مرو، قبل انتقاله إلى بغداد في الفترة من سنة ١٩١ هـ = ٨٠٩م إلى سنة ٢٠١ هـ٨١٧ = م، ومعه أبناؤه الأربعة: نوح وأحمد، وإلياس، ويحيى، فاحتفي بهم المأمون وألحقهم بخدمته و بعد انتقال المأمون إلى بغداد أمر بإسناد عمل إلى كل واحد من أبناء أسد السامانى، فتم إسناد حكم سمرقند إلى نوح، وحكم فرغانة إلى أحمد، وحكم الشاش إلى يحيى، وحكم هراة إلى إلياس، فكان هذا مقدمة لتمكن نفوذ السامانيين في هذه المناطق المعروفة باسم بلاد ما وراء النهر نهر جيحون و قد برز أحمد بن أسد حاكم فرغانة على إخوته، وكان له سبعة أبناء هم نصر ويحيى ويعقوب وإسماعيل وإسحاق وأسد وحميد، وعند وفاته سنة ٢٥٠هـ٨٦٤ = م حل محله ابنه الأكبر نصر، ودان له باقي إخوته بالطاعة والولاء وفي سنة ٢٦١ هـ = ٨٧٥م حدَث التحول الحاسم في تاريخ السامانيين، حينما أسند الخليفة المعتمد على الله ولاية جميع بلاد ما وراء النهر إلى نصر بن أحمد بن أسد السامانى، فأقام نصر في سمرقند، وعين أخاه إسماعيل نائبًا عنه ببخارى وعهد إلى كل أخ من إخوته الباقين بحكم إحدى الولايات، مما يمكن معه اعتبار عام ٢٦١ هـ = ٨٧٥م بداية تكوُّن الدولة السامانية. وعقب وفاة نصر بن أحمد في سمرقند عام ٢٧٩هـ = ٨٩٢م ضم أخوه إسماعيل سمرقند إلى ملكه، وأصبح هو الحاكم الأعلى لكل بلاد ما وراء النهر؛ لذلك يرى بعض المؤرخين أن إسماعيل بن أحمد بن أسد السامانى هو المؤسس الحقيقى للدولة السامانية؛ حيث خضع له سائر الأمراء السامانيين، ووسع حدود الدولة، فضم لها خراسان ومعظم البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ الدولة الصفارية وبلغت الدولة السامانية قمة مجدها في عهده من ٢٧٩–٢٩٥هـ = ٨٩٢– ٩٠٨م ثم في عهد حفيده نصر بن أحمد بن إسماعيل٣٠١ –٣٣١ هـ = ٩١٣ – ٩٤٣م وبدأت الدولة السامانية تتدهور منذ عهد نوح بن نصر ٣٣١ – ٣٤١ هـ = ٩٤٣ – ٩٥٤م، حتى سقطت في يد الغزنويين سنة ٣٨٩هـ = ٩٩٩م.و قد كانت الدولة السامانية ملتزمة بمذهب أهل ال سنة، وكانت علاقتها بالخلافة العباسية علاقة احترام وإجلال؛ حيث كان أمراؤها يعدون أنفسهم نوابًا عن الخليفة. وقد ازدهرت الحياة العلمية في عصر السامانيين، وكانت بخارى، وسمرقند تنافسان بغداد في مكانتها العلمية والأدبية، بسبب تشجيع الأمراء السامانيين للعلم وحبهم للعلماء، فقد سمح الأمير السامانى أبو القاسم نوح بن منصور نوح الثاني لابن سينا باستخدام مكتبة قصره، كما قام الطبيب والفيلسوف المشهور أبو بكر الرازى ٢٥١–٣١١ هـ = ٨٦٥–٩٢٥م بإهداء كتابه المعروف في الطب المنصورى إلى الأمير السامانى أبى صالح منصور بن إسحاق أمير سجستان وقد شهد الأدب الفارسى أيضًا عصره الذهبى خلال حكم السامانيين، وعاش الشاعر الفارسى المعروف الفردوسى شطرًا من حياته في عصر الدولة السامانية.

دولة بنى حمدان في الموصل وحلب ٢٩٣ ٣٩١ - هـ = ٩٠٦ – ١٠٠٢م

ينتمى الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون بن الحارث من قبيلة تغلب، وقد ظهر نفوذ حمدان في شمال العراق سنة ٢٥٤هـ أثناء خلافة المعتز بالله، وتعاون مع خوارج الجزيرة في شمال العراق، واستطاع أن يسيطر على بعض المواقع الحصينة هناك، وأهمها قلعة ماردين،

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

حن الخليفة المعتضد بالله استطاع استردادها، وقبض على حمدان وسجنهتعهد حسين بن حمدان بالطاعة والولاء للخليفة المعتض وساعده في حربه ضد الخوارج حتى هزمهم، فقربه الخليفة وعفا عن والده حمدان بن حمدون و في خلافة المكتفي بالله ٢٨٩ – ٢٩٥هـ = ٩٠٢ – ٩٠٨م تعاظمت مكانة حسين بن حمدان وقام بدور بارز في الحرب ضد القرامطة وفي الحملة التي جهزها العباسيون لاسترداد مصر من يد الطولونيين في سنة ٢٩١ هـ = ٩٠٥م .و قد شارك حسين بن حمدان في المؤامرة الفاشلة التي دبرها أنصار ابن المعتز لخلع المقتدر، وهرب حتى عفا عنه المقتدر وأسند إليه ولاية بعض البلاد وأهمها ديار ربيعة بالجزيرة سنة ٢٩٨هـ = ٩١١م، إلا أنه حدث بينه وبين على بن عيسى وزير المقتدر نزاع انتهى بالقبض عليه، وقتله في سجنه سنة ٣٠٦هـ = ٩١٨م.و رغم أن حسين بن حمدان كان من أعظم الأمراء بأسًا وشجاعة، وكان أول من ظهر أمره من ملوك بنى حمدان فإن أخاه أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان كان أعمق تأثيرًا وأوسع نفوذًا في تاريخ الأسرة الحمدانية، وقد ولاه الخليفة المكتفي إمارة الموصل وتوابعها سنة ٢٩١ هـ = ٩٠٦م، ويعد أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان المؤسس الحقيقى لمملكة الحمدانيين في الموصل، التي ظل حاكمًا لها إلى أن قتل سنة ٣١٧هـ = ٩٢٩م عقب اشتراكه في المؤامرة الفاشلة لخلع الخليفة المقتدر، وقد خلفه ابنه حسن الملقب بناصر الدولة، واستطاع أن يمد سلطانه على أقاليم الجزيرة الثلاثة ديار ربيعة، وديار مضر وديار بكر، بإذن من الخليفة الراضي، حتى أقعدته الشيخوخة، فخلفه على الحكم ابنه فضل الله أبو تغلب الغضنفر سنة ٣٥١ هـ = ٩٦٤م و قد دخل ناصر الدولة وابنه أبو تغلب الغضنفر في صراع طويل مع البويهيين، أصحاب السلطة في العراق منذ سنة ٣٣٤هـ = ٩٤٥م، وانتهى هذا الصراع بهزيمة أبى تغلب الغضنفر أمام عضد الدولة البويهى سنة ٣٦٨هـ = ٩٧٩م، وانتهت بذلك مملكة الحمدانيين في الموصل والجزيرة أما الدولة الحمدانية في حلب، فقد أسسها على بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان، الملقب بسيف الدولة؛ حيث استطاع بمعاونة أخيه الأكبر ناصر الدولة انتزاع حلب من الإخشيديين سنة ٣٣١ هـ = ٩٤٤م، ثم استطاع بعد ذلك أن يبسط سلطانه على حمص وقنسرين والعواصم وبعض بلاد الجزيرة سنة ٣٣٦هـ٩٤٧ = مو قد قام سيف الدولة الحمدانى بمهمة جليلة أثناء حكمه الذي استمر حتى سنة ٣٥٦هـ = ٩٦٧م، وهى حماية حدود دولة الخلافة من غارات الروم البيزنطيين المتواصلة، بعد أن ضعفت الخلافة المركزية عن القيام بهذه المهمة المقدسةوكان سيف الدولة الحمدانى أديبًا شاعرًا، فجمع حوله العلماء والأدباء، مثل أبى نصر الفارابى، وابن خالويه، وأبى الطيب المتنبى، وأبى فراس الحمدانى وابن نباتة والسَّرىّ الرَّفَّاء، وغيرهم و تُوفي سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ = ٩٦٧م، وخلفه في الحكم ابنه أبو المعالى شريف المعروف بسعد الدولة، وضعفت في عهده سلطة الحمدانيين في الشام؛ لكثرة الضغوط التي تعرض لها من البيزنطيين والبويهيين في العراق، والفاطميين في مصر بغرض الاستيلاء على الشامو تُوفي سعد الدولة سنة ٣٨١ هـ = ٩٩١م، وتولَّى بعده ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة، الذي تعرض لضغوط الفاطميين المتزايدة لضم الشام إلى مصر، فتحالف مع البيزنطيين لصد هجمات الفاطميين عليه، ثم انتهت إمارته بمقتله سنة ٣٩١ هـ = ١٠٠٢م على يد وزيره لؤلؤ الحاجب، وانتهت بذلك الدولة الحمدانية في الشام الذي أصبح خاضعًا لسلطان الفاطميين وقد كان الحمدانيون يميلون إلى التشيع، وكانت علاقتهم بالخلافة العباسية تتأرجح بين الرضا، والسخط، والتوجس.

دولة بنى بويه قبل انتقالها إلى بغداد

ينتسب البويهيون إلى أبى شجاع بويه الذي نشأ في بلاد الديلم التي تقع جنوبى غربى بحر قزوين أو بحر الخزر بين منطقتى طبرستان والجبال .وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذ العلويين، فانتشر فيها التشيع ورغم أن أبا شجاع بويه كان فقيرًا فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة، كما تشرب الروح الشيعية التي كانت سائدة في بلاد الديلم و قد انضم أبو شجاع إلى العلويين في صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقى لأسرة بنى بويه، وإنما كان أبناؤه الثلاثة علي، وحسن، وأحمد هم الذين قاموا بذلك، فقد التحق أبناؤه بخدمة ماكان بن كاكى أحد القواد البارزين المناصرين للداعية الشيعى الحسن بن على، الملقب بالأطروش، وأبرزوا تميزًا في خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ماكان ومرداويج بن زيار أحد القادة الفرس في

ABBYY PDF Transformer 2.0 Click here to buy www.ABBYY.com

منطقة الديلم، وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هى الراجحة في هذا الصراع، فانضموا إليه، فيما بين عامى ٣١٦و٣١٧هـ = ٩٢٨ و٩٢٩ م وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم في فارس والمناطق المحيطة بها و قد ظهر بنو بويه –أو البويهيون– على مسرح الأحداث في أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام ٣٢١ هـ = ٩٣٣م يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة، فاستولوا على فارس، وشيراز وأصبهان، والرى، وهمذان والكرج وكرمان، وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن الخلافة العباسية و قد ساعدهم على ذلك تضاؤل النفوذ التركى، واشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦م، مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التي يمكن أن تحمى دار الخلافة فلم يجد أحمد بن بويه أى صعوبة في دخول بغداد والسيطرة عليها بدون قتال في الحادى عشر من جمادى الأولى سنة٣٣٤هـ = يناير سنة ٩٤٦م